بغداد وأثرها التاريخي في تطور الحياة العربية

أنيس المقدسي

مما لا ريب فيه ان ظهور الاسلام كان بدء حركة تطورية هامة في حياة العرب . فقد وجهها نحو اهداف عالية وفتح امامها افاقا جديدة ، اذ اخرجها من نطاقها الضيق في الجزيرة العربية الى رحاب واسعة احتكت فيها بامم وشعوب كانت قد تقدمتها في الحضارة والعمران . على أن هذه الحركة لم تبلغ مداها الا بعد ان مر عليها أكثر من قرن تنقلت في اثنائه من الجزيرة الى الشام حتى استقرت في العراق . وفي عاصمتها الجديدة بغداد تركزت القوى او العوامل الدافعة لها الى التطور العظيم الذي غير معالمها القومية والاجتماعية والفكرية . فلنتقف قليلا لنلقي نظرة عامة على هذه العوامل ، وما يبدو لنا من اثارها عبر التاريخ .

التطور القومي

لا ينكر ان الاسلام ظهر بين قوم لم تكن فكرة القومية معروفة او ناضجة عندهم . ولم يكن لهم من روابط يعتد بها غير العصبيات القبلية ، فدعا الى وحدة لا محل فيها لهذه العصبيات ، بل ذهب الى ابعد من هذا فجعل الوحدة تشمل العرب وغير العرب على اساس المساواة الروحية . وعليه الحديث النبوي ((لافضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى)) . ومع ان العربية هي لحمة هذه الوحدة فانها لم تنحصر في العنصر العربي على حد القول المأثور ((ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وانما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي)) .

على ان ازالة الحدود الجنسية لم يكن يومئذ بالامر الميسور . فظلت العصبية عند العرب عموما اساس واقعهم الاجتماعي . وجاءت الخلافة الاموية في الشام فشددتها وأقرت التمييز في الدولة بين العرب وغير العرب ، وبهذا التمييز مهدت السبيل لنشوء فكرة القومية التي لم يكن يعرفها العرب في جزيرتهم . على انها كانت عندهم (أي عند الامويين) تقوم على

الانتساب العرقي الى احدى القبائل الاصيلة من عرب الشمال أو عرب الجنوب . وهنا اصل الخلاف بين العرب والموالي ومبعث تلك الروح الناقمة التي كان لها اثر فعال في سقوط الدولة الاموية

فلما تولى العباسيون الخلافة بعدهم نقلوا مقر حكمهم الى العراق واسسوا عاصمتهم الجديدة بغداد . ومنذ ذلك العهد بدأ فصل جديد في تطور الفكرة القومية ، فقد تخلى العباسيون عن سياسة التمييز العنصري الذي كان يتبعها بنو أمية ومع الزمن حلت محل الرابطة العنصرية رابطة اخرى جعلت للقومية العربية معنى جديدا أوسع وأثبت كما سنرى .

ففي العهد العباسي كانت اللغة العربية قد تمكنت من السيطرة التامة على سائر اللغات في البلدان التابعة للخلافة . ومع ان بعض هذه البلدان كايران والاندلس مثلا قد استطاعت بعدئذ ان تسترجع كيانها اللغوي وتتحرر من سيطرة العربية فان البلدان الاخرى التي تعرف اليوم بالشرق العربي قد ثبتت فيها اللغة العربية ثبوتا ابديا بعد ان قضت على لغاتها الاصلية فاصبح سكانها مع مرور الزمن لا يعرفون اما لهم غير هذه اللغة ، بها ينطقون ويفكرون وبأدبها وتاريخها يرتبطون ويعتزون . وهكذا نشأت قومية جديدة في العالم العربي هي قومية اللغة واندمجت فيها شتى العناصر والمذاهب اندماجا تاما حتى صار يطلق عليهم جميعا اسم العرب او ابناء العرب او الناطقين بالعربية .

هذا التعرب اللغوي كان مقره الاعظم بغداد . فمن هذه العاصمة انبعثت تلك القوة الحية التي تمكنت مع الايام من ضم شتى العناصر والمذاهب تحت لواء القومية الجديدة على اساس معنوي ثابت لم تستطع حوادث الزمن ان تزعزعه حتى الان .

واذا كان الزمن قد تمكن من القضاء على السيادة السياسية التي كانت للعرب أيام الامويين وأن يقيم على انقاضها سيادات شتى من فارسية وتركية وسواها . فان سيادتهم المعنوية ـ اعني تلك الصبغة اللغوية التي اصطبغ بها سكان الشرق العربي على اختلاف اصولهم منذ العهد العباسي ظلت صامدة تجاه احداث التاريخ وكوارثه ـ لم يقو الزمن على محوها واستبدالها بشيء اخر .

هذه الصبغة اللغوية التي بقيت لابناء العربية طوال عصور الضعف والانحطاط السياسي والاجتماعي هي التي في اواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي (وقد اشرقت عليهم انوار من الحضارة الغربية) جعلتهم يتنبهون الى انفسهم ويشعرون بوجودهم بل هي التي هيأت لهم جوا صالحا ليقظة قومية كان مبعثها شعورهم بانهم مهضومو الحقوق في السلطنة العثمانية . فقام منهم دعاة يطالبون بتلك الحقوق . وسرت دعوتهم سرا وعلنا بين الطبقات المستنيرة

وخصوصا بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ولم تكدتنتهي الحرب العالمية الاولى حتى كان شعور ابناء العربية بكيانهم القومي قد اصبح حقيقة ثابتة في نفوس الجميع . فلما انفصلت البلدان العربية عن تركيا وتحولت الى دول مستقلة بعضها عن بعض تضاربت مصالحها واصبحت كل دولة تهتم بتوطيد استقلالها الاقليمي ومع ذلك ظلت الصبغة اللغوية قوية بينهم ، ولم يمنعهم اختلاف المصالح الاقليمية من تاليف هيأة قومية عامة هي المعروفة بجامعة الدول العربية وهي خطوة الى الامام في سبيل التطور القومي .

ونحن لو دققنا النظر في هذه الظاهرة التاريخية - اعني بعث الحياة العربية بعد سباتها الطويل لوجدنا ان هذا البعث لم يكن عنصريا او طائفيا بل كان على اساس القومية العربية الجديدة التي تنتظم جميع الطوائف والعناصر على السواء وهي هذه القومية التي كان أول تكونها في بغداد أو تحت حكم بغداد بواسطة اللغة التي سادت وتوطدت في ذلك العهد فاستطاعت ان تذيب في ذاتها حضارات والسنة شتى وتكون منها ما نسميه بالحضارة العربية .

وما اشبه هذه القومية العربية في تطورها بالقومية الاميركية في الولايات المتحدة فهذه كان لها نواة هي العنصر الانكليزي . ولكنها لم تستمر كذلك اذ دخلها بالمهاجرة من شتى البلدان الغربية والشرقية عناصر ولغات اخرى ، بيد ان هذه العناصر واللغات كانت تدخل تدريجيا ، فلا تلبث ان تتغلب عليها اللغة الانكليزية وادبها فتتحول معها في وسطها الجديد الى قومية جديدة ذات نظام جديد وحضارة خاصة هي الحضارة الاميركية .

والفرق بين الحالتين ان القومية الاميركية قد حصلت بهجرة العناصر الاجنبية الى اميركا من الخارج وتحولها فيها الى امة واحدة . اما القومية العربية فقد حصلت بخروج العرب انفسهم من جزيرتهم وحملهم الى شتى الامم والشعوب لغتهم التي تغلبت على لغاتهم والفت منهم مجموعة يطلق عليها اسم الامة العربية ترتبط معا بحضارة لغوية، كانت بغداد مهدها ومبعث انوارها .

التطور الاجتماعي

وكما كانت بغداد المهد الذي نشأت وترعرعت فيه القومية العربية الجديدة كذلك كانت مهدا للعوامل التي عملت على تطور اجتماعي واسع في الحياة العربية . فالمجتمع العربي الجاهلي كان متأخرا جدا عن الامم ذات الحضارة العريقة كالفرس والرومان . واذا استثنينا بعض الحواضر جاز لنا ان نقول انه كان على العموم بدويا ليس له من العمران الا بعض اسبابه البدائية . وظلت روح البساطة البدوية سائدة فيه طوال العهد الاسلامي الاول . ذكر ابن خلدون في مقدمته انه لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب الى

الشام وشاهد ما كان قد استحدثه معاوية من ظواهر الابهة قال له ((أكسروية يا معاوية ؟)) فقال معاوية ((يا امير المؤمنين أنا في ثغر تجاه العدو وبنا الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة)) فعمر كان يمثل البساطة البدوية السائدة في الحياة العربية ، ومعاوية كان يمثل الميل الى الاقتداء بالامم المتقدمة في الحضارة ولا شك ان العهد الاموي قد خطا خطوة في هذا السبيل لكنه كان لا يزال متأثرا ببساطة الجاهلية •

فلما انتقل الملك العربي الى بغداد ازداد اتصال العرب بالامم التي حولهم واصبحت بغداد مركزا اجتماعيا عظيما لمملكة عظيمة الاتساع • فكانت الاموال تتدفق فيها مما يجبيه العمال في مختلف الامصار • فقد احصى ابن خلدون الخراج لعهد المأمون وفصله اقليما اقليما فاذا مجموعه يزيد على اربعمئة مليون درهم • فاذ اعتبرنا فارق الزمن والقيمة الشرائية للنقد في ذلك الحين وجدناه شيئا كثيرا جدا • واهم من ذلك ما كان تكتسبه بغداد من متاجرها الواسعة • فموقعها الجغرافي اعطاها ميزة تجارية عظمى اذ كانت الطريق التجارى الرئيسى بين الشرق والغرب ، مما جعلها محط الانظار وقبلة أهل الاعمال وكان لتجارها اتصال باقصى البلدان وكثيرون منهم كانوا يقومون برحلات تجارية ويجلبون البضائع من الصين وكشمير والهند وسيلان والحبشة وبلاد العجم وسواها • وقد بلغت ثروات بعضهم مئات الملايين • اضف الى ذلك ماكانت تدره عليهم الزراعة ويجمع المؤرخون والجغرافيون على وصف عناية العباسيين بها ، فقد احتفروا الانهار وانشأوا الجسور حتى جعلوا ما بين دجلة والفرات سوادا مشتبكا غير مميز تخترقه الترع ومجاري الري • وكان الخلفاء في ابان مجدهم مطلقي التصرف بما يتجمع لديهم من اموال الدولة ينفقونها في رجالهم وملاهيهم ويختزنون ما يرونه لحين الحاجة • فالمنصور مثلا خلف لابنه المهدى اكثر من ستمائة مليون درهم واربعة عشر مليون دينار • هكذا يخبرنا المسعودي •

وعن الطبري ان الرشيد مع كل ما اشتهر به من سخاء واسراف ترك وراءه تسعمائة مليون درهم وقس على ذلك ما كان يستأثر به او ينفقه سائر الخلفاء وافراد اسرهم • ومثلهم الوزراء والعمال فقد كانوا يحصلون الاموال الطائلة ويتبارون في انفاقها على الانصار والادباء وفي سبيل الترف والملاهى •

هذا الغنى العظيم الذى كان يتدفق في بغداد عن سبيل الجباية والخراج والتجارة والزراعة جذب اليها ارباب الفنون والصناعات والملاهى • فاقيمت فيها القصور والحدائق وانشئت معامل النسيج والمفروشات الانيقة وكثرت فيها اسباب اللهو والرخاء وقصدها رجال الادب والعلم من كل فج • فلا عجب ان تثب في مدة وجيزة صغيرة الى حاضرة عظيمة تبلغ

مساحتها نحو ٢٥ ميلا مربعا وعدد سكانها نحو مليونين ·

وطبيعي في مثل هذه الحال ان يتطور المجتمع العربي ويخرج عما كان عليه ايام الجاهلية وفجر الاسلام فتتغير الازياء والعادات وطرق المعيشة ويقبل الناس على الوان جديدة من الحضارة لم يالفها اسلافهم · وهو شبيه بما حدث في عصرنا الحاضر من تطور في حياتنا الاجتماعية بعد ان طغت علينا المدنية الغربية ·

والذي يذكر ان بغداد مع كل ما تولى على الخلافة وعليها من نكبات وتقلبات ظلت محافظة على مقامها الاجتماعي · يشهد بذلك الذين رأوها وقد افل نجم مجدها السياسي · ومنهم السائح بنيامين الطليطلي (سنة ٥٥٥) الذي قال عنها انها اكبر مدن العالم لايقابلها الا القسطنطينية ، والرحالة ابن جبير الذي زارها سنة ٥٨١ اى قبيل غارة التتر المدمرة فوصف باعجاب مساجدها ومدارسها وكثرة حماماتها وكانت نحو الفين ولكن رأى ذلك قليلا جدا بالنسبة الى ما كانت عليه في عصرها الذهبي ولعله يقصد ماكانت عليه يوم زارها الخطيب البغدادي وهي في ابان مجدها وذكر انه كان فيها نحو ٦٥ الف حمام · وفي ذلك ما فيه من المبالغة فاكثر الذين وصفوا عمرانها جعلوا عدد حماماتها بضعة الاف · ومهما يكن فانه يدل على عظمة المدينة واتساع عمرانها · والمتأمل في اثرها الاجتماعي يرى بوضوح انها هي التي دفعت الحياة العربية الى الامام فارتفع فيها مستوى المعيشة وازدهرت فيها الفنون والصناعات وتطورت الازياء والعادات ·

على ان التطور الاجتماعي لايعد تطورا حقيقيا اذا اقتصر على ما يمكن الحصول عليه بواسطة الثروة من اسباب الترف او ما يقود الى تغيير بعض الازياء والعادات فللتطور مقاييس اعلى واسس اثبت اهمها ارتفاع المستوى الثقافي وتنظيم المرافق الاثرية ، وتشييد المؤسسات العامة كالمدارس والمستشفيات والجمعيات والمحافظة على الامن العام · وتنظيم طرق المواصلات · وغير ذلك من اسس الحياة المدنية الراقية ويمكن القول ان التطور الاجتماعي الذي احدثته بغداد في المجتمع العربي قد تناول اكثر هذه الامور · واذا كان ينقصها انها لم تبلغ في تطورها مبلغ الامم الراقية اليوم من حيث بناء احكامها على الاسس الدستورية المعروفة · فان ارقى الدول الغربية لم تبلغ هذا المدى الا حديثا واذا قسنا حكومة بغداد التاريخية بما كانت عليه حكومات اوروبا المعاصرة لها وجدناها تتقدمهن جميعا في ميدان الحضرة والنظام ·

التطور الفكري

كانت الحياة الفكرية عند عرب الجاهلية بسيطة فاكثرهم اميون ، ومعارفهم بالنسبة الى الامم المتحضرة حولهم بدائية · فلما تمكن

الدين الجديد فيهم اخـــــذوا يستيقظون ويطلبون المعرفـــة وخصوصا بعدما خرجوا من جزيرتهم يفتحون البلاد ويمصرون الامصار. على ان الحركة العلمية لم تنشـــط عندهم الا بعد ان انتقلت الخلافـة الى بغداد . ففي هذه المدينة وضعت الاسس لقيام عمران علمي واسع جعلهم في مصاف الامم التي خدمت العلم والحضارة خدمة تذكر لهـــا مدى الايام . ومن هنا اندفعـــت تلك الموجة الحضارية التي طغـــت على اوروبا في القرون الوســـطى وحملت معها انوار المعرفة في ظلمات تلك القرون .

في بغداد ضاءت للعرب انوار العلم ووصلت العربية الى عصرهـا الذهبي وكان من اهم العوامل التي اوصلتها اليه انشاء بيت الحكمة ، ذلك المعهد الشهير الذي خصص لنقل العلوم والفلسفة عن اليونان وسواهم ولا يتسع المقام للتفصيل في ما قام به هذا المعهد فقد كثر كلام القدماء والمحدثين فيه . والواقع انه كان معهدا علميا ممتازا وكان ارباب الفكر لايكتفون بالنقل بـــل يتوفرون على الدرس والشـــرح والبحث ، فقام منهم في كل فروع العلوم نوابغ اضافوا الى الثـــروة الفكرية التي اكتسبوها من القدماء ثروة مما حصلوه بالبحث والتنقيب والتجربة .

في بيت الحكمة ثم في ما نشأ على مثاله في الشرق العـــربي وفي الاندلس اكتسبت اللغة العربية ما جعلها لغة علمية عالمية حتى ظـــل العالم قرونا يرد مناهلها ويستنير بانوارها . ويكفي ان نذكر ان بغداد كانت مهدا لاول مرصد فلكي في العالم الاسلامي . انشيء بعنـــاية المأمون وكان له اثر كبير في ترقية العلوم الفلكية . وفيها انشيء اول مستشفى طبي وكان يرأسه ابوبكر الرازي المشـــهور وفيها نبـغ أول فلاسفة العرب اعني الكنـــدي وفي معاهد بغداد نظمت الارقام الهندية ثم نشرت في انحاء المعمورة فاصبحت اسس الحسابات الرياضيـــة في الشرق والغرب . ومنهـــا خرجت علـــوم جديـــدة في الرياضيات والجبر وارصاد فلكية جديـــدة اعتمدها الفلكيون في كل الاجيال، وحقائق طبية ظلت معتمد الاطبـاء مئات السنين . ويضيق الوقـــت لو تكلمت بالتفصيل عما قدمتـــه بغداد في هذه الحقول وسواها ــ فقد ذكره المؤرخون في كتبهـــم ومن السهل الرجوع اليه . واذا قيل ان هؤلاء العلماء الذين اخرجتهـــم بغداد او اجتذبتهم فعملوا فيها لـــم يكونوا او لم يكن اكثرهم مـــن العرب فكيف اثروا في تطور الحياة العربية . اجبنا ان ماقدموه للعالم كان بواسطة لغة العرب فهم مهما تكن اعراقهم الاصلية ابناء العربية بها كانوا يفكرون ويبحثـــون ويؤلفون واليها روحيا وعقليـــا ينتمون . واذا ذكرهم التاريخ فانما يذكرهم بها لا بانسابهم العرقيـــة التي طغت عليها ثقافتهم اللغوية .

ومما يذكر لبغداد وتعـــد السابقة او الرائدة فيه ما احدثته

من تطور في نظام التدريس فقد كان التدريس قبل عهدها يجري في حلقات تعقد في المساجد والزوايا او في حوانيت السوق والوراقين ، او في بعض بيوت خاصة . اذ لم تكن قد نشأت بعد المدارس المنظمة المختصة للتعليم واول مدرسة علمية هي المدرسة النظامية التي انشأها في بغداد الوزير نظام الملك وذلك سنة ٤٥٩ هجرية . ثم نشأ على منوالها مدارس اخرى حتى بلغ عددها في بغداد نحو ٣٥ مدرسة . ومنها المستنصرية التي انشئت سنة ٦٣١ وسواها . ففي بغداد وضعت اسس التعليم العالي وهي صاحبة الفضل في ترقية التعليم في تاريخ العرب .

ومما نشأ في بغداد وكان له اثر كبير في تطور الحياة العربية صناعة الورق . ولم يكن الورق معروفا قبلا الا في الصين . فادخله تجار العرب الى عاصمة الخلافة ايام المنصور . ولم يلبث ان نشأت فيها معامل ظلت مئات السنين تزود العالم العربي وسواه بهذه المادة الضرورية لتقدم العلم ومن الطبيعي ان يؤول ذلك الى نشاط ظاهر في التأليف وبيع الكتب . وقد كان في بغداد سوق لباعة الكتب يسمى سوق الوراقين يضم عددا كبيرا من الحوانيت المخصصة لبيع الكتب . عدوا منها مئة عند باب البصرة فقط . وكانت هذه المكتبات مقصد اهل الادب والعلم . وبظهور الورق توطد عهد التدوين المنظم واصبح للعلماء وسائل افضل للتقطير والبحث والتمحيص والتوسع فلا بدع ان يكثر عدد المؤلفات العلمية والادبية وان تصبح بغداد موردا كبيرا لطلاب الاداب والعلوم والمركز الاهم لنشر المباحث الفلسفية والرياضية والفلكية والطبية وسواها حتى كانت تعج بقصادها والعاملين فيها من اهل العلم والادب . ففي عهد الرشيد والمأمون مثلا كان فيها مالايقل عن ٩٠٠ طبيب ناهيك بسائر ارباب الصناعات والعلوم العقلية والنقلية .

هذه هي بغداد وأثرها التاريخي في حياتنا القومية وكيفما حاولنا ان نفسر التاريخ العربي فانه لا محيص لنا عن ان نعترف لها بالفضل الاكبر في ما قدمته للعرب وغير العرب . وما احدثته في حياتهم من تطور ظاهر في حياتهم القومية والاجتماعية والفكرية .

واذا كنا اليوم نعتز بقومية عربية تشمل جميع العناصر والمذاهب على السواء وبلغة استطاعت ان تخدم الحضارة والعلم قرونا عديدة وان تترك طابعها العالمي على صفحات التاريخ ، فانما الفضل في ذلك لهذه المدينة التي بتاثيرها اصبح للعرب في تاريخ الحضارة صفحة وضاءة من صفحات المجد الخالدة ...

بلاد أوربية حضرها العرب

ناجي معروف

يظهر للباحث ان العرب بعد اسلامهم حاولوا ان يفتحوا قارة اوربة من ثلاث طرق رئيسة • الأول : من الشرق ، وهو طريق القسطنطينية • والثاني : من الغرب ، وهو طريق الأندلس • والثالث : من الوسط ، وهو طريق صقلية وايطالية •

وقد استطاع العرب أن ينفذوا اليها من هذه الطرق الثلاث في خلافة الأمويين • واستمر جهاد المسلمين بعد ذلك في خلافة العباسيين ، والفاطميين ، والعثمانيين ، قرونا عديدة حتى تغلغل العرب ، والمسلمون فيها ، وحكموا بعض اقطارها مدة طويلة من الزمن • فقد حكموا الأندلس أكثر من ثمانية قرون ، وحكموا في صقلية • وظل تأثير الاسلام فيها أكثر من خمسة قرون • وحكموا اجزاءا مختلفة من فرنسة وايطالية مددا متفاوتة • كما استولوا على جزر البحر الابيض المتوسط بأسرها تقريبا ، اذ استولوا على قبرص ، وارواد ، ورودس ، وكريت ، ومالطة ، وصقلية ، وقوصرة ، وساردينية ، وكورسيكة ، وجزر الباليار : ميورقة ومنورقة ويابسة •

وقد تمكن العرب أن ينشروا في هذه البلاد دينهم ، ولغتهم ، وخطهم ، وعاداتهم وتقاليدهم • وأن يتركوا فيها آثارا رائعة من حضارتهم الزاهرة ، وفنونهم الرفيعة • وان يهذبوا طبائع الاوربيين وأذواقهم •

وقد زال سلطان العرب السياسي أول الأمر من فرانسة ، وبعض جزر البحر الابيض المتوسط • ثم من ايطالية ، وصقلية في فترات مختلفة من الزمن • وأعقب ذلك زوال سلطانهم السياسي نهائيا من الأندلس سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٢م) فلم يبق للاسلام نفوذ سياسي الا في القسطنطينية ، والبلاد الأوربية التي خضعت للعثمانيين • وقد ظلت القسطنطينية مدينة أسلامية ، وعاصمة للخلافة نحو خمسة قرون من سنة ٨٥٧ (١٤٥٣م) حتى سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٣ م) •

وسنحاول في هذا البحث أن نشرح بعض صفحات من تاريخ العرب في أوربة خلال القرون الوسطى شرحا ينير لنا صفحة مشرقة ناصعة من تاريخ

الامجاد العربية ، والاسلامية تكاد تكون مجهولة حتى لدى الطبقة المثقفة الواعية من ابناء هذه البلاد ٠

ان الحديث عن تاريخ العرب في اوربة حديث ذو شجون وآلام ،فقد غلب العرب على قسم كبير من جنوبي اوربة وأصبحت لهم مع أهلها صلات وثيقة في الأندلس ، وفرنسة ، وصقلية ، وايطالية ، وجزر البحر الابيض المتوسط بأسرها ٠ وأثرت حضارة العرب في تثقيف الغرب وتمدينه وكانت من جملة العوامل المهمة في نهضة أوربة وانبثاق عصر النهضة الحديثة فيها٠

وتأريخ العرب في اوربة الى جانب ذلك كله يمثل مأساة مؤلمة تشجي اولئك الذين يستعرضون ادوارها بوجه خاص في صقلية ، واسبانية ، وبعض جزر البحر الابيض المتوسط ، حيث كان يقيم خلفاء المسلمين ، وأمراؤهم ، وسلاطينهم ، ورجالات العرب ، وقادتهم ٠ وظل تأريخهم يدوي في هذه الآفاق ، ويوجه مصائر الأمم قرونا ٠ ويقدم للانسانية أجل الخدمات ، وأروعها ٠ وانت اذا ما تنقلت اليوم في ربوع هذه الآثار العربية الخالدة ، والابهاء الفخمة ، والصروح العظيمة غالبك الدمع ، وزاحمت صدرك العبرات، وفاضت نفسك حسرات، توجعاً وأسى على أمة جوزيت بأشد ما سجل تاريخ الانسانية من ضراوة ، ووحشية ، لأن قصة العرب ، والمسلمين في اوربة تزخر بأنواع الاستشهاد المؤلم ٠ وتفيض بألوان من الأباء ، والبسالة، والاقدام ٠ ولا يزال الاوربيون انفسهم من اسبان ، وايطاليين ، وفرنسيين وغيرهم يستنكرون الاجراءات التعسفية التي اتخذت نحو العرب ، والمسلمين ويصفونها بالبربرية الفاشية ، والهمجية المتوحشة ٠ وتثير أبلغ العطف في نفوس المنصفين منهم ٠

لقد رحلت الى اوربة رحلتي الاولى عام ١٩٣٦م وكانت تدفعني رغبة خاصة في الاطلاع على ما خلفه اجدادنا في هذه الربوع ، وما تركوا فيها من مدينتهم ، وحضارتهم فتعقبت خطواتهم في فرنسة ٠ وزرت كل الاماكن التي تم فتحها على ايديهم في خلافة الأمويين مثل : قرقشونه Carcassonne

واربونة Narbonne ونيمة Nime ومونبيليير Monbilier

وبوردو Bordeaux وبواتييه Poitier وتور Tour

ونهر اللوار La Loire ٠٠٠ الخ

وزرت في صيف سنة ١٩٦١م جزر البحر الابيض المتوسط وبلاد الاندلس حيث تمكنت أن اقضي اكثر من شهرين زرت خلالهما الاماكن التي فتحها العرب كجزيرة قبرص ورودس ، وكريت ، وصقلية ، وايطالية ، وجزيرة ميورقة من جزر الباليار ، وبلاد الاندلس أي اسبانية ، والبرتغال٠ فزرت أهم مدنها ، واماكنها ، وصروحها اذكر منها بوجه خاص لشبونة وشنتوبن بلد ابن البسام صاحب الذخيرة ٠ وقرطبة ، واشبيلية ، وقادس، وطريف ، والجزيرة ، ومالقة ، ولوشة بلدة لسان الدين بن الخطيب ، ثم

غرناطة وبرشلونة وغيرها من البلاد • وقد جمعت عنها من الوثائق والصور والاخبار الشيء الكثير •

لقد كان للصحابة والتابعين ، وكبار قادة العرب ، وامراء البحار منهم ، في خلافة الراشدين ، والأمويين ، ومن جاء بعدهم البلاء الحسن في فتح هذه البلاد الاوربية التي امتدت من القسطنطينية شرقا الى لشبونة غربا ومن مالطة جنوبا حتى اسفل باريس بمئة ميل فقط •

ويمكننا أن نذكر المئات من هؤلاء الرؤساء ، وامراء البحر ، وقادة الاساطيل ، الذين كان لهم ذكر خالد في فتوح هذه البلاد ، وعمارتها • منهم على سبيل المثال : الصحابيان : ابو ايوب خالد الانصاري • وفضالة بن عبيد الانصاري اللذان حاصرا القسطنطينية • واشتهر في فتح قبرس معاوية بن أبي سفيان وزوجته • وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان • وكانت أول من استشهد في هذه الجزيرة • وقد شيد العثمانيون على ضريحها مشهدا كبيرا يعرف بتكية أم حرام لا يزال قائما حتى اليوم في (كارناكا) • واشتهر جنادة بن امية الازدي في فتح جزيرتي رودس ، وكريت • اما عبدالله بن قيس ، وهو أحد امراء البحر ، فقد قام بخمسين غزوة بحرية في البحر الأبيض المتوسط في خلافة معاوية بن ابي سفيان • واشتهر موسى بن نصير البكري ، وطارق بن زياد الليثي ، ومغيث الرومي في فتح الاندلس • والسمح بن مالك الخولاني وعبدالرحمن الغافقي في فتح فرانسة • واما صقلية فقد توجه اليها أسد بن الفرات قاضي الاغالبة ووزيرهم بعد أن أتم دراسته على المذهب الشافعي في مصر ، والمالكي في الحجاز ، والحنفي ببغداد • وقاد الجيش في خلافة المأمون ، واستشهد تحت أسوار « سرقوسة » في صقلية • وتمكن خفاجة بن سفيان احد اولاة الاغالبة ان يحتل بعض مدن صقلية • وتمكن ابنه محمد ان يحتل جزيرة مالطة ، ويقضي على النفوذ البيزنطي فيها • ويتخذ منها قاعدة بحرية للاساطيل العربية ، وحماية الممتلكات الاسلامية في البحر الابيض المتوسط ، وسواحله الجنوبية • وتمكن الاغالبة وهم من بني تميم من فتح صقلية بأسرها ، والعبور الى ايطالية سنة ٢١٩هـ • وفتح الاقسام الجنوبية منها المعروفة بـ « قلورية » وهي منطقة (كلابريه Calabria) اليوم • كما تمكنوا من انشاء امارة اسلامية كبيرة في مدينة « باري » الايطالية المعروفة • وقد دامت ثلاثين سنة • ومن باري Bari هذه كان العرب يجهزون الجيوش البرية ، والبحرية لفتح روما • كما اتخذوا من مدينة « تارنت » الايطالية قاعدة لهم منها يرسلون جنودهم للفتح في سائر انحاء ايطالية •

وقد حاصر العرب روما واستولوا على مينائها البحري « اوستيا » • ودخلوا الفاتيكان • واستولوا على كنيستي القديس بولص ، والقديس بطرس واحترموهما • ولم يهدموا منهما شيئا • واضطر البابا يوحنا في القرن التاسع الميلادي (سنة ٢٥٩هـ ـ ٨٦٩م) أن يدفع للمسلمين الجزية

سنتين كاملتين ٠

ويظهر ان العرب في القرن الرابع الهجري جهزوا حملات عبرت جبال الالب حتى وصلت اوربة الوسطى ٠ وفي منطقة الألب اليوم عدد من القلاع الضخمة ترجع الى عهد الفتح الاسلامي كما أن الابراج العربية لا تزال قائمة على شواطيء مدينة نابلي ٠ وكانت تذاع منها اخبار وصول الاساطيل العربية القادمة من صقلية ، وافريقية ٠

ولقد أنعم العرب على صقلية ، وايطالية ، والجزر القريبة منها كمالطة، وقوصرة ، وسردينية بنعم الحضارة العربية كما أنعموا بها على اسبانية ، والبرتغال ٠ حتى ليذكر المؤرخون أن صقلية بعد أن خسر العرب فيها سلطانهم السياسي ، ظلت متأثرة بالحضارة العربية قرنين كاملين ٠

ويذكرون ان فردريك الثاني الذي كان يسمى امبراطور المانية ،وملك صقلية كان يحسن العربية ، ويجمع في بلاطه علماء المسلمين ، وعلى رأسهم الادريسي الجغرافي العربي العظيم ٠ ويتقن فلسفة ابن رشد ، ويدافع عنها٠ وكان يحيى حياة سلطان من سلاطين المسلمين ويقول: «ان عيسى كان فقيرا يحب الفقراء ، فما بال الرهبان ، ورجال اللاهوت يجمعون الثروات الطائلة ويعيشون في الترف والنعيم » لذلك تحامل عليه البابا ، ورجال الدين ٠ واشتد تعصبهم على المسلمين ٠ واخذوا يمعنون في تتبعهم والتنكيل بهم ، واحراقهم ٠ حتى ليذكر ابن الاثير ان ملك النورمان « روجر الاول » لم يترك في صقلية لاهلها المسلمين حماما ، ولا دكانا ، ولا طاحونا ، ولا فرنا ٠ ولذلك صار المسلمون في صقلية يخرجون منها باستمرار ، والألم يحز في نفوسهم ، ويثير حفائظهم ٠ وقد ظهر هذا الألم في قصائد شعرائهم ، ولا سيما فيما نظمه ابن حمديس الصقلي في رثاء وطنه صقلية حيث يقول من قصيدة طويلة ٠

اعاذل دعني أطلق العبرة التي
عدمت لها من احمل الصبر حابسا

ومنها :

وعزيت فيها النفس لما رأيتها
تكابد داء قاتل السم ناحسا
وكيف وقد سيمت هوانا وصيرت
مساجدها أيدي النصارى كنائسا
اذا شاءت الرهبان بالضرب انطقت
مع الصبح والامساء فيها النواقسا
صقلية كاد الزمان بلادها
وكانت على أهل الزمان محارسا
فكم أعين بالخوف أمست سواهرا
وكانت بطيب الامن منهم نواعسا

أرى بلدي قد سامه الروم ذلة
وكان بقومي عزه متقاعسا
وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه
فأضحى لذاك الخوف منهن لابسا
عدمت اسودا منهم عربية
ترى بين ايديها العلوج فرائسا
فلم تر عيني مثلهم في كتيبة
مضارب ابطال الحروب مداعسا
أما ملئت غزوا قلورية[٢] بهم
وأردوا بطاريقا بها وأشاوسا
وساقوا بأيدي السبي بيضا حواسرا
تخال عليهن الشعور برانسا
أفي قصريني رقعة يعمرونها[٣]
ورسم من الاسلام اصبح دارسا
مشوا في بلاد أهلها تحت أرضها
وما مارسوا منهم ابيا ممارسا
ولو شققت تلك القبور لأنهضت
اليهم من الاجداث أسدا عوابسا
ولكن رأيت الفيل ان غاب ليثه
تبختر في ارجائه الذئب مائسا

واخيرا ضيق المسيحيون في صقلية الخناق على المسلمين فاركبوهم البحر الى شمالي افريقية • كما وجهوا همهم الى مالطة فأخرجوا منها من بقي من المسلمين في القرن السابع الهجري • وأما مأساة العرب في الاندلس فسأفرد لها فصلا مستقلا •

ومما هو جدير بالذكر أن العرب لما فتحوا هذه البلاد التى ذكرتها وجدوا فيها كثيرا من الآثار الفينيقية ، والاغريقية ، والرومانية كالمسارح الواسعة ، والمعابد الفخمة ، والهياكل الضخمة ، والقناطر المائية ، والحصون المنيعة ، والاسواق العظيمة ، والقصور العجيبة ، والتماثيل الجميلة ، والابراج الشاهقة فلم يتحرشوا فيها • ولم يهدموا منها شيئا ، بل احتفظوا بها واحترموها على الرغم من أن أغلبها وثنى • وبذلوا جهدهم فى أصلاح بعضها ، والاستفادة منها • ويمكننا ان نشير بوجه خاص الى ان العرب الفاتحين حافظوا على بيع النصارى ، وكنائس اليهود ، ولم يخربوها سواء كان ذلك في اسبانية ، البرتغال ، وسائر جزر البحر الابيض المتوسط ، وباقي البلاد النصرانية الاخرى التي أستولوا عليها •

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أيضا أن العرب ابقوا تقريبا على جميع المعابد الوثنية في المشرق كبلاد فارس ، والهند ، وتركستان • ولم

يهدموا الا ما كان منها في جزيرة العرب • ان هذه الاعمال ان دلت على شيء فانها تدل بوضوح تام على نبل العرب ، وتسامحهم ، وسعة مداركهم • كما ان ابقاءهم على هذه الآثار التى خلفتها القرون الخالية يدل على الاعتبار الذى طالما نادى به القرآن الكريم اولي الالباب حين يخاطبهم بقوله : « قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » « أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم امر الله عليهم ، وللكافرين امثالها »

ولا شك فى أن العرب من الناحية الاخرى كانوا يؤكدون بعملهم هذا عظمة انتصارهم على الامم ، ومبلغ هدايتهم لمن أستطاع ان يخلف مثل هذه المخلفات العظيمة • اما الاسبان ، والايطاليون ، واليونان وغيرهم ممن عمدوا الى محو آثار العرب فأنهم حاولوا الا يبقوا امام الاجيال القادمة شواهد تدل على رقي حضارة العرب المغلوبين ، ومستوى معيشتهم الرفيع ومكانتهم السامية ، وليبرروا ما قاموا به من أعمال وحشية فى تنصير المسلمين ، أو قتلهم ، أو احراقهم ، أو نفيهم أو سجنهم • وليشيدوا ويفخروا بالظفر الذى احرزته النصرانية على الاسلام •

وبهذه العقلية نفسها أدرك رئيس اساقفة اسبانية الكردينال « اكزيمنس » ان حرق الكتب العربية سوف يمحو آثار العرب الفكرية ، والثقافية فى اسبانية ويقضي على العرب والمسلمين فيها • ولذلك عمد كما تقول الروايات التاريخية الى حرق (٨٠ ألف) كتاب عربي فى ساحة غرناطة بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢م بسنين قلائل ، عدا بضع مئات من كتب الطب ، والعلوم • ويعلق الاستاذ كوستاف لوبون على ذلك بقوله : لقد هدم الاسبان أكثر المساجد الاسلامية العظيمة • وأزالوا معالمها • وحولوا كافة المؤسسات الاسلامية الى مؤسسات مسيحية على الرغم مما تنطق به الكتابات العربية التى لا يزال بعضها فى جامع طليطلة(٣) ، وجامع اشبيلية(٤) ، وجامع قرطبة(٥) وغيرها من المنشآت الاسلامية التي تتخذ اليوم كنائس عظمى •

ويبدو أن هذه الاجراءات التى اتخذوها كانت فى نظرهم امورا طبيعية لان القوم الذين لم يقف تعصبهم عند حد ، ارادوا بعد أن قرروا تنصير الملايين من المسلمين بالحديد والنار الا يرى المسلم المتنصر أثرا اسلاميا سواء أكان مسجدا ام مدرسة ، مما يذكره بأمجاد اسلافه ، وحضارتهم الزاهرة • كما أنهم من الناحية الاخرى قد غالوا فى تفخيم الكنائس وأبراجها ، وفي زخرفتها ، وحليتها ، وملئها بالتماثيل ، والتصاوير ، لتبهر عقول هؤلاء المسلمين المتنصرين ، وابنائهم • وليوحوا اليهم ان هذه الكنائس المسيحية خير من المساجد الاسلامية وان المسيحية أفضل من الاسلام • ولذلك عمدوا الى تخريب كل اثر اسلامي ، واقامة الآثار المسيحية بدلا منها في كل مكان •

ولقد بلغ التعصب بالقوم ، والاسراع فى تعميم التنصير ، ومحو كل أثر للاسلام درجة كبيرة بحيث أصدروا على وجه الاستعجال كثيرا من القوانين الصارمة تباعا خلال قرن وربع القرن منذ سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م حتى سنة ١٦١٤م .

ويمكننا ان نشير الى هذه الاحداث المؤلمة بايجاز تام . وننقل بعض صورها المفجعة فيما يأتى :

لقد كانت شروط تسليم غرناطة تتكون من ٦٧ شرطا . وكان فيها أول الامر كثير من التسامح مع العرب غير ان الاحبار لم ترق لهم هذه الشروط فظلوا يلحون على الملكين الكاثوليكيين : فردناند وايزابلا(٦) طالبين اليهما السعى فى سحق طائفة « محمد » فى اسبانية . وان يخير الذين يريدون البقاء فى البلاد ، بين التنصير وبين بيع املاكهم والعبور الى المغرب . ومما ساعد على ذلك ان فردناند لم يكن يعتبر نفسه ملزما بالعهود التى يقطعها على نفسه عندما كانت هذه العهود تعارض سياسته ، وأهدافه. وقد اتبعت الكنيسة العنف ، والشدة فى تنفيذ هذه السياسة ، وحرفت نصوص المعاهدة نصا نصا . ولما اعلن المسلمون تذمرهم ، واستنكارهم أعلن مجلس الدولة الزام المسلمين باعتناق النصرانية ، ونفى المخالفين منهم . عند ذلك ثار المسلمون فى نواحى غرناطة وكانوا يومئذ عزلا من السلاح فمزقتهم جيوش النصارى الاسبان بشدة وصرامة .

وفى سنة ٩٠٥هـ ، ١٤٩٩م دعا فردناند رئيس اساقفته الكردينال « اكزيمنس ، اوخمنيس » الى مهمة خطيرة وهى: العمل على تنصير المسلمين جملة . فجمع الفقهاء المسلمين فى المدينة ، وأجزل لهم العطاء ، وفرق فيهم الهدايا ، والتحف . وهدد أعيان المسلمين ، ووجوههم بارغامهم على التنصير من جهة أخرى . وتمكن من تنصير عميد آل الثغري فى غرناطة قسرا . وأطلق عليه اسم « فرناندي ثكري » . كما نصروا أخا السلطان ابي عبدالله وسموه « الدوق خوان دي كرنادا » وعم التنصر انحاء غرناطة بأسرها . وكانت الجيوش الاسبانية تمزق كل مقاومة بدون رأفة ولا رحمة . وابتلي المسلمون من أجل ذلك بمحنة وهموم كانت تشجيهم وتأكل قلوبهم وتذيبهم حزنا . اذ كان حب الوطن ، وخوف الفاقة ، وهموم العرض والأسرة تحمل كثيرا من المسلمين على الخضوع ، والاذعان . فتنصروا رغم انوفهم . ومع ذلك فقد عد الاسبان اولئك المتنصرين خونة مارقين . ولم يطمئنوا اليهم . واستطاع سكان الجبال من المسلمين ان يقوموا بحركات ترمي الى مقاومة الحكومة ومكافحة مبدأ التنصير . فجهز عليهم فرناند جيوشا كثيفة للقضاء عليهم . عند ذلك فضل المسلمون النفي الى افريقية فخيرتهم الحكومة بين ان يعتنقوا النصرانية فى ٣ أشهر ، وبين ان يغادروا البلاد تاركين وراءهم اموالهم ، واملاكهم ، للدولة . فاعتنق الآف منهم النصرانية مخافة السجن ،

والتعذيب .

وفي سنة ١٥٠١م أصدر الملكان الكوثوليكيان الديباجة التالية وهي : انه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة فأنه يحظر وجود المسلمين فيها . فأن وجد بعضهم فأنه يحظر عليهم الاتصال بغيرهم مخافة أن يتأخر تنصيرهم . وعليهم ألا يتصلوا بالمتنصرين لئلا يفسدوا ايمانهم . والمخالف يعاقب بالموت او مصادرة الاموال .

وثار المسلمون في شعاب الجبال المختلفة. وهزموا جيوش فردناند . وقتلوا عددا من كبار قادته . ولكن فردناند عندما رأى قوة المسلمين أراد ان يتبع معهم اسلوبا آخر هو أسلوب العفو والاغراء . فعفا عن الثوار المسلمين على أن يعتنقوا النصرانية خلال ثلاثة أشهر ، او يبرحوا الأندلس تاركين وراءهم أموالهم وممتلكاتهم للدولة الاسبانية . فغادرها كثير منهم الى شمالي افريقية . وامتنع قوم من التنصر في قرى ومدن كثيرة « فجمع لهم الاسبان الجموع وأستأصلوهم على بكرة أبيهم قتلا وسبيا » كما يقول المقري(٧) .

وفي السنة ١٥٠١م نفسها اصدر فردناند قانونا يمنع المسلمين من حياة السلاح منعا باتا . وقد نص هذا القانون على معاقبة المخالف للمرة الاولى بحبسه ومصادرة سلاحه . واذا تكرر منه ذلك حكم عليه بالموت . وقد نفذ هذا القانون بمنتهى القسوة ، والصرامة على الثوار في مختلف الظروف .

وبدأت محاكم التفتيش عملها لاول مرة في اشبيلية سنة ١٤٨٠م حيث اجتمع ديوان التحقيق فيها لمحاكمة اليهود المتنصرين . وحكم على الوف منهم بالاعدام . كما حكم على الكثيرين منهم بالسجن ، والغرامات الفادحة ، ومصادرة املاكهم ، ومعابدهم . واسقاطهم من الحقوق المدنية . كما بدأ الديوان بمحاكمة المسلمين المتنصرين وكان اذا ثبت للمحكمة كفرهم ، وزيفهم حكم عليهم بالاعدام حرقا في الميادين الكبرى ، وفي احتفالات رسمية يشهدها الاحبار ، ورجال الدين ببزاتهم الكهنوتية . وكان الاحراق الرهيب ينفذ في مجموعات قد تبلغ العشرات في احتفالات عامة بمواكب تسمى : (Au - Toda - Fé) . وقد ظلت هذه المحارق تلتهب المسلمين ، والمتنصرين منهم على السواء بعد أن انكرتهم الدولة ، والكنيسة معا . وخاسوا بعهودهم لهم ، بالاضافة الى ارهاقهم ، وانتهاك حرمتهم . ويذكر المؤرخون الاسبان ان فردناند كان يتلذذ بمشاهدة هذه المناظر الفظيعة . وانه كان يوصي حفيده شارلكان ان يختار المتحمسين من النصارى لسحق طائفة « محمد » (٨) .

ومن الغريب حقا ان قانون هذه المحكمة كان يجوز محاكمة الأموات فأذا ادين الموتى صودرت اموالهم ، وصنعت لهم تماثيل ينفذون فيها عقوبة الاحراق او تبش قبورهم ، وتحرق جثثهم في مواكب الاحراق المذكورة

آنفا . وكانوا يؤذون اقرباء المحكوم عليه بحرمانه من الوظائف او ممارسة بعض المهن المعينة .

ولما كثرت الهجرة والهروب من اسبانية اصدرت الحكومة الاسبانية في سنة ١٥٠٢ أمرا يمنع اي تاجر او اي ربان في أية سفينة من السفن ان ينقل متنصرا بدون اذن . وفي الوقت نفسه كان للحكام سلطة مطلقة لا يتحرجون معها من ارتكاب افظع الاعمال في سبيل ملء جيوبهم بالرشى، والاغتصاب . ولهذا انتشرت الآثام ، وامتدت جرائم السرقات ، والاعتداء على الاعرض في كل مكان عدة قرون .

ويذكر المؤرخون الاسبان وثيقة في غاية الغرابة والخطورة في تعريف الموريسكي ، أو المسلم المتنصر ، أو المسلمين الاصاغر ، ويراد بهم المسلمون الذين بقوا في اسبانية بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م ، تذكر بعض فقراتها التي تعد المتنصر قد عاد الى الاسلام اذا اقترف أحد الامور التالية :

١ – اذا امتدح دين محمد ٢ – اذا قال ان المسيح ليس الها ٣ – اذا أكل اللحم يوم الجمعة ، او ارتدى ثيابا فيها أنظف مما يرتدي في سائر أيام الاسبوع ٤ – اذا استقبل المشرق وقال : بسم الله ٥ – اذا ربط أرجل الماشية قبل الذبح ، واذا لم يأكل التي لم تذبح ، أو ذبحتها امرأة ٦ – اذا ختن أولاده ٧ – اذا سمى أولاده بأسماء عربية ، أو رغب في تسميتهم بأسماء عربية ٨ – اذا أعلن أنه يجب ألا يعتقد الا بالله وبرسوله محمد ٩ – اذا أقسم بأيمان القرآن ١٠ – اذا صام رمضان وتصدق فيه ١١ – اذا لم يأكل ولم يشرب الا عند الغروب ١٢ – اذا أكل الطعام قبل الفجر ١٣ – اذا امتنع عن أكل لحم الخنزير ١٤ – اذا لم يشرب الخمر ١٥ – اذا توضأ وولى وجهه نحو الشرق وركع وتلا شيئا من القرآن ١٦ – اذا تزوج بحسب الشريعة الاسلامية ١٧ – اذا غنى أغاني عربية ١٨ – اذا أقام حفلة رقص وموسيقى عربية ١٩ – اذا خضبت المرأة يديها وشعرها ٢٠ – اذا غسل الموتى ، وكفنهم في أثواب جديدة ، او اذا دفنهم في أرض بكر ، أو غطى قبورهم بالاغصان الخضراء ٢١ – اذا استغاث بمحمد ونعته بالنبي او الرسول ٢٢ – اذا قال : ان الكعبة اول بيت اسس لعبادة الله ٢٣ – اذا قال : ن اسلافه وسعتهم رحمة الله لأنهم ماتوا على الاسلام(٩) .

وفي السنة ١٩٢٤م أصدر الامبراطور شارلكان مرسوما ينص على ما يلي : ١ – تنصير كل من بقي على دينه من المسلمين ، واخراج كل من يرفض النصرانية من البلاد في مدة معينة ٢ – معاقبة كل مسلم يرفض التنصر او الخروج في المدة المضروبة له بالرق مدى الحياة ٣ – قلب جميع المساجد الباقية الى كنائس .

وفي سنة ١٩٢٦م أصدر الامبراطور مرسوما آخر ينص على : ١ – ارغام

المسلمين الذين نصروا كرها على البقاء في اسبانية باعتبارهم نصارى • كما يحثهم على تنصير اولادهم كافة ٢ ـ أنهم اذا ارتدوا عن النصرانية حكم عليهم بالموت والمصادرة ٣ ـ ان تحول المساجد الباقية الى كنائس في الحال •

وثار المسلمون فى كل مكان نتيجة لهذه المراسيم القاسية • ولكن ثوراتهم اخمدت جميعها • وأمنهم الامبراطور على أنفسهم على أن ينصروا : وابدلت عقوبة الرق بالغرامة • وتنصر المسلمون رغم انوفهم •

وبعد هذه التكبات المتوالية أصدرت الدولة والكنيسة في سنة ١٥٢٦م مراسيم ، وقوانين عديدة حتمت : على المسلمين : ١ ـ الامتناع عن بيع الحرير ، والذهب ، والفضة ، والحلي ، والاحجار الكريمة ٢ ـ ان يحملوا شارة زرقاء في قبعاتهم تمييزا لهم عن غيرهم ٣ ـ الامتناع عن حمل السلاح منعا باتا ويعاقب المخالف بالجلد ٤ ـ أن يسجدوا في الشوارع عند مرور كبير الاحبار ٥ ـ ان يغير الموريسكيون فى غرناطة ملابسهم العربية ٦ ـ ان يتخذوا اللغة القشتالية لغة لهم بدل العربية ٧ ـ والا يتخاطبوا باللغة العربية علنا •

وقد تشددت الحكومة الاسبانية ورجال الدين ، وديوان التحقيق فى تطبيق هذه الاوامر • وانشئت لها في غرناطة محكمة خاصة للنظر في معاقبة المخالفين • وبذل المسلمون جهودا كبيرة لتخفيف وطأة هذه القوانين ، والأوامر مقابل دخولهم فى النصرانية • وتقدم الى الامبراطور ثلاثة من اكابر دونات غرناطة وهم من سلالة امراء غرناطة المسلمين الذين تنصروا بعد سقوطها يطلبون التخفيف على الموريسكيين وخضع الموريسكيون لكل ما طلب منهم • وقدموا للامبراطور مبلغا كبيرا من المال مقابل السماح لهم بارتداء ملابسهم العربية •

وفي سنة ١٥٤١م عندما شعرت الحكومة بميل الموريسكيين الى مغادرة البلاد أخذت تقمع الهجرة بمنتهى القسوة والصرامة • وأصدرت امرا يقضي ١ ـ بمنع الموريسكيين من تغيير مساكنهم ٢ ـ بمنعهم من الهجرة الى بلنسية الواقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط لئلا يغادروا البلاد منها الى شمال افريقية عن طريق البحر ٣ ـ تحريم الهجرة من اى ميناء كان الا بعد دفع ضريبة باهظة •

ولما ولي العرش فيليب الثاني سنة ١٥٥٥م أشتد فى اضطهاد المسلمين لانه كان متعصبا تعصبا شديدا عليهم • وكان ينقاد انقيادا اعمى للكنيسة وأحبارها • وتمكن من اخماد تلك الجذوة من الدين الاسلامى اذ عم التنصير على عهده فى كل مكان • واستطاع ان يصدر عددا من القوانين الصارمة ، والاوامر المشددة والاجراءات التعسفية ، منها : ١ ـ قانون يمنع الموريسكيين من حمل السلاح منعا باتا ٢ ـ قانون يحرم استعمال اللغة العربية • وكان هذا القانون اشد ايلاما ، واقسى من كل ما صدر

من قوانين لاضطهاد المسلمين ٠ والمتنصرين منهم ٠

وفي سنة ١٥٦٦م أمر بتجديد القانون القاضي بتحريم اللغة العربية ، والثياب العربية الذى كان نافذا فى عهد ابيه ٠ وبذلك استطاع ان يقضى على اللغة العربية ، والتقاليد العربية ، وتلك الروابط المتينة التي كانت من أقوى العوامل فى توثيق الصلة بماضيهم المجيد ، وتراثهم العظيم ٠ وكانت أساس قوتهم ومعنويتهم ٠

وقد رأى بعض الاحبار ان يتعلم القسس اللغة العربية ، لكى يتمكنوا من ترسيخ العقيدة المسيحية فى نفوس المورسكيين ٠ لكن فيليب الثانى رفض هذا الرأى ٠ وأصدر أوامر غريبة نفذت بكل قسوة وصرامة فى مواعيدها المحددة لها ٠ ومن هذه الاوامر : ١ ـ أن يتعلم ابناء المورسكيين اللغة القشتالية منذ حداثتهم ٢ ـ يمنح المورسيكيون ثلاث سنين فقط ليتعلموا اللغة القشتالية ، يمنع بعدها منعا باتا التخاطب بالعربية او الكتابة بها ٣ ـ تعتبر المعاملات والعقود المكتوبة بالعربية باطلة ٤ ـ ان تسلم الكتب العربية كافة الى السلطات المسؤولة خلال ثلاثين يوما ٠ وكانت حياة الكتب العربية وبخاصة القرآن من أقوى ادلة الردة ٠ وكانت تعرض صاحبها الى اقسى العقوبات ٥ ـ يحرم عليهم اتخاذ الاسماء العربية ٦ ـ يحرم الحجاب على النساء ٠ ويفرض عليهن ارتداء الملابس الاوربية المكشوفة ، وذلك خلال سنة واحدة ٧ ـ أجراء حفلات الخطبة والزواج على وفق التقاليد المسيحية ، وابقاء المنازل مفتوحة فى أثناء الاحتفالات ، وفي يوم الجمعة ، والاعياد ليتمكن رجال الدين من ملاحظة ما يجرى فى داخل هذه المنازل من المراسيم والتقاليد المحرمة ٨ ـ تمنع الاغاني القومية ، والرقص العربى ٩ ـ تحريم الخضاب بالحناء ١٠ ـ هدم الحمامات العامة والخاصة ٠

ومن جراء هذا التعسف الغريب حاول المورسكيون ان يثأروا لانفسهم من الحكومة ٠ وتنادوا للذب عن كرامتهم قبل ان يقضى عيهم ، وتموت فيهم جذوة الدين الاسلامى ٠ ويقضى على ما بقي من صلاتهم الوثيقة بماضيهم ، وتراثهم ٠ فثار في غرناطة مورسكي يقال له فرج بن فرج ٠ وكان ينتسب الى بنى سراج اشراف غرناطة وكان شديد الكره للنصارى ٠ وقاد ثورة عارمة مزقت النصارى وفتكت بهم فتكا ذريعا ٠ واعلن المورسكيون استقلالهم ٠ وبايعوا شابا فى العشرين من عمره من اهل البيازين فى غرناطة يقال له « الدون فردناند ودي كردوفا »(١٠) او دي فالور وكان هذا الفتى فى الحقيقة من سلالة الخلفاء الامويين ٠ وكان ذا مال ووجاهه وكان مستشارا ببلدية غرناطة ٠ وكان يتقد حماسة ، وعزة ٠ واحتفل المورسكيون بتتويجه في سنة (١٥٦٨م) احتفالا بسيطا ٠ ذلك ان الثوار فرشوا على الارض اعلاما اسلامية صورت عليها الأهلة ، فصلى عليها الامير متجها نحو الكعبة ثم أقسم انه يموت من أجل دينه ، وأمته ٠ وتسمى

بأسم عربي هو محمد بن أمية صاحب الاندلس وغرناطة ، وارسل الرسل، والوفود الى اطراف البلاد يطلبون الى المورسكيون العـــود الى دينهـــم الاسلامي • ونشبت بين الفريقين معارك هائلة أبدى فيها الاسبان ضروبا غريبة من الوحشية ، والقسوة • وفرقوا الأسر المورسكية في أنحاء البلاد • كما فرقوا بين الآباء وابنائهم ، وبين الازواج وزوجاتهم دون عطـــف او رحمة • وفت في عضو الثوار المسلمين مصرع محمد بن اميـــة على أيدي المرتزقة من الترك الذين كانوا في الجيش الاسلامي وتولى العرش بعده عدد من كبار الثوار ولكن الثورة المورسكية كانت تمزق في كل مكان بضراوة ووحشية • ولذلك فر عدد كبير من المورسكيين الى افريقية •

وأصدر فيليب الثاني سنة ١٥٧٠م امرا يقضي بنفي المورسكيين من غرناطة الى داخل البلاد ، ومصادرة عقاراتهم • وتمكن بذلك ان ينتزعهم من بلادهم ، ويشتتهم في انحاء البلاد المختلفة ، ويشردهم افظع تشريد في مناظر دموية وحشية تفتت الاكباد ، نهب فيها المنفيون ، وفتك باطفالهم ، واعتدى على نسائهم • وهلك كثير منهم من جراء المرض ، والتعـــب • وعانى الباقون منهم آلام الغربة ، ووحشة النفي ، وخسارة الدين ، والمال• ومنعوا من تغيير منازلهم • وحرم عليهم ان يسافروا الى غرناطة • وقرروا على المخالف منهم اشد العقوبات وهددوا بالموت •

ويصف احد المطارنة في سنة ١٥٦٥م المورسكيين بقوله : انهـــم خضعوا للتنصير ، ولـــكنهم ظلوا كفرة ســـرائرهم • وهم يذهبون الى القداس تحاشيا للعقاب ، ويعملون خفية في ايام الاعياد • ويحتفلون بيوم الجمعة افضل من احتفالهم بيوم الاحد • ويستحمون حتى في كانـــون الثاني • ويقيمون الصلاة خفية • ويقدمون اولادهم للتنصر خضوعـــا للقانون ، ثم يغسلونهم لمحو آثار التنصر • ويجرون ختـــان أولادهم • ويطلقون عليهم اسماء عربية • وتذهب عرائسهم الى الكنيسة في ثياب اوربية فاذا عدن الى المنزل استبدلنها بثياب عربية ، واحتفل بالزواج على وفق الرسوم العربية •

على أن الاسبان بالرغم من تنصيرهم المسلمين من ابناء قريـــش ، ومضر ، وأهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل العراق وغيرهم من مسلمي العرب ، والبربر ، واكراههم على اعتناق النصرانية ، وتعلم اللغة القشتالية فقد كانوا يعدونهم مسلمين لا يمكن ان يخلصوا لهم قط • لذلك كانوا في حيرة من أمرهم • وظلوا يبحثون في انجع الوسائل للقضاء عليهـــم ، والتخلص منهم • ويمكن تلخيص هذه الوسائل التى كانوا يتداولون فيها : ١ ــ العبودية ــ ذلك ان احد المطارنة رأى ان خير طريقة لافنائهـــم ان يسترقوا • وأن يستخدم في كل سنة عدة آلاف منهم في السفن ومناجم الهند • ٢ ــ القتل ورأى غيره وجوب قتل المورسكيين جملة واحدة • او قتل من بلغ منهم سن الرشد ، واسترقاق الباقين منهم ، وبيعهم عبيدا ••

٣ ـ الاغراق فى البحر وهذا ما ارتآه احد وزراء الملك فيليب الثانى •
ولما ولي العرش فيليب الثالث سنة ١٥٩٨ ذكر له وزيره الذي كان من رأيه القضاء على المسلمين المتنصرين ان المورسكيين عرب ، كفرة ولابد من اعدام الشبان والكهول من الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ سنة و٦٠ سنة •أو ان يسترقوا ويستخدموا فى السفن بعد ان تؤخذ منهم أملاكهم • وينفى الى المغرب من تجاوز الستين من الرجال والنساء • وأما الاطفال فينزعون من والديهم ، ويربون فى مدارس النصارى الدينية • وقد وافق مجلس الدولة على هذه المقترحات وأخذ يسعى فى تنفيذها •
وفى سنة ١٦٠٧ خاف الاسبان ان يقوم مسلمو المغرب ، ومراكش فى زمن « مولاي زيدان » بغزو اسبانية ومساعدة المسلمين فيها فبحثوا موضوع التخلص منهم على وجه الاستعجال • فأستقر رأيهم فى سنة ١٦٠٨ على نفي المورسكيين لانهم يتكاثرون بسرعة بينما يتناقص عدد النصارى • واتخذوا المقررات التالية لتنفيذ هذا القرار الخطير : ١ ـ يمنح المورسكيون فرصة أمدها شهر واحد لمغادرة اسبانية الى حيث أحبوا ٢ ـ يعاقب المتخلفون بعد ذلك بالمصادرة والموت •
وفي سنة ١٦٠٩ وبعد ان مضى على هذه الحيرة والارتباك نحو ١٢٠ سنة قررت الحكومة ان المورسكيين خونة مارقون يستحقون الرق والموت نظرا لفشل كل الجهود فى تنصيرهم • ولذلك أصدرت الحكومة الاسبانية مرسوما يقضي ١ ـ ان يغادر المورسكيون مع اولادهم بلاد اسبانية فى مدة ثلاثة ايام فقط ٢ ـ ان يعاقب بالموت كل من خالف هذا القرار ٣ ـ يمنح الملك فيليب الثالث أملاكهم وأمتعتهم للسادة النبلاء من الاسبان ٤ ـ اذا أخفى أحد أمتعته أو دفنها أو أحرقها حكم على سكان تلك الناحية بالموت ٥ ـ يبقى من المورسكيين الحاذقين ٦٪ من المواليين للنصارى للاستفادة منهم فى معامل السكر ، وزراعة الرز ، وشؤون الري ٦ ـ اذا كان الاب مورسكيا والام نصرانية نفي الاب وبقي الاولاد الذين هم دون السادسة مع امهم •
وهناك قررات ومواد اخرى كثيرة غير التي ذكرناها لا تخرج فى معناها عما أشرنا به •
ولما عرف المورسكيون هذا القرار استولى عليهم وجوم عميق • وركبتهم محنة مريرة الا انهم قرروا اخيرا ان يغادروا البلاد والا يبقى منهم احد • وأن من بقي فيها أعتبر مرتدا خائنا • ولابد من الاشارة هنا الى أن ثورات محلية عديدة وقعت ولاسيما فى المناطق الجبلية الا ان الاسبان قضوا عليها بسرعة بالحديد والنار • وفتكوا بالعزل منهم فتكا ذريعا • واتجه عشرات الالوف منهم الى فرانسة • وقبلهم هنري الرابع على ان يظلوا على مذهب الكثلكة • ونفذ قرار النفي في بلنسية ، وقشتالة ، وغرناطة ، وبقية انحاء الاندلس مثل : فطلونية ، وأراكون ، واشبيلية ، ومرسية ،

بصورة وحشية تتمثل فيها الوان القسوة والصرامة في مدد متفاوتة ابتداء من ١٦٠٩م حتى سنة ١٦١٤م • واتجه اغلب هؤلاء الموريسكيين الى مراكش ، والجزائر ، وتونس • ومنهم من توجه الى مصر ، والشام ، والقسطنطينية في مناظر مؤلمة ، وصور مروعة محزنة •

وقد اختلف المؤرخون في عدد هؤلاء المنفيين من اليهود والمسلمين والموريسكيين ما بين سقوط غرناطة ١٤٩٢ حتى الجلاء الاخير ١٦١٤ من خمسة ملايين الى ثلاثة ملايين• ما الذين نفوا فيمستهل القرن السابع عشر فيقدر عددهم بمليون نسمة • ومهما كان من أمر فان هؤلاء الموريسكيين الذين تم نفيهم قد عادوا الى الاسلام على الرغم من مرور اكثر من قرن على تنصيرهم • ولم تنطفىء جذوة الاسلام فيهم على الرغم من التعسف والارهاق الشديد والتعذيب المستمر الذي كان ينصب فوق رؤوسهم • ولم يستطع الاسبان ان يبقوا حتى على اولئك الارقاء الذين اسرروا في المعارك البحرية أو عادوا الى اسبانية لشتى الاسباب • ومع أنه فرض عليهم التنصير أيضا الا أنهم أصدروا سنة١٧١٢ قرارا بنفيهم الى افريقية• ومع ذلك كله لم تخل الاندلس من الموريسكيين والمسلمين نهائيا حتى أواخر القرن الثامن عشر • ولا يزال في اسبانيا اسر عديدة يرجع نسبها الى العرب المسلمين •

كما يوجد فيها كثير من الاسماء العربية لاتزال تطلق على كثير من الاماكن ، وانه مازال في بلاد الاندلس كثير ممن يحافظ على نسبة العربي، وكثير من التقاليد العربية ، أما آثار الحضارة العربية والاسلامية فان اسبانية ، والبرتغال ، وصقلية ، وجزر الباليار مليئة بها لم تستطع حكوماتها ، ولا شعوبها القضاء عليها على الرغم من الجهود التي بذلت لتشويهها • الا أنها أصبحت اليوم تدر على أهلها مبالغ طائلة من السواح• كما أصبحت من موارد الرزق في هذه البلاد • ومن الناحية الاخرى يمكننا ان نقول : ان المقاومة العنيفة التي رأيناها في المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبية ضد الاسبان ، والافرنسيين ، والايطاليين ، ان هي الا رد فعل للاعمال الوحشية التي لقيها هؤلاء العرب من هذه الامم المتبربرة • وان هذا التعصب الديني على المسلمين والموريسكيين يفسر لنا في الوقت نفسه اسباب عدم وجود احد من المسيحيين في هذه البلاد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم • وأخيرا يمكننا ان نقرر بأن هذه المآسي والمعاملة القاسية كانت من أهم أسباب الوعي الاسلامي والقومي العربي في هذه البلاد والانتصار العرب في شمال افريقية على الفرنسيين والاسبان والايطاليين •

(١) قلورية وتعرف اليوم بـ   وهى منطقة فى جنوبى ايطاليا

(٢) وهو قصر يانة : مدينة فى شرقى صقلية

(٣) حول الى كنيسة بعد ان ظل مسجدا جامعا اكثر من خمسة قرون . وفى الكنيسة اليوم ذخائر نفيسة تقدر بملايين الدنانير ومن جملتها علما السلطان ابى الحسن الميرينى .

(٤) دفن كرستوف كولب فى جامع اشبيلية الذى حولوه الى ٤٥ كنيسة ولا تزال منارة المعظمة التى يبلغ ارتفاعها (   ) مترا شاهقة وتعرف بـ « الاخيرارلدة » . ولا تزال الكتابات العربية الجميلة على أحد أبواب هذا المسجد الجامع وهو باب الغفران .

(٥) حوله الاسبان الى ٤٦ كنيسة منها الكاتدرائية العظيمة التى عملت فى زمن شارلكان . وفى هذا الجامع اليوم نحو ١٢٩٣ عمودا من الرخام .

(٦) دفنا فى جامع غرناطة مع ولدهما . وقد حول المسجد الجامع الى كنيسة جامعة او كما يسمونها « كاتدرائية » .

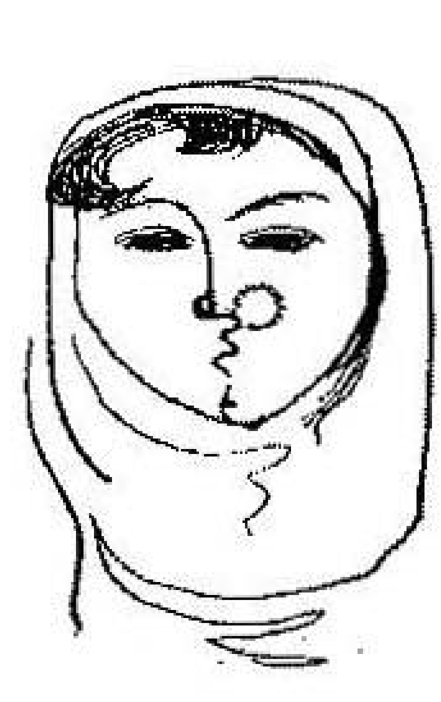
(٧) نفح الطيب ج٢ ص ٦١٦ ــ ١٦٧ . واخبار العصر ص ٥٥ .

(٨) Dr. Lea p. 215

(٩) Dr. Lea p. 130

× ويراد بهم المسلمون الذين بقوا فى اسبانية بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م .

(١٠) أى قرطبة . وهى عاصمة الخلافة الاسلامية فى الاندلس . وقد حول جامعها العظيم الى كاتدرائية كبرى و٤٥ كنيسة . كلها داخل هذا المسجد .



في معرض الرأي

اشتراكية الثقافة

جريا على خطة الاقلام في طرح قضايا الفكر ومواضيع الثقافة على بساط البحث والنقاش فقد وجهت سؤالا للسادة الدكتور صالح احمد العلي والاستاذ نعمان ماهر والاستاذ عبدالوهاب الامين والدكتور ياسين خليل حول اشتراكية الثقافة والوسائل الكفيلة بتحقيقها فكانت اجاباتهم .

اجاب الدكتور صالح احمد العلي قائلا :

ان ((الاشتراكية)) تعبير يطلق على تنظيم اقتصادي خاص ، ولما لم أكن من المتعمقين في التخصص بعلم الاقتصادي ، لذا أسجل انطباعي عن مفهومه وهو انه نظام تتملك بموجبه الدولة وسائل الانتاج ، والتوزيع الرئيسية ، وتصبح الحكومة مسؤولة عن ادارتها وتوجيهها ، فتتحمل بذلك مسؤولية العمل ، وتقوم بنفسها بالتوجيه ، وتضيق الجهود الفردية فتنحصر بالمشاريع الصغيرة المحدودة . والمفروض ان الحكومة بهذا النظام تهدف توجيه الانتاج الى المصلحة العامة ، وانها تحدد من طغيان المشاريع الفردية التي قد يهدف فيها الفرد المنتج مصالحه الخاصة ، او قد يؤدي تنافسه مع الآخرين الى كثير من الاضرار .

فالاشتراكية فيما اعلم تعبير اقتصادي ، متصل بالانتاج والتوزيع ووسائلهما ، اما ربطه بالثقافة فهو أمر جديد لا أعرف احدا استعمله من قبل ، ولا اعلم ماذا تقصدون به ولذلك فان اجابتي ستدور حول ما افهمه من التعبير ، وأحب أن اوؤكد باني سأتناول الانتاج الثقافي فأقول أن أي انتاج ثقافي يعتمد على أمور ثلاثة : هي القائم بالانتاج والموضوع الـــذي يتطرقه ويبحثه ، والوسائل التي تتخذ لنشر هذا الانتاج . فاما القائـــم بالانتاج فهو الشخص او الفرد ، ولا يمكن ان يكون غير ذلك ، وهذا الفرد هو ملك نفسه ، ينتج ما يوحي له تفكيره وعواطفه ، فهو فردي في عنصره وجوهره ، ولا يمكن تأميمه او تملـكه في هذا العصر الذي يمنع فيه الرق او تملك الافراد .

فاما الموضوع الذي يبحثه ويؤلف فيه القائم بالانتاج فهو يعتمد كليا

على تفكير الشخص المنتج وما في رأسه من معلومات ، وما في ذهنه من افكار وآراء ، وما في جوانحه من عواطف ؛ وكل هذه تتنوع بتنوع التكوين البيولوجي والثقافي للفرد ، فهناك ذوو المواهب الشعرية ، او الملكات الفنية أو العبقرية العلمية والادبية ؛ وهناك ذوو « الشخصيات الفكرية » التي يقتصر صاحبها على خزن ما يسمعه ويتلقنه من معلومات ثم يعيده كما هو وهناك من لا يقتصر على ذلك بل يهضم ما يتأثر به من الخارج وينقسده فيخرج منه صورة جديدة تختلف عما تلقنه ، صورة تتميز بابراز نواحي الجمال أو التفكير .

تستطيع الدولة بطريق غير مباشر ان تؤثر الى حد ما في موضوع الانتاج الثقافي وأسلوب عرضه وذلك بمنعها تداول المؤلفات الباحثة في مواضيع معينة وباسلوب معين ، وباستخدامها ما لديها من امكانيات هائلة من وسائل النشر كالراديو والصحف ، لنشر افكار ومعلومات ذات اتجاه خاص ، وبذلك توجد جوا فكريا خاصا يؤثر في المؤلفين والكتاب والمنتجين في ميادين الثقافة ، فيدفعهم على الكتابة في تلك الميادين وبالاسلوب الذي تراه ؛ كما ان الحكومة بامكانها تشجيع الكتاب في ميادين معينة وباساليب خاصة بواسطة المنح المادية او التسهيلات في وسائل النشر ، التي تقدمها للكتاب فتدفعهم الى الكتابة في الشكل الذى يرضي الحكومة .

غير ان المواضيع التى تهتم الحكومات بها ، وتعمل على دفع الكتاب للتاليف فيها تختلف باختلاف طبيعة الحكومة واتجاهها ، فقد تدفعهم الى تأييد الطغيان ، والديكتاتورية ، والفاشستية او الشيوعية او اي اتجاه تدين به ؛ فاذا كانت تعتنق الاشتراكية كنظام فانها قد تشجع الكتابة لاظهار مزايا الاشتراكية والدفاع عنها ، واذا كانت تؤمن بالشعب والجماهير والعامة فقد تدفعهم الى الكتابة فيما يتعلق بهؤلاء وابراز أوضاعهم .

والعامل الثالث في الثقافة هو النشر والتوزيع ، وهو عمل مادي صرف ، ذو صلة بالتقدم الميكانيكي والاقتصادي والتجاري ، لانه يتعلق بالطباعة والتجليد والتوزيع والعرض والخزن ، فهو لا علاقة له بمادة الثقافة ولا بالعلم وهو أوثق صلة بالنظام الاقتصادي الذي يهيمن على الدولة ، فاذا كانت الدولة ممن يدين بالنظام الرأسمالي فان وسائل الانتاج والتوزيع والتمويل والتسويق تكون بيد افراد او شركات ، وعلى المنتج « وهو الكاتب او المؤلف » ان يتعامل معهم ويتحمل بذلك كل ما في هذا النظام من تسهيلات وتصعيبات . وقل مثل هذا عن الدولة التي تتبع النظام الاشتراكي في اقتصادها .

يتبين من هذا ان الاشتراكية تؤثر في الثقافة من حيث وسائل النشر والتوزيع تأثيرا تاما ، اما في المواضيع الثقافية فان أثرها اقل ، وان كان من الصعب تحديد نطاقه وحدوده بالضبط ، واما من ناحية القائمين بالانتاج الفكري ، فالبحث عن الاشتراكية أو التأميم فيهم عبث قد يصل

درجة الهراء ، لان الاساس الاول فيه هو الفرد ، والفرد لا يمكن ان يؤمم والابداع الذاتي يعتمد على التعبير عما في خاطر الفرد وذهنه ٠

على أن هناك جانبا يتعلق بالثقافة ، الا وهو اهتمام الباحثين بأمر الشعب ، دون الاقتصار على فئة خاصة أو طبقة خاصة ، ودراسة مختلف جوانب الحياة التي يحياها ، سواء اقتصادية او اجتماعية او فنية ، دون الاقتصار على دراسة جوانب لا تمس حياة الشعب ٠

ولا ريب ان الاهتمام بمختلف جوانب حياة الشعب ذو اهمية بالغة لان الشعب هو « مادة» الامة وكل بحث لا يشمله لا يمكن ان يعطي صورة صحيحة صادقة عن الامة ، كما ان كل خطة لا تقوم على دراسة شاملة دقيقة للشعب تتعرض للتضعضع والفشل ٠ فاذا فهم البعض من « اشتراكية الثقافة » هذا المعنى ، فان الدعوة اليه مبررة وضرورية ، غير انها ينبغي الا تندفع في تطرف ضيق يؤدي الى ان يسير الباحث وراء الشعب ، ويقصر عمله على مجرد وصف اوضاعه والامه وآماله ، بل ان يكون القائد والموجه ، فيبدع من الافكار والآراء ما يساعد على رفع مستوى الشعب الثقافي والفكري فالمفكر والفنان الحقيقي هو الذي يرى بعين بصيرته نواحي الجمال والحق في الامور ، فيعلن عنها ويوجه الناس اليها ، ويسعى ان يؤدي انتاجه الى نشرها بين الناس ليدركوها ويرتفعوا الى مستواها ، فالكمال لله وحده ، ومن واجب المنتج الفكري ان يسعى للاقتراب من الكمال ، وتوجيه الجماهير الى ذلك المستوى ٠

ثم أن الانتاج الثقافي ينبغي الا تقتصر فائدته على عدد محدود من الناس ، بل ان ينتشر بين اكبر عدد ، وأن يكون بمتناول أكبر عدد ، وان تتوفر وسائل الانتاج والتوزيع على تحقيق نشره لدى اوسع الجماهير ٠

وأخيرا لابد من توفير الوسائل لاكتشاف ذوي المواهب والقابليات الفكرية ، والقادرون على الانتاج الثقافي العميق الصادق الموجه ، والعمل على تيسير السبل وتمكينهم من الانتاج لنشره بين الناس ، دون الاقتصار على عدد محدد من المنتجين ٠ غير ان الثقافة ستبقى دائما وأبدا معتمدة على انتاج الافراد ، وستبقى قيمتها الحقيقية في مدى عمقها وصدقها ، ومدى قدرتها على رفع مستوى الجماهير ، دون الاسفاف الى النفاق للغوغائية ٠

قال الاستاذ نعمان ماهر :

ان الشوط الذي قطعته (الاشتراكية) في عصرنا الحاضر على صعيد مجالات الحياة المتعددة جدير بان يطلق عليه اسم عصر الاشتراكية ٠

والثقافة وهي من أهم مقومات الحياة الكريمة لابد لها أن تنال قسطها من الاشتراكية ذلك لان حصر الثقافة في قطاعات معينة من الشعب أو وضع الحدود والقيود امامها يتنافى وطبيعة العصر اذ لم يعد ممكنا بعد اليوم أن ننظر الى الثقافة على أنها قضية ثانية بل ونستطيع القول أن اشتراكية

الثقافة تفرض نفسها فرضا وان كل العراقيل التي تقف دون ذيوعهـا ستزول فالمسألة اذن مسألة زمن لا اكثر •

كان الكتاب والصحيفة وحدهما عدة الثقافة لمدة طويلة من عمـر الحياة اذ ان أثرهما يقف عند باب المتعلمين ولكن المذيـاع والتلفزيون والمسرحية والسينما والمعارض أخذت تشق طريقها هي الاخرى الى الجماهير حاملة لهم الثقافة اينما وجدوا •

ومن هنا تظهر لنا واجبات منها ما يقع على الدولة ومنها ما يقع على الجماعة والفرد •

على الدولة أن تيسر سبل الثقافة وذلك باقامة اجهزة الاذاعة والتلفزيون وتيسير الراديو والتلفزيون اذ تجعل اسعارهما واطئة وان ادى ذلك الى خسارة الدولة وعليها أن تقيم المسارح والمعارض وتشجع الكتاب والكاتب والصحيفة والصحفي ، وعلى الجماعات والافراد أن يسهموا كل حسب طاقته في تقديم الزاد الفكري الى اجهزة الاذاعة والتلفزيون والى الصحيفة والكتاب

وعلينا جميعا حكومة وشعبا أن ندرك بان واجبات الدولة اليوم لا تقتصر على الدفاع الخارجي والامن الداخلي كما ان واجبات الافراد لم تعد تكتفي بتحقيق الثقافة الخاصة للفرد نفسه فكلاهما مطالب بأن يسهم في بث ونشر الثقافة وتعميمها كل حسب امكانيته وعندها يفيض ينبوع الثقافة فيسقي كل ما حوله •

ان انخفاض سعر الكتاب الثقافي والصحيفة الثقافيـة الى جانب انخفاض اسعار المذياع والتلفزيون واقامة الندوات الثقافيـة والمعارض والمسارح كل ذلك من عوامل ذيوع الثقافة وبالتالي وصولها الى جميع الايدي وهو أمر لابد منه فاذا تأخر تحقيقه اليوم فلابد انه يتم غدا ، ولكن لماذا نضيع الزمن ؟!

وقال الاستاذ عبدالوهاب الامين :

اذا تجاوزنا عن تعريف الاشتراكية ، واذا قبلنا مبدأ « الاشتراكية دين العصر » • ــ وهو ما نادى به قبل اكثر من ربع قرن مفكرون وكتاب كسلامة موسى مثلا ــ فان مقومات اشتراكية الثقافة تصبح عارية امام عين الناظر •

واشتراكية الثقافة تعنى حاجة مجموعة كبيرة من الناس الى المعرفة • وهي اشبه بحاجة تلك المجموعة من الناس الى الخبز • ولو بسطنا الامور كما ينبغي فاني اعتقد أن «مخابز» الثقافة ينبغي ان تزيد عن «مخابز» الافران فنحن احوج ما نكون الان الى المزيد من الغذاء الفكري ، وبخاصة في هـذه المرحلة ، وقد تكون حاجتنا الى هذا الغذاء اكثر من حاجتنا الى الخبز •

وأود ان اقول اني ــ بعد تمحيص طويل ذي جذور سبقت سؤالكم هذا ــ قد توصلت الى نتيجة معينة سبق ان اوضحتها في مناسبات أخرى ،

وهي أننا يجب أن نسابق الزمن في الترجمة والنقل بكل الطاقات وبجميع الاشكال .

اننا نحتاج الى أن ننقل ـ وبأمانة مخلصة ـ جميع ما يتيسر لنا من نتاج الفكر العالمي، ونطعم افكارنا بهذا النتاج حسب ترتيبه الزمني ، على أن لا تنقطع قط صلتنا بجذورنا ـ وما اغناها وارقاها !

ان الفرصة المهيأة لنا هي فرصة فريدة يندر أن يلتقي معا الحاكمون بالمحكومين . فقد طالما توزعت رغبات الافراد والجماعات في كثير من العصور الا عصرنا هذا الذي تظافرت فيه وتعانقت رغبة الطرفين فيسبيل طمأنة حاجة واحدة .

لقد فات الزمن الذي تستطيع فيه « الرقابة » او الحجر الفكري أن تفعل أي مفعول . فان الانسانية تمشي مضطرة الى اشاعة الثقافة عن طريق المخترعات الحديثة . وقد انتصر شيوع المعرفة على الحجر فيمعركة طويلة الأمد ، ولابد أن يلقي السلاح كل من يتصدى لوقف الذهن الانساني عن الابداع وتلقف المعرفة .

ان شخصية ذلك المحيط بالعلم والمعرفة ، الذي يختزنها لنفسه ،وقد يورثها لغيره ، اصبحت شخصية خرافية لو ارادها الانسان لاعجزته . فشيوع الثقافة أمر لا مناص منه ، وانما العبرة بالتوقيت . ونحن نريد أن نسد مسافة التخلف التي فاتتنا بمرور الزمان . وعلينا أن نهتبل هذه الفرصة .. وما أحرى أن تساعدنا السلطات في ذلك !

ان البشرية مقبلة على عصر ازدهار في مضمار الثقافة . ويجب أن نعترف بأننا في آخر درجات السلم ، وان علينا أن نرتقيه وثبا .. لكي نصل الى اعلاه مع الواصلين .

ومن حسن حظنا أننا ذوو جذور أصيلة وان هناك غيرنا مقطوعو الجذور ، وهم يسابقوننا وقد يسبقوننا في هذه الحلبة . والويل للمتخلف سواء رضي أو لم يرض .

اما الجواب على السؤال الثاني فهو واضح ايضا .

فان اشاعة الثقافة ـ في بلادنا على الاخص ـ تستلزم خلق شخصيتين اثنتين خلقا . وهما شخصية الاديب المنتج وشخصية الناشر الرابح .

فالواقع أن اتكالنا على الانتاج الفكري الوارد الينا من البلاد العربية الاخرى ـ وبخاصة لبنان ومصر ـ سيجعلنا عالة أبدية عليهما ،ولن يتسنى لنا أن نرى شخصيتنا مستقلة في عالم الفكر .

وفي رأي أن الدولة تستطيع ـ بما لديها من امكانيات وموارد ـ بل هي مدعوة الى أن تخلق الاثنين خلقا . وفي مجال التسهيل الرسمي لعمل النشر والطباعة ، والتخفيف عن كاهل القائمين به ، فجوة كبيرة يستطيع أن يدخل منها المؤلف العراقي والأديب والكاتب، ليبرز بشخصيته المنفردة. وفي غضونها امكانات عديدة ليس اقلها خلق « الفلم » العراقي والمخرج

العراقي ورفع مستوى السينما العراقية ·· بعد ان توجد طبعا ·

ان رغبة السلطات في اشاعة الثقافة يجب ان تكون فرصة الدهر ·· فهذه أول مرة ترغب فيها السلطات فى شيء كهذا · ولا شك فى انها تستحق الشكر الجزيل على ذلك ·

والامكانات الرسمية كثيرة·منها جوائز الدولة للمتفوقين في حقولهم الخاصة ، وهى بمثابة التعويض عن التقدير الذي يلقاه امثالهم من المتفوقين في العالم عن طريق الربح من نشر مؤلفاتهم في الاسواق الحرة ·

ومنها تمويل سفرات منتظمة في العالم يقوم بها رجال فكريون لغرض « القاء المحاضرات » عن العراق في الخارج ·

ومنها فرض أجور مناسبة للانتاج الفكري الذي تشتريه الدولة من اناس متخصصين في عالم الفكر والادب والعلوم ، حتى وان لم يكن القصد من الشراء نشر ذلك النتاج ، والقصد من ذلك ينبغي أن يكون اعالة هؤلاء المتخصصين لكي ينصرفوا الى انتاجهم دون الانشغال بمتطلبات الحياة اليومية التي تأكل قلب المفكرين وتستهلك عقولهم ·

ان رجال الفكر في العراق مملقون · ولذلك فلا يمكن ان ينتجوا ما يستحق الخلود · واذا بقي الحال كما هو فستبقى عالة على غيرنا الى الابد ·

اما اذا قامت الدولة بانتشالهم ، فستكون لنا شخصيتنا المستقلة ، وسيتسنى لكل الناس – في بلادنا العربية – ان يجدوا ثقافة مشاعة الى حد ما ·

هذه خواطر متناثرة حول الموضوع · وهو يستحق أن يكون مجال أخذ ورد ، لأنه – في نظري – من اخطر المواضيع التي ينبغي أن نصل فيها الى رأي حاسم في اقصر وقت ·

وقال الدكتور ياسين خليل :

اخذت نظرة الانسان الى الكون والحياة والفرد تتبدل بشكل سريع ومفاجىء بحيث اصبح الفرد لا يستطيع الاستقرار على رأى واحد ، لأنه سرعان ما يجد نفسه أمام آراء اخرى جديدة اكثر حيوية واهمية واخذ الانتاج الادبي والفلسفي والعلمي يزداد كل دقيقة ، بحيث بات من العسير على الفرد متابعة جميع الاراء واخبار الاكتشافات والاختراعات · وكان من نتيجة ذلك ان أصبحت الفجوة واسعة بين الادباء والفلاسفة والعلماء من جهة وبين رجل الشارع الذى لا يفهم من الرموز العلمية والمعادلات المعقوة والافكار العميقة ما تدل عليه من جهة اخرى · وبدأ الصراع يشتد بين حملة الافكار المختلفين ، واصبحت في عصرنا الحديث معسكرات عقائدية متصارعة لها قدرتها على التأثير والعمل فى المجال اليومي والقومي والدولي ، وبات ضروريا في مثل هذه الحالة أن يتعرف

المواطن على نقاط القوة والضعف فى الاراء والافكار والمعتقدات المختلفة ليحدد موقفه بدقة لكي لا ينساق الى فكر يؤثر على قوميته ويشكك في تراثه ويقضي على روحه المعنوية · ولابد للمواطن من معرفة عامة بما يجرى حوله في العالم من أحداث في مجال الفكر العلمي وتطبيقاته ، لان في ذلك قوة تدفع المواطن الى الاستفادة من هذا الفكر اضافة الى تكوينه فكرة علمية صحيحة عن الكون والانسان والحياة ·

ولكى نحقق اشتراكية ثقافية في الوطن العربي لابد من توفر مقومات خاصة هي العمود الفقري في العملية بأجمعها ، ولاسيما اذا فهمنا من اشتراكية الثقافة اقامة ثقافة عامة للجمهور ولكل مواطن · ومن أهم المقومات في اشتراكية الثقافة هى :

١ ـ وجود مفكرين وكتاب يعملون على تبسيط الاراء والنظريات العلمية والفلسفية ويكرسون انفسهم لخدمة امتهم عن طريق المساهمة الفعلية في التثقيف القومي ، ليستطيع المواطن بهذا الاسلوب البسيط فهم ما يجري حوله ·

٢ ـ وجود الموضوع او المادة التى تكون عند الباحث منطلقا لفكره ، بحيث يستطيع الكاتب استقاء آرائه منها أو يقوم بتحليلها · ومن الضروري أن يكون الموضوع قريبا من أذهان الناس وحياتهم موضحا لهم النقاط الغامضة وشارحا لهم خباياه ·

٣ ـ وجود القارىء الذى يقوم بدور متابعة الاراء والاستفادة منها · وللقارىء اهمية كبيرة لان الغاية من عملية التثقيف تستقر عند القارىء وباعتباره الهدف الذي يرتكز عليه التثقيف ·

من هنا نستنتج ان اشتراكية الثقافة تتحقق بوجود هذه المقومات الثلاث · وان الاستغناء عن احد هذه المقومات معناه عدم القدرة على اقامة اشتراكية ثقافية · والى جانب ذلك يجدر بنا ان نضيف الى ما تقدم دور ثمن الكتاب فى العملية ، فكلما كان الكتاب زهيد الثمن ، كلما كان فى ميسور اكبر عدد من المواطنين اقتناؤه وقرائته · كما ان اشتراكية الثقافة لا تتحقق فى مجتمع لا يعرف افراده القراءة والكتابة ، لذلك لابد من تهيئة لمحو الامية ، ليستطيع كل مواطن مطالعة الاراء والافكار ·

اما السبل الكفيلة لتحقيق اشتراكية الثقافة فنستطيع تقسيمها الى ثلاث طرق هى : ـ

١ ـ في مجال الكتابة والتأليف والنشر
٢ ـ في مجال الاذاعة والتلفزيون
٣ ـ في الجمعيات والنوادى والنقابات

فيساهم الكتاب بقسط وافر من العملية شرط ان تراعى فيه المستويات ، فيكون مثلا على ثلاث مراتب : ـ

أ ـ للقارىء العادي وهي الكتب الشعبية المبسطة

ب ـ للمثقف ثقافة عامة وهى الكتب الثقافية

جـ ـ للمتتبعين والباحثين وهى الكتب العلمية وكتـــب التراث والتراجم وغير ذلك •

وفي مجتمع مثل مجتمعنا فيه عدد كبير من المواطنين لا يعرف القراءة والكتابة يعجز الكتاب عن تحقيق اشتراكية ثقافية ، لذلك لابد للاذاعـــة والتلفزيون من المساهمة فى عملية التثقيف ، وذلك بتكوين برامج خاصة وندوات تختلف مستوياتها •

وتقوم الجمعيات والنوادي والنقابات في هذه العمليـــة عن طريق المحاضرات والمناقشات وتكوين سلاسل فكرية على شكل مجـــلات او دوريات •

واخيرا اود ان اشير هنا الى ان اشتراكية الثقافة لا تحقق شـــيئا لخير المجموع الا اذا كانت هناك وحدة فكرية فى جميع المجـــالات ، لان اختلاف الافق من شأنه ان يولد ازمة فكريـــة تؤدى الى الصراع وعـــدم الانسجام فى المواقف الفكرية والسلوكية •

اذا أردت ان تحصد بعد بضعة شهور فازرع حنطة
واذا اردت ان تحصد بعد بضعة أعوام فاغرس اشجارا
ولكن اذا أردت ان تزرع للاجيال فعليك ان تربي اجيالا •

حكيم

العروبة عند ابن تيمية

جمال الدين الآلوسي

جمع الله للامــــــام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية كل العوامل التي جعلت منه رجلا فريدا في عصره في الفقه والحديث والاصول وسائر العلوم العربية والاسلامية، من وراثة طيبة فقد نشأ في اسرة جل رجالها علماء أتقياء وبيئة صالحة مثل الشام تزخر بالعلم والعلماء وعقل وقاد المعي ، وحافظة عجيبة لا تنسى ما وعتها ما حفظ شيئا وغاب عن ذاكرته وشجاعة نادرة تستهين بالموت ولا تبالي بالاخطار يتوج هذه المواهب كلها ارادة قوية جبارة لا تحول دون ما يعزم عليه عقبة فهو لا يعرف التردد (واذا عزمت فتوكل على الله) ولد في العاشر من ربيع الاول سنة ٦٦١ بحران أيام غزو التتر وفي دمشق ترعرع ودرس العلوم الاسلامية والعربية وتخرج على أبيه وعلى مشيخة عصره من علماء الشام وأتاه الله العلم والحكمة وأصبح ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من سنه أحد الاعلام الذين يشار اليهم بالبنان وبعد صيته في العالم العربي والاسلامي وقصده المتعلمون وتصدر للدرس والتفسير في المسجد الجامع من حفظه لا يتوقف ولا يتلعثم يشهد له الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رئيس علماء المذهب الشافعي بالشام وهو وان كان ممن تصدى للرد على ابن تيمية الا أنه أنصفه ولم يبخسه حقه قال : (كان اذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أنه لا يعرف أحدا مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في سائر مذاهبهم منه ما لم يكونوا يعرفونه قبل ذلك ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم الافاق فيه أهله والمنسوب اليه وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين) .

وختم تقريضه بالابيات التالية بما يدل على فضل ابن تيمية ،

قال :

ماذا يقول الواصفون له ؟

وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة

هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة

أنوارها أربت على الفجر

وبالرجوع الى كتب السير والتراجم من الذين ترجموا له من معاصريه أو ممن جاء بعدهم من أمثال ابن الوردي في تاريخه والحافظ شمس الدين الذهبي والالوسي في (جلاء العينين) وابن رجب في طبقاته وصلاح الدين ابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات) وابن العماد في (شذرات الذهب) بالرجوع الى هؤلاء وامثالهم من المؤرخين يتجلى لنا أن ابن تيمية كان من أفذاذ العلماء وجهابذة العلم وصار اماما في العلوم الاسلامية والعربية ومن العاملين والمجاهدين لحملات التتر والفرنجة (الصليبيين) .

أريد ان اخلص من هذه التوطئة المختصرة في التعريف بالامام ابن تيمية الى الحديث عن رأيه عن العروبة قال :

العروبة تطلق على العرب جنسا فيقال : عرب الرجل يعرب عروبة وأعرب عروبة أي صار عربيا وتطلق العروبة على لغة العرب لسانا فيقال عرب الرجل اذا فصح بعد لكنة في لسانه وعرب لسانه عروبة أي صار لسانه عربيا هكذا عرف لفظة العروبة ابن منظور في اللسان والفيروز آبادي . وكلا المعنيين العرب جنسا والعربية لغة : وقال :

(العرب خصهم الله سبحانه وتعالى وخص لسانهم بأحكام تميزوا بها فجنسهم أفضل الاجناس وليس فضل العرب بمجرد كون النبي (ص) منهم وان كان هذا من الفضل ، بل هم في أنفسهم أفضل وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا وشرفا ، ومن لم يعتقد أن جنس العرب أفضل من سائر الاجناس فهو شعوبي ، والشعوبية أراذل الناس قد ابتدعوا في الدين وخرجوا عن جماعة المسلمين وتفضيل العرب يوجب محبتهم فحبهم ايمان وبغضهم نفاق ومعاداتهم كفر أو سبب للكفر فالعرب اذن أئمة الدنيا وقادة الناس وقال هكذا جاءت الشريعة) وسبب فضل العرب عند ابن تيمية ليس لما ورد فيهم من نصوص في القرآن والحديث فقط أو خصوا به من أحكام في الفقه ، بل هم أفضل كذلك لما اختصوا به فطرة ومعدنا في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم .

وابن تيمية يجعل معرفة الاسلام متوقفة على معرفة لسان العرب فلا سبيل الى ضبط الاسلام الا بضبطه العربية بل ان نفس العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب على كل مسلم فان معرفة الكتاب والسنة فرض ولا يفهمان الا بفهم العربية (وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب) وابن تيمية يكره للرجل المقيم في أرض عربية

ان يتعود النطق بغير العربية وهو قادر على التكلم بها لان اللسان العربي هو شعار الاسلام يقول : (واللغات من أعظم شعائر الامم التي بها يتميزون فاعتياد الخطاب بغير العربية التي هي لغة القرآن وشعار الاسلام واهله ، فالنطق بها ضرورة حتي يصير ذلك عادة للمصر واهله لاهل الدار وللرجل مع صاحبه ولاهل السوق والامراء ولاهل الديوان ولاهل الفقه) وقال (واعلم بان الاعتياد يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا ويؤثر في عامة الناس) فأما القرآن الكريم فيرى ابن تيمية انه لا يجوز ان يقسرأه انسان بغير العربية سواء قدر عليه ام لم يقدر بل ويمتنع ان تترجم سورة منه او ما يقوم به الاعجاز ولو آية) ويقصد بالقراءة في التعبد والصلاة للمسلم الذي يؤدى فروضه .

وهو يفضل العرب ويوجب محبتهم ويفرض لسانهم على العرب والمسلمين عامة قال : (ان الفضل يتحقق اما بالعلم واما بالعمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذى هو الحفظ والفهم ومجاله قوة المنطق الذى هو البيان والعبارة ، والعرب هم افهم من غيرهم واحفظ واقدر على البيان والعبارة ولسانهم اتم الالسنة بيانا وتمييزا للمعاني جمعا وفرقا واما العمل فمبناه على الاخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس وغرائز العرب اطوع بالخير من غيرهم فهم اقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء وغيرها من الاخلاق المحمودة ، والعرب اهل طبيعة قابلة للخير فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالاسلام زرع فيها افضل الحبوب والثمار فجاء فيها ما لا يوصف مثله واخذوا هذا الهدي العظيم بتلك الفطرة الحميدة فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم ، والعروبة عنده تكتسب ب (اللغة) وب (الوطن) و (بالنسب) فمن تكلم العربية فهو عربى ومن انتسب لاب عربى فهو عربى ومن سكن ارض العرب فهو عربى ولما جاء الاسلام وفتح العرب الدنيا وانتشروا فيها سكنوا سائر البلاد من اقصى الشرق الى اقصى الغرب وغلب على اهلها لسان العرب حتي لا تعرف غيرهم فهذه البقاع يعتبر ابن تيمية اهلها بين عربى ابتداء او عربى انتقالا اي بين عربي اصيل وعربى مستعرب وبين من لم تزل عجمته ، وابن تيمية يرى ضرورة تعلم العربية من قبل المسلمين عامة لانها شعار الاسلام ولا سبيل الى فهم القرآن العربى والسنة النبوية والفقه العربى الا بتعلم اللسان العربى واللغة العربية للاسلام ليست لغة فحسب ولكنها عقل وخلق ودين (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) ويرى ضرورة تعريب الشعوب الاسلامية

ويوجد نشر اللغة العربية بينهم للصغار منهم والكبار في الدور والمدارس والمساجد ، وهذا كان عمل المسلمين من السلف حين دخل العرب الى اقطارهم هادين ومعلمين عودوا اهل الامصار على العربية حتى غلبت على اهل تلك البلاد مسلمهم وكافرهم ، قال : فلما دالت دولة العرب وضعف سلطانهم بقيام الفرس والتتر والترك واغتصابهم القيادة وكان التعصب يدعوهم الى التكلم بلغتهم وعدم التشبث بتعلم العربية فأضاعوا لغة العرب التي هي شعار الاسلام وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول (اذا ذل العرب ذل الاسلام)

العرب في القرآن

وعقد الامام ابن تيمية فصلا عن العرب في القرآن الكريم وتوصل في تفسيره الى ناحية لم يسبقه اليها كاتب او مفسر قال :

(وصف القرآن الكريم العرب بالجاهلية فقال تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) (افحكم الجاهلية يبغون) وقال تعالى : (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) وقال (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) والجهل بالله والجهل بأحكام الله وجهالة التبرج فلما جاء الاسلام بدل جهلهم علما وظلمهم عدلا وحميتهم تراحما وامر النساء بستر زينتهن فأستجبن والجهالة خلق عارض يزول بالعلم والتعلم وقد زال ، ووصف العرب بالضلال فقال عز من قائل ، (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وهذه الكلمة قد وصف بها القرآن النبي نفسه صلوات الله عليه فقال : (ووجدك ضالا فهدى) والضلال كما قال الحسن البصري والضحاك وابن كيسان الضلال عن معالم النبوة واحكام الشريعة والغفلة عنها وهذا الذى قاله المفسرون قد فسره القرآن نفسه في آيتين (وان كنت من قبله لمن الغافلين) ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، والضلال خلق عارض وقد زال عن محمد (ص) بالنبوة والرسالة وزال عن العرب بمحمد رسول الله قال مجاهد وغير واحد منهم لما يلحقوا بهم ، هم الاعاجم من غير العرب والقرآن حين يصف محمدا (ص) (وانك لعلى خلق عظيم) انما يصف خلقه الذاتي الذي نشأ فيه وتربى عليه والانسان ابن بيئته كما يقول ابن خلدون الحجة في علم الاجتماع فيكون الوصف بالخلق العظيم وصفا للعرب .

وقد وصف العرب محمدا (ص) قبل النبوة بأكمل الاخلاق وانبلها ففى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قول ابي لهب وقريش للنبي صلى الله عليه وسلم (ما جربنا عليك كذبا قط) وقالت

نفيسه بنت امية بلغ محمد (ص) خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم الا الامين لما تكاملت فيه من خصال الخير وقال شريكه في الجاهلية عبدالله بن السائب كنت يا رسول الله شريكي فنعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري وقال ابو ثروان الهوازني رأيتك رضيعا فما رأيت رضيعا خيرا منك ورأيتك فطيما فما رأيت فطيما خيرا منك ثم رأيتك شابا فما رأيت شابا خيرا منك وقد تكاملت فيك خصال الخير .

وقالت له ام المؤمنين خديجة كما في البخاري ومسلم (انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر) هذه الاخلاق ومثلها كثير التي وصفه بها قومه في الجاهلية وقبل النبوة ولا يعرف الاخلاق ويقدرها الا ذوو الاخلاق ولا يعرف الفضل لاهله الا ذووه ، والمجتمع الذي ينوه بالاخلاق ويشيد بها ويكرم اصحابها ويرفع من شأنهم يعتبر مجتمعا صالحا ، وقال رحمه الله

(وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) فالقوم هم العرب والذكر الشرف فالقرآن شرف للعرب اذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم (لقد جاءكم رسول من انفسكم) وسوف تسألون ايها العرب عن حق هذا الشرف واداء شكره بقيامكم بدعوة الناس له وعملكم به .

مصادر البحث

ابن تيمية لابي زهرة

ابن تيمية للدكتور محمديوسف

البحوث الاسلامية (المؤتمر الاسلامي ١٩٦٤)

الذهبي - التاريخ الكبير والعبر فيمن غبر

الآلوسي - جلاء العينين في سيرة الاحمدين

وفاة الوفيات لابن خلكان

●

●

ابراهيم صالح شكر

خيري العمري

خاض في حياته معارك حامية الوطيس ارتفع في بعضها فخرج منها ظافرا منتصرا وهبط بعضها الاخر فطلع منها فاشلا مندحرا ، وكان سلاحه في كل معركة خاضها قلم عنيف يشهره ولسان لاذع يبسطه وسخرية مريرة يستعين بها .

★ ★ ★

ولد (ابراهيم صالح شكر) في ٨ ذى القعدة ١٣١٠ هجرية(١) ونشأ في حجر أب ينتسب الى عشيرة الكروية ، ودرج في (باب الشيخ) حيث يرقد (عبدالقادر الكيلاني) فنشأ نشأة صالحة عامرة بالايمان ، ولبس في صباه (العمامة) شأنه شأن أي طالب علم وأنخرط في الحلقات التي ينتظم عقدها في المساجد ، الا ان احماسه طغى على تفكيره فلم يصبر على مواصلة التحصيل المتعارف عليه في تلك البيئات المحافظة وانغمس في تيار الادب الحديث يطالع ما تنتجه مطابع الشام وبيروت والقاهرة .

وما ان بسط الدستور العثماني ظله على ارجاء الامبراطورية العثمانية وتنفس العراق نسيم الحرية بعد ان كاد الطغيان الحميدي يخنقه وأقبل العراقيون على اصدار الصحف والمجلات حتى حمل (ابراهيم صالح) قلمه وساهم في جريدتي (النوادر) و (ما بين النهرين) بشذرات أدبية ، وسرعان ما خطا خطوة أبعد فاصدر بنفسه جريدة أدبية



في ٢٥ نيسان ١٩١٣ بعد ان كان يشارك ابراهيم منيب الباجه جي في جريدة (الرياحين)(٢) .

وقد عبرت الجريدتان المذكورتان عن نزعة (ابراهيم صالح شكر)(٣) ومدى تأثره بالفكرة العربية التي رفعت ذلك الوقت شعار الدعوة الى (اللامركزية) فتعرض الرجل الى نقمة الاتحاديين . ففي ليلة ٣ تشرين الثاني ١٩١٥ القي القبض عليه مع غيره من الشباب وابعدوا تحت حراب الجيش ونظرات الازدراء الى الموصل حيث قضى في السجن أربعة اشهر .

ولم يكن لديه عندما أبعد عن (بغداد) قريب يكتب اليه فقد داهم الطاعون قبل ثلاثة اشهر من نفيه داره وقضى على امه وابيه ولم يترك له الا اخته وهي طفلة صغيرة لا يزيد عمرها عن سبع سنوات وقد وصف (ابراهيم صالح شكر) هذه التجربة القاسية في حياته في مقالات متسلسلة نشرها بعنوان - من صحف الدفتر الاسود (مذكرات حتروش)(٤) .

★ ★ ★

ولعل ابراهيم اراد بعد أن رجع الى بغداد أثر انحسار الحكم العثماني أن يخلد الى الراحة فانصرف يدير شؤون محلة (قهوة شكر) بوصفه « مختار » وقد صرفته تلك الاعمال عن المشاركة في الاحداث السياسية رغم انه انتمي في هذه الفترة الى حزب الحر الذي كان يدعم سياسة النقيب .

فتفرغ الى مدواة جروحه ، حتى اذا تعاقبت الاحداث وتألفت اثر خمود الثورة العراقية حكومة أهلية ، خرج (ابراهيم) من عزلته ونزل الى الميدان بزي جديد ، فأرتدى الملابس الافرنجية ولبس الطربوش العثماني وحمل العصا ولم يبق من هيئته السابقة الا تلك اللحية المسرحة واصدر في كانون اول ١٩٢١ (الناشئة) مجلة أدبية صغيرة الحجم بالاشتراك مع صديق له ثم لم يلبث ان تفنن في اخراجها وتأنق في طبعها فاستقل في أصدارها في ثوب جديد باسم (الناشئة الجديدة) في كانون اول ١٩٢٢ اخذت تصدر صباح كل يوم جمعة طافحة بالمقالات الادبية غنية بالقصائد الشعرية تضم حقولا متنوعة هذا حقل (ديوان الانتقاد) يلاحق فيه (ابراهيم صالح شكر) بنقداته اللاذعة (حملة الاقلام في دار السلام) بمقالات يذيلها بتوقيع (الجرجاني) ، وهذا حقل (معرض المشاهير) يرسم فيه صورا قلمية لبعض الادباء والرجال وفي مكان اخر حقل (جمهورية الادب) يبسط فيه (رفائيل بطي) سير ادباء الغرب المعاصرين وهناك باب للقصة يساهم فيه (محمود احمد السيد) و (عبدالمسيح وزير) .

وأستطاعت (الناشئة الجديدة) بهذه الروح ان تخلق ذوقا أدبيا وذلك بما استحدثته من صور أدبية وان تبدد الجمود السائد

في الاوساط الادبية بتلك الحملات التي شنتها على كبار رجال القلم والشعر . فقد حمل (ابراهيم صلح شكر) على (انستاس الكرملي) و (حبيب العبيدي) و (شكوى الفضلي) .

ولاحق (جميل صدقي الزهاوي) بوخزاته ومداعباته التي كان يسوقها بظرف في كل عدد بحيث ينقل الى القراء ما يدور في حلقات الادب من (اخبار وطرف) تكشف عن مفارقات (الزهاوي) .

اتفق في تلك الايام ان تألفت وزارة (جعفر العسكري) الاولى وضمت شاعرين هما (احمد الفخري) و (محمد ابو المحاسن) فما كان من (ابراهيم صالح شكر) الا ان علق على استيزار الشاعرين بتقديم العزاء الى الزهاوي (٥) !!

اما (الرصافي) فقد كان نصيبه من تلك الحملات واسعا ، فقد شن عليه هجوما شديدا قاسيا رماه بالتنكر للقضية العربية وأتهمه بمصانعة الاتحاديين وتمادى في الحملة بحيث اخذ يستعدي السلطات عليه ويذكرها بقصائده التي هاجم فيها الملك فيصل والاسرة الهاشمية وسارع (الرصافي) يرد في جريدة (الامل) وتبادل الطرفان الحملات العنيفة التي نشأت عنها خصومة شخصية لم تنقطع طيلة حياتهما (٦) .

وقد كان محمود احمد السيد شديد الاعجاب بالدور الذي يقوم به (ابراهيم صالح شكر) فكتب يقول في جريدة (العاصمة) « .. منذ ان صدرت الناشئة الجديدة .. فقد جرت على مجرى شاذ لم يسبق ان جرت عليه صحيفة او جريدة او مجلة ادبية في العراق حيث اخذت لها شوطا من النقد والثورة الادبية الامر الذي دعى الى الاكبار والاعجاب من قبل فريق كبير من الناشئة العراقية الناهضة كما ان اثر عكس التأثير بالفريق الاخر من ذوي الفكر الجامد العتيق !! »(٧) .

وقد شبه احد الادباء دور ابراهيم صالح شكر في الناشئة الجديدة بدور العقاد والمازني في (الديوان)(٨) .

★ ★ ★

وقد أثارت (الناشئة الجديدة) اهتمام القراء ولفتت انظارهم الى اسلوب الكاتب الجديد والتفاتاته الذهنية ، ففكر بعض الساسة بالاستفادة من قلمه والاستعانة بمواهبه في الصراع الذي كان يدور في ذلك الوقت في الميدان السياسي ، بين كتلة الملك (فيصل) وزمرة من الساسة الذين التفو حوله أمثال نوري السعيد وجعفر العسكري وكتلة (عبدالمحسن السعدون) ومن يسندها من الساسة الذين أنتظم عقدهم في (حزب التقدم) .

واستطاعت الكتلة الاولى أن تكسب ابراهيم صالح شكر الى جانبها بعد ان لوحت له براية

الثورة العربية وأستثارت مشاعره القومية فمضى يسير وهو انسان متقد العاطفة قوي الاحساس تشغل الجانب الاعظم من دماغه أخيلة المجد ووساوس المثل العليا في شعاب السياسة ، فما ان عطلت (الناشئة الجديدة) حتى استقال من وظيفته بتشجيع اولئك الساسة واصدر جريدة (الزمان) بعد ان دفع تأميناتها (وزير سابق) .

وفي جريدة (الزمان) التي صدرت في ١١ تموز ١٩٢٧ تحول ابراهيم صالح شكر من ميدان الادب الى ميدان السياسة فانتهج سياسة وطنية دافع فيها عن الدعوة الى التجنيد الاجباري ودخل في حرب قلمية مع (حزب النهضة) الذي عارض ذلك المشروع وأنتصر للطلبة في المظاهرات التي اقاموها بمقدم الزعيم الصهيوني (الفريد موند) وحمل على وزارة (عبدالمحسن السعدون) عندما اتخذت الاجراءات الشديدة ضدهم من (فصل) و (ابعاد) ودعا الى احلال العراقيين في وظائف الدولة واستبعاد الموظفين الاجانب عنها .

وفي الانتخابات التي جرت عام (١٩٢٨) للدورة البرلمانية الثانية حمل حملة شعواء على (حزب التقدم) وسخر من مرشحيه وكشف النقاب عن الفضائح التي رافقت الانتخابات وأهاب بالشعب ان ينتخب العناصر الوطنية امثال (جعفر ابو التمن) و (احمد عزة الاعظمي) .

وقد كانت تلك المقالات شديدة التاثير بحيث اضطر (حزب التقدم) الى عقد أجتماع اتخذ فيه قرارا يقضي بتعطيل (الزمان) فعطلت وصودرت اعدادها من الاسواق(٩) .

ولعل اهم الابواب الثابتة التي كان يحررها (ابراهيم صالح شكر) بنفسه في الجريدة بابان ـ الاول باب من المعلوم الى المجهول تناول فيه طائفة من الساسة الذين كانوا يلعبون ادوارهم على المسرح السياسي ذلك الوقت بريشته الساخرة فصورهم على نحو يكشف ما في طباعهم من مفارقات .

واختار ابراهيم صالح نماذج من تلك الهياكل فصور تارة الزعيم الساذج الذي حسب الزعامة في القامة الطويلة والمشية المتهادية فقال عنه (في جسمه بسطة وفي جثته ضخامة وفي لسانه عقدة وفي دماغه جمود مهنته التجارة ولكن السياسة استهوته فانصرف اليها وهام بها (قاضاع المشيتين) .. يزعم انه من (فرقة الوسط) في المجلس فتارة يرفع يده اليسرى مع (حزب اليمين) وتارة يرفع يده اليمنى مع (حزب اليسار) .. له ولع (بالطيور الداجنة) وعنده لهما (برج) جمع فيه انواعها واشكالها وقد اقتبس منها الاختيال الزاهي فكمل ما جملته به الطبيعة من (ضخامة الجثة) و (ضعف القلب) .. توهم الرزانة في المشية الزاهية المتهادية فتهادى في مشيه الزاهي وظن ان (الزعامة) انما

تكون بالقامة الطويلة العريضة أو الجثة الكبيرة وهو لا عيب في طوله ولا قصر في قامته أما جسمه فجسم الضخام وقد زانته ماركة (هنجام) فهو اذن زعيم !!...)(١٠) ..

وقارن بتهكم بين (سعد زغلول) واحد الساسة فقال (.. بلغني ان سماحة الشيخ (...) الداود ناقم من حفلة تأبين (سعد زغلول) لان الخطباء فيها كانوا ينشدون (الزعيم) .. (الزعيم) أمامهم (برسمه واسمه) ويقال انه قارن بين زعامة سعد زغلول وبين زعامته فرجحت زعامته طبعا ! والدليل ان سعد زغلول نفي الى (سشيل) وسماحة الشيخ نفي الى (هنجام) وان زغلول اضطهده الانكليز وهو بعد ان كان مرضيا عنه من الانكليز اصبح مضطهدا منهم ، وان سعدا (حبس) وسماحة الشيخ حبس ايضا ، اذن (فزعامة زغلول) مثل زعامة الشيخ ولا عبرة بالظواهر !

هكذا سمعت عن (مقارنة) الشيخ بين (زعامة زغلول) وبين (زعامته) اما انا فاجزم ان (زعامة الشيخ) كانت أوسع نفوذا من (زعامة زغلول) بدليل ان سماحته كان زعيما (للحزب الوطني) وكان زعيما (لحزب الامة) وكان زعيما (لحزب الشعب) وهو الان زعيم (لحزب النهضة) لولا ان امين الجرجفجي لا يعترف (لزعيم غيره) في هذا الحزب الكبير .

اذن فزعامة الشيخ معترف بها من (جميع الاحزاب) التي تألفت في العراق وذلك شيء لا يستهان به ولكن اكثر العراقيين لم يعرفوا بعد ما للزعيم من حق على البلاد وهم اذا ما انشدوا (للزعيم) فذلك لانهم لا يعملون وسبحان الله عما يصفون !) .

ووصف نائبا تقدميا لا يعرف من واجبات النيابة سوى (رفع اليد) فقال « عرف (....) نائب في المجلس لم يتبس ببنت شفة ولم يسمع له همسا في قاعته وهو يحضر جلساته بانتظام ولا يتماهل في (رفع يده) عندما ترتفع الايدي في (الرفع) والرفع عند النحاة شيء اما عند التقدميين فهو شيء اخر ... »(١٢) .

وصور مرة اخرى (يوسف غنيمة) عندما يقف في البرلمان خطيبا فقال (... وطالما وقف خطيبا في المجلس النيابي فترك قاعته ترن بقعقعة عظام (سيبويه) المتململة في قبره ألما على لغة العرب الفصحى ولطالما اقض نفطويه مضاجع (نفطويه) فتركه يفزع الى الله من ذلك (اللحن) في مجلس للعروبة فيه جلال وكرامة ... يستطيع معاليه ان يكون وزيرا للمالية وان ... وان ... كل هذا يستطيعه اما الذي لا يستطيع فذلك هو محاولته (للخطابة) باللغة الفصحى فهل له ان يتجنب (الخطابة) باللغة الفصحى في (البرلمان) رحمة (بلغة القرآن) ...(١٣)

اما الباب الثاني من ابواب الجريدة فهو « رؤوس اقلام » ينقل فيه ما يجري في الاندية من (مناورات) وما يدور في الاوكار من (شغب) ويبرع في عرض تلك اللقطات عرضا لاذعا متهكما بحيث يكشف عما يجري من وراء الكواليس وعما يخطط من وراء الستار .

وقد أحتل (ابراهيم صالح شكر) بسبب ذلك الاسلوب مكانة خاصة لدى العاملين في ميدان السياسة ذلك الوقت بحيث اخذ اكثرهم يخشى من لاذع قوله ويخاف من مرارة قلمه ويرهب من سلاطة لسانه ، فسعى بعضهم الى خطب وده وحاول عدد منهم استرضائه ، وقد اشار (ابراهيم صالح شكر) الى ذلك بشيء من الاعتزاز فكتب في احدى المناسبات (يتساءل الكثيرون من رجال الدولة وذوي النفوذ في البلاد عن (الاوفيس) الذي يستطيعون مقابلتي فيه وقد أردت ان أدلهم على المكان الذي استطيع ان اقابلهم فيه ... أنني يوميا من الساعة الخامسة بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مستعد لملاقاة المحبين في القهوة المجاورة لدار مستشار الداخلية المستر كورنواليس ... اما (رجال الدولة) الذين يودون مقابلتي ويتفضلون بزيارتي فهم يستطيعون ذلك الا اذا كانوا يترفعون عن زيارة (المقاهي) .. انا اجلس في (القهوة المعلومة) مع فئة من الادباء يعتز الادب العراقي بهم مؤلفة من الدماغ الجبار الزهاوي ومن الصحفي المرن (ابراهيم حلمي العمر) ومن الكاتب المضطهد (رفائيل بطي) ومن الاجتماعي الناقم محمود احمد ومن غيرهم ممن (ثقلت عقولهم وخفت جيوبهم) او بالعكس !!...)(١٤) .

وقد جرى ابراهيم صالح شكر في ادارة جريدة ((الزمان)) وتحريرها على اسلوب الصحفي المصري المشهور (الشيخ علي يوسف) صاحب (المؤيد) الذي كان يعجب به وقد كتب مرة يقارن نفسه به فقال : ((.. يرحمك الله يا علي يوسف فقد أصدرت المؤيد في عهد الظلمة في مصر فكنت كاتبها وكنت موزعها وكنت القائم بكتابة عناوين المشتركين على الملفات وهكذا! كنت الى ان اصبحت المؤيد اكبر جريدة في مصر والى ان اصبحت صاحب السعادة الشيخ علي يوسف بك ... انني الان ماض على اسلوبك في المؤيد اصدر الزمان واكتب فصولها وحتى محلياتها واصحح ما يلتبس على المرتبين في المطبعة فهمه من خطي البديع حتى اذا اصدرت عمدت الى تغليف الجريدة وكتابة عناوين المشتركين واذا كنت قد حصلت على ثروة من المؤيد فأشتريت مطبعة لها وشيدت بناية لادارتها وعينت لها كتابا ومراسلين فأنا اطبع الزمان بالدين واشتري الورق وليس لي ادارة الا اذا كانت المقاهي والفنادق هي الادارة التي أكتب فيها الزمان ومع

كل هذا فأنا غير آسف وانما مغتبط بهذا العمل ...)) (١٥)

ولا ريب في أن جريدة الزمان قد حققت رواجا كبيرا فكان الجمهور يقبل على قراءتها باندفاع ويحس بانفاس كاتبها تلتهب بين السطور فتفعل في نفسه فعلها وتهز اعصابه هزا ، وكان اهتمام صاحبها بتصوير المناظر المؤلمة ووصف الهياكل الجوفاء وكشف المستور من التصرفات وفضح المكنون من التدابير ، من الموضوعات التي تغري الجمهور وتشبع فضوله في معرفة الاوضاع الظاهرة ومايستتر خلفها من ((حقائق)) .(١٦)

* * *

أستمر (ابراهيم صالح شكر) في ممارسة ذلك الاسلوب الساخر العنيف في جريدة (المستقبل) التي أصدرها بعد اغلاق (الزمان) في عام (١٩٢٩) وفي جريدة (الاماني) التي أصدرها عام (١٩٣١) وقد استعانت المعارضة التي تمثلت في حزبي (الاخاء) و (الوطني) بقلمه في مكافحة المعاهدة التي سعى (نوري السعيد) في وزارته الاولى الى ابرامها وكان (ابراهيم) قد قطع في تلك الفترة شوطا بعيدا في المعارضة بحيث ابتعد على اولئك الساسة الذين شجعوه على ولوج ميدان الكتابة السياسية أول الامر واستعانوا به على خصومهم ، فشنها حربا عنيفة ضد المعاهدة التي أبرمها نوري السعيد عام ١٩٣٠ وضد الساسة الذين تعاونوا معه في تلك الفترة ، وقد انتهت به تلك الحملات الى الاصطدام مع (مزاحم الباجه‌جي) فحمل عليه اثر ابعاده من الوزارة وقيامه بمقاومة المعارضة حملة عنيفة بمقالة عنوانها (حفنة من تراب على قبر مزاحم الباجه‌جي) سبيق بسببها الى السجن واندفع يدعو الى زعامة (ياسين الهاشمي) فكتب في ذلك مقالة بعنوان (لنا وطن ولنا زعيم) واكثر من ذلك مضى ابراهيم صالح شكر ينشر في جريدة الاستقلال فصولا ادبية بعنوان (تقي الدين) تناول فيها شخصية والي عثماني سار في اثناء توليه ولاية بغداد سيرة ماجنة عابثة فكانت حياته مملوءة بالنساء والميسر والخمر ومع ان ابراهيم نشر عدة فصول من تلك السلسلة الا انه انقطع فجأة عن مواصلة كتابتها نزولا عند الحاج ياسين الهاشمي في الكف عن ذلك لما تضمنته من تعريض وغمز بأحد الساسة لعله نوري السعيد !

* * *

ولم تكن محنة السجن هي المحنة الوحيدة التي تلقاها في كفاحه الصحفي فقد واجه الرجل محنا كثيرة فعطلت صحفه الواحدة بعد الاخرى ، وكاد في حزيران ١٩٢٣ ان يقتل بالرصاص وتعرض به في احدى المناسبات شاعر فهجاه في قصيدة عنوانها (ذي الطرطور الاحمر) تناقلتها الاندية ، كما هاجمه بعض الشقاة ونتفوا لحيته بتحريض ممن اصابهم بسهام نقده وضاق ياسين الهاشمي ذرعا

بتفـداته اللاذعة فأرسـل من يهدده !٠٠٠(١٨) وفي خريف١٩٢٨ ضاقت الدنيا بوجه ابراهيم صالح شكر فحمل قلبه بين جنبيـه وغادر وطنه يتنقل بين (دمشق) و (القـاهرة) و (بيروت) و (القدس) ولما اشتدت به العلة في دمشق وسقط مريضا ارسل على حسين جميل يقول له ولرفاقـه الطلبة بلوعة ((أحملوا الي حفنة من تراب العراق أشرب عليهاكاس حمامي)) (١٩) ٠

وقد حاول،وهو في دمشق،اصدار جريدة باسم (الفرات) واستعان بنفوذ اصدقاءه في سبيل الحصول على امتياز بها ، وكتب الى صديقه عبدالعزيز المظفر في ٣١ ــ كانون اول ــ ٩٢٨ رسالة يعبر فيها عن أمله الكبير في اصدار هذهالجريدة وشرح الخطة التي سينتهجها عند صدورها فقال (سوف تصـدر (الفرات) قريبا ، وسوف تجـد فيها كيف ينتقم الكريم لنفسـه فانني ــ ولا اقسم اليك ــ سوف اجعل فيها ويلا على نفسي وعلى الـذين ارهقوني هذا الارهـاق المؤلم ٠٠٠ وهل تظن،ياسيدي انني رجل خامد الوجدان ميت العاطفة حتى أتعمد ترك الشكل لزوجتـي واليتم لولدي والابتعاد عن بلادي؟ وكيف لا أجمع في نفسي من هـذه الذكريات العزيزة المقدسة نقمـة فياضـة بالضغينة على الـذين صيروني الى هذا المصير ؟ وحقك سوف افضح المستور واهتـك المحجوب بالحق والباطل ولكني الى الحق أميل ٠٠٠٠٠٠))

وفكر ابراهيم في السـفر الى الحجاز وكان يومها شديد الاعجاب بـ (ابن السعود) كثير الكلام في مجالسه عن جهاده السياسي وكفاحه الوطني ، وكاد ان ينفذ هذهالفكرة وهـو في الشـام لولا أن بعض الجهات ومنها (البغداد ــ تايمس) حاولت ان تشوه سفرته فرمتـه بالتزلف الى ابن السـعود نكاية وحقدا بالملك فيصل فغير رأيـه وكتب يرد على تلك الجريدة من الشام ويقول (٠٠ أما انني تركت العـراق ولي خطة معينة فذلك لا ريب فيه ولكنها ليست خطـة (خيالات واوهام) كما توهمـت البغداد ــ تايمس وانما هي خطة عملية ٠٠٠ان بغداد تايمس تزعم بانني قد اسافر الى نجد ومن ثم أعود الى العراق وهو زعم وجيـه وحدس لا بأس به فنجد بلـد عربي أمت اليه باحكم اواصر الاخاء ومن دواعي الغبطة زيارته لتبادل الاراء ومن ثم اعود الى العراق فهو البلد الذي ترعرعت فيه وعلى أرضه درجت وهو الوطن الـذي أعمل على خدمته وما هجرته زاهدا في تلك الخدمة البريئة وانمـا هجرته لما وجدت طغيان الاستعمار ممعنا في ارهاق الخدمة التي تجدد بضـحايا العراق وشهـداء قضيته ٠٠٠)) الاستقلال العدد ١٣٧٤ في ٨ ــ كانون اول ٩٢٨ ٠

★ ★ ★

وفي الشام كان (ابراهيم صالح شكر) موضـع اهتمام رجـال

السياسة والصحافة وقد توثقت صلاته بعدد منهم من بينهم فوزي الغزي وهاشم الاتاسي وفخري البارودي ومعروف الارناوط وأمين نخله ونجيب الريس الذي عرفه الى الجمهور في احدى حفلات التكريم بخطبة شبه فيها دور (ابراهيم صالح شكر) في الصحافة العراقية بدور (أمين الرافعي) في الصحافة المصرية .

وقد كتب أمين نخلة يصف أول لقاء به فقال ((.. تلقى ابراهيم يومئذ فترى رجلا ربعه الى الطول قد هدف الاربعين يجتمع عليك منه ضخامة تقطيع وشدة اوصال وعظمة تجاليد ! ثم يسكن أول ذلك فما تشعر الا بعينين سوداوين واسعتين قد تقاسمتا لطف الشعاع فوقهما حاجبان دقيقان بينهما خلل ظاهر وبجبهة رحبة وناصية سوداء مجتمعة في كثافة وجعودة وبأنف وسط وفم وسط ولحية من قصر الشعر وقلته تدور هناك كالظل الرقيق ...... فانظر هذا كاتب العراق غريد الحرية ومغني دقائق الفصاحة في ظل النخيل على دجلة ، قطرة من قلمه ترجع بلجيج الحير وصيحة في البطحاء من صيحاته هي اشد هولا على جنباتها من جلجلة الرعد هذا الذي اقام جيلا واقعد جيلا وتقاسم هو والغيث من ملك (هارون) فخر الربيع الجديد ! هذا هو (ابراهيم صالح شكر !)) (٢٠)

★ ★ ★

واذا كان لابد من تحديد طبيعة النقد الذي مارسه (ابراهيم صالح شكر) في كتاباته فليس من ريب ان الطابع الذي يغلب عليه هو طابع الهدم فليس وراء نقده فكرة يهدف اليها أو هدف يتطلع اليه أو بناء يسعى الى انشاءه على حطام تلك الانقاض التي أقامها معوله ، واذا كانت بعض تلك النقدات قد صدرت عن ايمان صحيح وصدق في العاطفة ودوافع نبيلة فليس من شك في ان بعضها الاخر لم يخل من دوافع شخصية ونزوات عابرة تحكمت في الرجل فدفعته الى كتابتها وكان بطبعه يتحمس بالعبارة ويهتز بالكلمة .

وقد أكد ابراهيم صالح شكر نفسه هذا المعنى فقال في العدد الاول من جريدة الزمان ((انني من حملة المعاول وسوف اجعل من هذه الجريدة معولا اهدم به واحطم لا لان الهدم والتحطيم مما تحتاج اليه البلاد او الامة وانما لاني ولوع بالهدم شغف بالتحطيم .))

ولعل ذلك يجعلنا نميل الى تصديق ما ذكره رفيق (ابراهيم صالح شكر) (رفائيل بطي) من أن بعض المقالات التي كتبها ابراهيم صالح شكر حول الشخصيات ((كانت تجيئه في ساعات استغراق التودد والاكرام واستثارة النخوة بين اقداح الويسكي وانس المجالس من الساسة ...)) (٢١)

وقد رأى (ياسين الهاشمي) في تلك النقدات نفس الرأي ، فقد قيل انه اجتمع يوما في مجلس ضم

عـــددا من الساسة والادباء ودار حديث عن الرجال العاملين وحاجة البلد اليهم فلما اراد ابراهيم ان يتكلم حول الموضوع التفت اليـه ياسين قائلا : ((وهل بقي لنــا بنيان قائم لم نهدمه ؟ اننا نقـف اليوم على ركام من الانقاض)) (٢٢)

فخيم السكون على الحاضرين واتجهت ابصارهم الى (ابراهيم صالح شكر) الذي سكت .

ومهما يكن من شيء فان ذلك لا ينفي أهمية كتابات (ابراهيم صالح شكر) كمقالات أدبية رائعة صيغت باسلوب رائع وكتبت في أداء قوي تعتبر نموذج للادب السياسي في فترة من تاريخ العراق العراق فضلا عن قيمتها الادبيـة فهي بحق كما وصفها رفائيل بطي (.. تتوهج بالاحساس المرهف والذوق الانيق والعاطفة المشبوبة فهو لم يكن يسير قلما على قرطاس وانما كانت كلماته ومقالاته آهات تصعدها انفاسه المحترقة واختلاجات لاصابعه تنسجم مع ضربات قلبه وصورا تغلب عليها الصفة للمحات خاطفة من ذهنه المستوعب)) (٢٣) .

كان (ابراهيم) يعنى عناية خاصة باسلوبه الكتابي فيحرص أشد الحرص على انتقاء الالفاظ واستحداث العبارات الرنانة شأنه في ذلك شأن فحول الكتابة وقد عرف عنه انه يتذوق العبارات الرائعة فيكثر من ترديدها وقد يبلغ به الاعجاب بالعبارة حدا يدفعه الى تعليق العبارات الرائعة في قطع على جدران غرفته .

وقد ظهر على اسلوبه اثر التأثر بكتابات الكتاب القدامى مثل (الجاحظ) والمحدثين مثل (طه حسين ومعروف الارناووط) لا سيما في ترديد الجمل وتقليب المعنى الواحد في عبارات متعددة وابتكار الصور الفنية المملوءة بالسخرية والتهكم ، وقد كان (ابراهيم صالح شكر) يستحدث جوا خاصا له عندما يشرع في الكتابة فيجلس على احدى المقاعد الخلفية في ـ مقهى أبو علي ـ بعيدا عن اصحابه ممسكا بيده اليسرى ورقة طويلة يسندها على ركبته اليسرى ويمسك باليد اليمنى قلم الرصاص، فيشرع في الكتابة ببطء ثم لا يمضي قليلا حتى يسرع وهنا تتسع حدقتاه ويزداد بريقهما وبتسع انزواء ما بين حاجبيه حتى اذا فرغ منها راح يتلوها على اصحابه ليدرك وقعها في نفوسهم وليتولى صقل عباراتها من جديد .

وقد عرف عن ابراهيم انه كان يكثر من قراءة جريدته قبل الطبع حتى ليروى انه كان يحفظ اغلب مقالاته لكثرة قراءته لها ، وكثيرا ما كان يعرج بصحبة ولده بالروح ـ رفائيل بطي ـ بعد ان ينهي سهرته في الليل على المطبعة ليأخذ احدى النسخ ويتلوها على رفيقه وليقوم بتصحيحها وليسأله ساخرا هلا حسبت كم يبلغ عدد من اصيبوا بسهامي في هذا اليوم !

كان ابراهيم في المجالس الخاصة لطيف المعشر حلو الحديث لا ينفك

عن مداعبة اصحابه فيطلق عليهم الالقاب الساخرة يسمي رفائيل بطي (ولدي بالروح) ويسمي صديقا اخر (ابن الاباء الكثر) اشارة الى مقالاته التي يوقعها تارة بـ (ابن العاص) وطورا بـ (ابن زياد) وحينا بـ (ابن عمر) ويسمي (عبد المسيح وزير) بـ (عبد الوزير مسيح) ... نسابة يعرف العائلات البغدادية وانسابها وعلاقاتها مع بعض وكثيرا ما كان يوزع السكاير الاجنبية الفاخرة التي يهديها اليه بعض الوزراء تزلفا اليه على اصدقاءه ويقول اشربوا هذا من السحت الحرام !!

ويحب الافلام السينمائية التاريخية ويكره الافلام الغرامية.. يهوى جمع اصناف مختلفة من الاسلحة ويولع بصيد الغزلان والطيور ... يطالع الكتب الادبية والتاريخية ويعجب بسير الرجال وقد اعجب فترة بسيرة الخليفة العباسي المتوكل بالله واخذ يقص على رفاقه نوادره ومواقفه بشكل ينم عما تنطوي عليه نفسه من اعجاب .

* * *

ولم يستطع (ابراهيم صالح شكر) ان يواصل كفاحه الصحفي في بعض الفترات لا سيما بعد ان توالت عليه المحن وضعفت صحته وارهقت اعصابه ، وكان الرجل شديد الحساسية كثيرا ما يتخاصم مع اهله ويغادر داره اياما ، وقد كان يقنع في بعض الفترات التي يضيق بها مجال الصحافة بوظيفة ادارية يمارس اعمالها فترة ثم لا يلبث ان يستقيل ليعود اليها بعد فترة اخرى وقد افصحت رسائله الى اصدقائه ـ وهي تؤلف ثروة ادبية ـ عن ضيقه وتبرمه بتلك الوظائف .

وكتب مرة الى صديقه عبد العزيز المظفر رسالة يصف فيها حياته في (قزلرباط) و (شهربان) وصفا ممتعا ، وقد جاء في الرسالة ((... لما كنت صاحب(السعادة) مدير شهربان كان البعض يقولون انني (يزيد شهربان) ووجه الشبه ان يزيد امات (الحسين) واولاده عطشا واني امت آل النقيب الذين يمتون الى سيدنا الحسن بالنسب الصحيح ... ولما اصبحت معالي مدير ((قزلقرط)) لم اوفق الى لقب جديد فيها فاخترت لنفسي لقب طرزان وبالرغم من كوني لست (لوردا انكليزيا) ولكن طرزان قضى ثمانية اعوام يعايش القرود في مجاهل افريقيا وانا قضيت ثمانية اشهر اعايش قرود قزلرباط في مجاهل لواء ديالى . وانني لم ازل (طرزان) حتى الان فانه عند عودته من افريقيا الى لندن رجع الى حالة المدن الحافلة باسباب العصر وانا كذلك فاني عند عودتي الى بعقوبة رجعت الى حالة المدن فحلقت الملعونة حلقا مناسبا وكويت (ثيابي) ونظفت (طربوشي) واخذت العب (التنس) مع من يعرف هذه اللعبة هنا وبما ان هذه اللعبة تتطلب (الخفة) والحركة النشيطة

فاني سوف افوز على غيري فيها لما اكتسبته من خفة (القرود) في قزلرباط ونشاط حركتها ولو نظرت الى شكلي البديع الان لحذرتني من المجيء الى الحلة في العطل الرسمية خشية من ان تمتد الي عيون الحليين المشهورة (بالملوحة) . واحمد الله ان ذوق علي جودة بك لا يخشى منه علي !! ..))

ومن العجب ان هذا الرجل الذي لاحق الساسة بلاذع قوله وقارص نقده ، كان شديد الحساسية بحيث لا يتسع صدره لنقد يوجه اليه أو ملاحظة تصدر نحوه فكانت الاشارة او الغمزة تكفيان لاثارته وحمله على الاستقالة ، كتب مرة الى (ياسين الهاشمي) يقول : (بلغني ان وزيرا من وزراء الدولة يتهامس عن صلتي بالمدفعي ويتململ منها ومن المستحيل ان أجحد هذه الصلة او اتهاون في اسبابها . ولست ولله الحمد أملك في الدنيا غيرها ..... فاذا كنتم تعتقدون بأن توظيفي لايلائم الظروف الحاضرة او انه غير مرغوب فيه من بعض الوزراء فاني حاضر لتنفيذ هذه الرغبة ولا اتطلب ايضاحا عنها انما تكفيني الاشارة الساذجة ..)) (٢٤)

وفي عام ١٩٣١ غمزته احدى الصحف واثارت الشكوك حوله عندما رافق وفد حزبي الاخاء والوطني الى كربلاء لعقد (مؤتمر سياسي) باعتباره موظفا حكوميا ، فطار صوابه وثارت ثائرته واسرع يرفع استقالة كتبها باسلوب يتفجر الما ويتقطر غضبا جاء فيها ((لست أملك مالا ولست املك نشبا وقد ترك لي أبي دارين ملك الاولى بكد يمينه وورث الثانية عن أبيه فبعتها وعشت بالثمن .... وقد الفت العيش الشريف من الصحافة الشريفة ولكن حكومة (الوضع الشاذ) عطلت « الناشئة » منذ سبع سنين ولما تزل معطلة ثم عطلت (الزمان) سنتين اثنتين كاملتين ثم عطلت (المستقبل) و (اليقظة) و (التجدد) ثم علمت انها واقفة بالمرصاد لاية صحيفة اصدرها ما لم اجنح الى مهادنة السياسة الاستعمارية الغاشمة ... اني اتحدى الوزارات الوزارة تلو الوزارة والوزير بعد الوزير وافخر بهذا التحدي مادمت أعيش بين اناس يتعبدون المال ويهملون الكرامة هذا نوري السعيد الوزير الدائم في الوزارات المتتالية ورئيس الوزراء الان كان يلوح لي (بالنيابة) اذا هادنت وزارته فكنت الوح بها عن طريق الشعب اذا جاءت ولما عطلت صحفي الواحدة بعد الاخرى ولما سدوا في وجهي سبل الارتزاق لم يبق في يدي من اوراق الحياة الا (ورقة التوظيف) مسكتها لامسح بها جبين الطفل المعصوم ودمعة الصبية البريئة والزوجة المخلصة الصبور .))(٢٥)

* * *

بقي (ابراهيم صالح شكر) فترة من الزمن بعيدا عن الصحافة انصرف خلالها الى القيام باعباء

الوظيفة يتنقل من (الفلوجة) الى (قلعة صالح) الى (خانقين) حتى اذا تطورت الاحداث ووقعت حركة (٤١) مايس وساد البلد جو من الحماسة لم يستطع ابراهيم صالح شكر ان يكبت مشاعره الوطنية المتأججة فاندفع في تأييد الحركة بكل ما يملك وابرق الى رشيد عالي الكيلاني برقية حماسية ولكن الرجل لم يستطع بعد ان فشلت الحركة وتفرق قادتها ان يصمد امام الجو الارهابي والظروف القاسية التي اعقبتها ، فانهار تحت تأثير عوامل شتى احاطت به ولم يستطع مواجهتها ، بنفس العزيمة التي كان يواجه بها الاحداث في شبابه ، فنشر في تلك الايام بيانا لا يطمن مشاعر الوطنيين تلقاه رفاقه والمعجبون به في معتقل (الفاو) و (العمارة) بخيبة أمل ، زيومها تنبأ احدهم بدنو أجله وقرب مصيره !!

ولا شك ان هذه الفترة من اقسى الفترات التي مرت به في حياته فقد استولى عليه شعور بالذنب وطغت عليه ازمة نفسية دفعته الى اعتزال الناس وساقته الى تجنب الظهور في الاندية وكأنه اراد ان يتقي نظراتهم وان يتحاشى لومهم فكان يقضي نهاره بعد ان فصل من وظيفته في مخزن صغير يقع داخل (مكتبة المثني) يغلق بابها عليه وينكب على مطالعة كتب التصوف لعلها تمنحه الراحة النفسية وتخفف من ازمة الضمير الذي يعاني منه وتبعد عنه شبح الاعتقال الذي كاد ان يصيبه لولا ان تداركه بعض اصدقائه .

وقد حدثني خالد الدرة قائلا : رأيته تلك الايام صدفة في (مكتبة المثنى) يقلب احدى الكتب ، فسألته مداعبا هل تقرأ يا ابا رياض ما يفيدك في الشتيمة والسباب ؟ فبدى عليه الانفعال والتأثر وقال وقد اغرورقت الدموع في عينيه صدقني يا خالد انني لا استحق هذا الشتم !!

★ ★ ★

وقد ازدادت نفسية (ابراهيم صالح شكر) سوءا بعد ان اعدم صديقه (محمد يونس السبعاوي) فقد ترك مصرعه أسوأ الاثر في نفسه ولذلك قصة لابد من روايتها :

كان (السبعاوي) من اشد اصدقاء (ابراهيم صالح شكر) وحدث ذات مرة ان دار بينهما جدل حاد تأثر خلاله ابراهيم من كلمة صدرت من السبعاوي اعتبرها ماسة تحملها على مضض حتى اذا قاما سوية يقصدان (صالون الجمعة) في دار محمود صبحي الدفتري امسك (ابراهيم صالح شكر) بتلابيب (السبعاوي) عندما وصلا الى (الحيدرخانة) وقال له بعصبية (هذه دارك ادخل اليها واجلب مسدسك لانني اريد اقتلك فقد اهنتني !!)) ولكن (السبعاوي) لاطفه واعتذر منه وخفف من حدته ، وبعد ان انتهت المشكلة حدث أن اغمي على (ابراهيم صالح شكر) في (صالون الجمعة) فاسرع (السبعاوي) يسعفه حتى

اذا استفاق التفت الى (السبعاوي يقول : يونس انى اراك اليـوم تصعد على سلم المجد فهل يكتب ان اراك على حبل المشنقة قبـل ان اموت !!.

ومضت الايـام واصـبح (السـبعاوي) وزيرا في وزارة (رشيد عالى الكيلانى) وتطـورت الاحداث ، فهرب (السبعاوى) ، ولم ينس وهو في طريقه الى الحدود ان يعرج على صديقه (ابراهيـم صالح شكر) قائممقام خانقين ، ليودعه الوداع الاخير ويقول لـه من باب المداعبـة ان امنيتك في رؤيتي على حبل المشنقة قدخابت!!

ولكن القـدر ابى الا ان يعيش (ابراهيم صالح شكر) ليشـهد اليوم الذى شنق فيه صديقـه (السبعاوي) ، وكان ذلك اشد ما يؤلمه واعمق ما يحز في نفسـه وقد ظل شبح (السبعاوى)يطارده في نومه ويلاحقه في يقظته ،لاعتقاده ان تلك الكلمة التي قالها في ساعة من ساعات الغضب قد بقيت عالقة في ذهن (السبعاوى) بحيث لم تبرح ذاكرته ساعة هروبه ، ولاعتقـاده انها كانت ترن في اذنيه عندمـا صعد الى المشنقة . ومن هنا كان ابراهيم صالح شكر يعاني في تلك الفترة ازمة نفسية عنيفة بحيث كان يفقد في كثير من الاحيان اعصـابه ويمسح دموعه ويقول في ألم مرير لبعض اصدقاءه ((ليتني لم اقـل تلك الكلمة)) .

* * *

وقد شعر (ابراهيم صالح شكر) بدنو اجله فكتب الى صديق لـه في بيروت رسالة ينعى بها نفسه ويطلب الى صديقه (أمين نخلة) ان يستعد لرثائه وقد جاء في الرسالة (.. وصل كتابك الاخير والشمعة تذوب والذبالة ترتجف وما ادرى! اهذه الكلمات هى اخر ما امليه على ولدى رياض ام اني قـادر على ان استقبل مشرق الشمس ومشهـد الغروب في مستقبلى المكتظ بالمحن والاكدار . وما ادرى اتهز الفاجعة اخى الحبيب امين نخلة فينشـد مرثية الفجر في ماتم الشفق.))(٢٦)

* * *

وقد انحدرت صحة ابراهيـم صالح شكر بعد شـنق السبعاوى من سيء الى اسوأ حتى اذا كان يوم ١٥ ــ مايس ــ ٩٤٤ كان السل قد نشب اظفاره فيـه فاستسلم الى المنيـة وهو يردد على فراش الموت ((سأموت في هذا المكان لا شهيدا ولا بطل)) .

---

(١) الزمان العدد ٣٨ في ١ ايار ١٩٢٨ (عيد مولدي)

(٢) الصحافة في العراق ــ روفائيل بطي محاضرات في معهد الدراسات العربية

(٣) راجع جريدة البرهان في ٨ آب ١٩٢٧ وفيها اشارة الى ان ابراهيم صالح شـكر انضم الى النادى الوطنى الذى أسسه مزاحم الباجهجي في العهد العثمانى دفاعا عـن الدعوة العربيـة .

(٤) الزمان العدد (٤٣) في ٩ ايلول ١٩٢٨ .

(٥) الناشئة الجديدة العدد (١٢) في ١٦ تشرين ثاني ١٩٢٣ ·

(٦) اصدر الرصافي بيانا في جريدة الامل يرد فيه على ابراهيم صالح شكر في ٨ كانون اول ١٩٢٣ ·

(٧) العاصمة العدد (١٨٩) تاريخ ٢١ حزيران ١٩٢٣ ·

(٨) كتاب اصدره العقاد والمازني وانتقدا فيه شوقي وحافظ وعبدالرحمن شكري في مطلع حياتهما الادبية واثار به ضجة ادبية مهدت لهما سبيل الشهرة ·

(٩) الزمان عدد (٤١) في ٢٦ آب ١٩٢٨ ·

(١٠) الزمان عدد (١) في ١١ تموز ١٩٢٧ ·

(١١) الزمان عدد (٢٢) في ١٨ تشرين اول ١٩٢٧

(١١) الناشئة الجديد العدد ٣٠ في ٧ حزيران ١٩٢٥ ·

(١٢) الزمان العدد (٤٤) في ١٦ أيلول ١٩٢٨ ·

(١٣) الزمان العدد ٤١ في ٢٦ آب ١٩٢٨ ·

(١٤) الزمان عدد ٢٣ في ٢١ تشرين اول ١٩٢٧ ·

(١٥) الزمان عدد ٢٣ في ٢١ تشرين اول ١٩٢٧ ·

(١٦) ذكر (خالد الدره) ان ابراهيم صالح شكر ربح مرة من عدد واحد من جريدة الزمان ما ظل يكفيه مدة (٣) أشهر راجع مجلة الوادي عدد (١٤) في ١٧ مايس ٩٤٨

(١٧) الزمان عدد (٣١) في ٣٠ اذار ١٩٢٨ ·

(١٨) الزمان عدد ٣١ اذار ١٩٢٨ ·

(١٩) كان حسين جميل يدرس ذلك الوقت الحقوق في الشام ·

(٢٠) الملوك ــ امين نخلة طبعة ٩٥٤ صفحة (٧٠ــ٧٩) ·

(٢١) الاسبوع في ١٥ مايس ٩٥٣ العدد ٢٠ مقال لرفائيل بطي ·

(٢٢) الاسبوع في ١٥ مايس ٩٥٣ العدد ٢٠ مقال لرفائيل بطي ·

(٢٣) مقدمة اعلام من الشرق ــ لعبدالقادر المراك ·

(٢٤) جريدة الحارس ١٥ مايس ١٩٥٤ العدد ١٧ ·

(٢٥) الاماني العدد (١) في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣١ ·

(٢٦) الرسالة مرسلة الى عبدالجليل الراوي سكرتير السفارة العراقية في بيروت ذلك الوقت ، منشورة في كتاب (الملوك) ــ لامين نخلة طبعة ٥٤ ، ورياض ولد ابراهيم صالح شكر توفي بعد وفاة والده بفترة قصيرة ·

كلال

نعمان ماهر الكنعاني

يا ظن دع يا حلم كف   كفاكما لمع السراب
طوت الغيوم بريقه   فتحسسا ما في الضباب
وتذكرا صور المنى   كانت تسير مع السحاب
فهوت ممزقة بكف   الشمس تنظر في التراب

★ ★ ★

يا ظن حسبك ، قد نفضت   يدي فلا تخطر ببابي
وهتفت بالنسيان يضمد   من جراحات الطلاب
وسألت ليلي أن يخفف   من طيوف الارتقاب
والسهد قلت له تمهل   يا ابن آمالي الكوابي

★ ★ ★

يا حلم اني ما قسوت عليك   في رفع الحجاب
كاشفتك الخسران ، اغضب   ما تشاء على الحساب
واذا استعدت الذكريات   وهن جرحى الاضطراب
اشفق عليها انها   وأبيك مثقلة الوطاب

★ ★ ★

افتح لها صفحاتها   وانظر ندوب الاحتراب
يا ظن واعذرها على   هذا الكلال لدى الاياب
وتفحص الضربات من   شتى منوعة النقاب
يا حلم ، واسأل هل لما   حملته جهل بالصواب

في ايلول ١٩٦٠

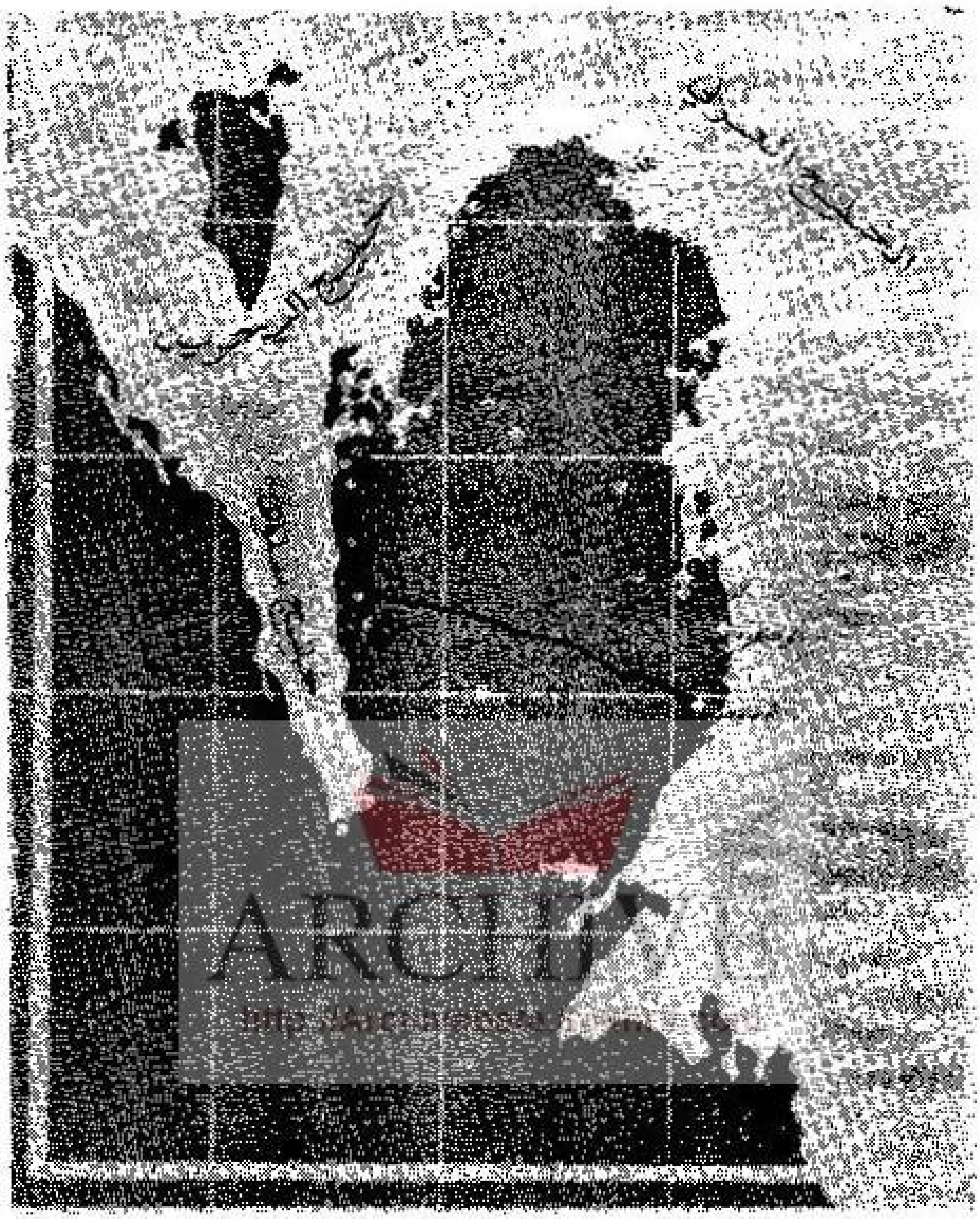
إمارة قطر في مدارج التاريخ

العميد المتقاعد
محمود بهجت سنان

تمتد شبه جزيرة قطر شمالا الى داخل الخليج العربي · بين الخليج المسمى «دوحة سلوة» الى الغرب والامتداد الجنوبي للخليج العربي الى الشرق ومن الناحية السياسية تحتل حكومة قطر القسم الاكبر من شبه الجزيرة · ويحكمها الشيخ احمد بن علي بن عبدالله بن قاسم آل ثاني · ويتألف سطح الارض في شبه الجزيرة من قوس كبير من حجر الكلس · وتهيء مياه الامطار التي تسقط في جيوبه وشقوقه المتملئة بالرمال اماكن تصلح للكلأ في الشتاء وفي الربيع · وربما كانت قطر جزيرة في وقت ما في الماضي البعيد · وفي هذه الحالة يكون خط السباخ في قاعدة شبه الجزيرة هو العلامة التي تحدد مواقع المضايق التي كانت تصل بين دوحة سلوة والخليج العربي الواقع شرقيها وذلك بالقرب من (خور العديد) على الارجح ·

وترتفع ارض قطر الى الشمال من خط السباخ ويقوم حولها من الجهة الغربية عدد كبير من المرتفعات والهضبات · وكلما اتجهنا شرقا نجد سطح ارض الامارة يتخذ شكلا سهلا من حجر الكلس اقل وعورة · وينحدر انحدارا خفيفا الى الخليج العربي · اما الشاطىء المنخفض الى الشمال من (خور العديد) فمغطى بنقيات على شكل هلال : ولم تبرز شبه جزيرة قطر كوحدة سياسية منفصلة الا في أواخر القرن التاسع عشر · وحكام قطر الحاليون من بلدة (اشنيقر) في الوشم (نجد) وهاجروا قبل قرنين ونصف قرن فسكنوا بادىء ذي بدء واحة يبرين اى (جبرين) ثم انتقلوا الى الزبارة في قطر :

وقد ذكر قطر جغرافيو اليونان ووصفها بطلميوس بانها تقع غربي مدينة (Gerra) ـ أي مدينة الجرعاء أو في شمال غربها · وهي على مبعدة نصف درجة منها تقع مدينة تسمى (Katara) وهي مدينة قطر الواقعة في شبه جزيرة قطر · وقد عرفها بلينوس باسم ـ (Cataraei) وذكر فورستر ان (Attene) هي شبه جزيرة قطر · كما ذكر ان



(Cattarrei) هى قطر يطلق على شبه جزيرة تكون الطرف الشـرقي لخليج البحرين ومن مدنها الدوحه ووكرة اى وقرة والشقيق ·

وقد جاء في معجم البلدان ان شبه جزيرة قطر من اقسام العروض التي تمتد من عمان الى حدود الاحساء · يشتغل سكانها بصيـد الاسمـاك واستخراج اللؤلؤ والظاهر انها هى (Catarnei) الذى ذكرها بلينوس ومعظم اراضيها صحارى وتوجد فيها واحات قليلة · ويزرع السكان في بعض الاماكن علـى ميـاه الآبار · وقد عرفت قطر قـديما بأنواع من الثيـاب والمنسوجات القطرية · كانت تصدرها الى الخارج · واستمرت شهرة اثواب قطر الى ما بعد ظهور الاسلام حيث ارتداها الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم · وكذلك زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها · كما كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ازار قطري مرقوع برقعة من جلد · كما عرفت بتصدير النجائب والنعام · والظاهر أن شهرتها هذه ورثتها من الجاهلية

وان سوقها كانت من الاسواق المعروفة ٠

وكان جغرافيو العرب القدامى يطلقون على البلاد المعروفة اليوم بقطر والاحساء والكويت والجزائر المقابلة لها ـ البحرين وهجر ـ وقال أبو منصور في معجم البلدان في اعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر واليها تنسب الثياب القطرية ٠ وهي حمر لها أعلام ٠ وكانت تنسج فيها واليها تنسب النجائب القطريات وكان لها فيها سوق٠ وفي تاريخ نجد للالوسي في الجهة الشرقية من العقير قطر ٠ وهي منزل أهل السفائن من العرب الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ ٠ وهم قبائل منهم من قحطان ومنهم من وائل ٠وفي بر قطر بعض من بني هاجر وفي باديته قبيلة تسمى المناصير ٠ وفي سواحله محال كثيرة منها البدع وهو رأس الزبارة ونوريط وغير ذلك من البنادر ٠ وكان بره وصحاريه في تصرف امراء نجد وقال البكري في معجمه « وقطر هذه أكثر بلاد البحرين خمرا »٠ وقال جرير:

وكائن ترى في الحي من ذي صداقة
وغيران يدعو ويله من حذاريا
اذا ذكرت هند اتيح لي الهوى
على ما ترى من هجرتي واجتنابيا
خليلي لولا ان تظنا بي الهوى
لقلت سمعنا من سكينة داعيا
قفا واسمعا صوت المنادي فانه
قريب وما دانيت بالود دانيا
الا طرقت اسماء لا حين مطرق
أحم عمانيا واشعث ماضيا
لدي قطريات اذا ما تغولت
بنا البيد غاولن الحزوم الفيافيا

ويقول عبدة بن الطبيب في ذكر قطر ٠

تذكر ساداتنا اهلهم وخافوا عمان وخافوا قطر
وخافوا الرواطي اذا عرضت ملامس اولادهن البقر

وعبيدة هذا شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والاسلام وهو من تميم ٠

وممن ينسب الى قطر (مري بن قطري) من رجال القرن الاول الهجري والماحوزي بن الفجاءة ـ أخو قطري وهو من أصحاب المهلب الذي حارب أخاه ٠ وذكر في وفيات الاعيان لابن خلكان ابو نعامة قطري بن الفجاءة ٠ واسمه جعونة بن مازن بن يزيد ابن زياد بن حبتر بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر التميمي الشيباني ٠ ولد في الجنوب الشرقي من قرية (الخوير) شمال قطر في المكان المعروف اليوم باسم (المعدان) وكان يدعى الاعدان ٠ وقطري من خطباء العرب المفوهين ٠ اشتهر بالبلاغة وفصاحة اللسان

وبالشجاعة وقوة النفس وكثرة الحروب وهو من رؤساء الخوارج الازارقة ·

لم يكن يعرف شيء عن قطر في عصر ما قبل التاريخ حتى بضع سنوات فقط رغم وجود أماكن متعددة ولا سيما قرب الشواطىء تحتوي على بعض الخرائب القديمة التي جعلت البعض يظن بأنها يمكن أن تعطي فكرة عن حياة سكانها الغابرين · على ان البعض الآخر كان يظن بان قطر · لم تكن آهلة بالسكان في ذلك العصر لانها شبه جزيرة معزولة عن الجزيرة العربية ·

ومنذ سنة ١٩٥٦ قامت بعثات دانماركية متخصصة بالآثار باجراء دراساتها في منطقة الخليج العربي ·· وتوجهت احدى هذه البعثات لزيارة قطر · حيث امضت فيها حوالى ثلاثة أشهر في التنقيب · وقد كانت النتائج باهرة · فقد تم مسح معظم اراضي الامارة · وظهر ما يثبت بأن اناساً قد زاروا شبه الجزيرة هذه واستوطنوا في أغلب مناطقها (من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب) ويرجع ذلك الى زمن بعيد قبل بداية العصر التاريخي · ونقتطف من تقرير البعثة التمهيدي الفقرات التالية :ــ

« بامكاننا أن نعطي بعض المعلومات عن النتائج التي حصلنا عليها من بحثنا عن الاثار وان نقدم الدليل على الثقافة التى تمتع بها الانسان القديم والذى استطعنا من اكتشاف وجوده في اعالي السهول المحصورة بين الصخور الصوانية العالية · حيث وجدنا ادوات صوانية مستعملة · وقطع رقيقة نتجت عن تشكيل الصوان وبعض القطع الكبيرة جدا · اما الادوات المصنوعة كالفؤوس والمعاول التى امكن تمييزها فانها تدل على انها بدائية وتكثر هذه الاكتشافات في المناطق التى تحتوي كتلا صوانية ضخمة ظاهرة على سطح الارض · وقد وجدنا مثل هذه الصخور شمال دخان اى قريب (سعودين نائل) وفي الجنوب قرب (شديدة) وفي الوسط (بأم طاعه) ·

اما في الجنوب وفي مناطق اخرى اغلبها في الجزء الشمالى من قطر فقد اكتشفنا عددا كبيرا من اماكن الاستيطان القديمة أكثرها على الصخور التى ترتفع كثيرا وربما كان عمر تلك الاماكن اقل مما ذكرنا سابقا · وقد أبدى المنقبون اعجابهم بمدى المهارة اليدوية في صناعة الادوات الصغيرة الحجم وكثرة تنوعها · التي يبدو وكأنها ادوات ثقب وسكاكين » ·

ويتناول التقرير ايضا مواقع قديمة اخرى تقع بجانب الشواطىء وعلى المساحات الواقعة بين التلال وكثبان الرمال · فيقول :ــ

« وتحتوي هذه الاماكن على كثير من الادوات المختلفة كرؤوس الأسهم الجميلة الصنع ذات المقابض والكلاليب · وهذه الادوات المكتشفة في المواقع المذكورة صغيرة جدا ومن نوع الصوان الحاد ·

ومن ادق العينات التي اكتشفت اشغال يدوية فنية تساوي قيمتها ما عثر عليه في العصر الحجري ومن أرقى ما وصلت اليه ثقافة شعب في جميع انحاء العالم في ذلك العصر · مما يثبت وجود سكان قدماء اصحاب مهارة

يدوية ورقي »

كم هو عمر هذه الادوات ؟..

ولاسباب لا يمكن شرحها في هذا المجال لا يمكن اعطاء معلومات دقيقة عن عمرها .. ولا نعلم ما اذا كانت تلك الفقرات من التاريخ في حياة شبه الجزيرة عامة وقطر خاصة متقدمة أو متأخرة أو معاصرة كثقافة أوربا المماثلة .

ومن المحتمل ان تكون ثقافات البلاد العربية اكثر قدما من ثقافات اوربا المماثلة . ومن الممكن ان يستطيع الناس الذين عاشوا في قطر (شبه الجزيرة البعيدة والمعزولة) ان يصنعوا الاسلحة والادوات اللازمة من الصوان في الفترة الواقعة ما قبل العصر التاريخي .

وقد قدرت البعثة ان احدث ما صنع من تلك الادوات كرؤوس السهام يرجع الى حوالى (٦٠٠٠ سنة) .

وبالاضافة الى ادوات الصوان المكتشفة عثرت البعثة على مئات من القبور المرتفعة ترجع الى ما قبل الاسلام . وقد نهبت أغلب تلك القبور . ونتج عن ذلك عدم امكان تقدير عمرها في الوقت الحاضر .

ومن المواقع التي تلفت النظر مكان يقع شمال دخان حيث وجدت كمية من الخزف اليوناني . ومن المحتمل الا تكون قد استوردت من اليونان بل صنعت محليا أيام الاسكندر الاكبر منذ (٢٠٠٠) سنة تقريبا .

وقد عثرت البعثة أيضا قرب جبل (جوسياسيه) على عدد كبير من نقوش محفورة على الصخور لم يتم البحث فيها بوضوح تام . وتعتبر هذه النقوش ذات أهمية في دراسة تاريخ قطر .

ومن المحتمل ان يكون بعض تلك النقوش حديثة والبعض الاخر قديمة جدا . وباستمرار هذه الدراسات التي تتطلب سنوات من البحث سيجني علماء الاثار في العالم أكبر فائدة .

ومن سوء الطالع أن الاهليين في ذلك الاقليم أخذوا يقطعون تلك الاحجار الاثرية مما دعا البعثة الاثرية الى الاتصال بحكومة قطر كي تمنع استمرار قطع تلك الصخور .

وخلال وجودي في قطر هذا العام ، كان من حسن الحظ ان التقيت برئيس البعثة ، البروفسور (هولغر كابل) وهو على وشك العودة مع افراد زمرته الى الدانمرك ، بعد أن أنهوا برنامجهم الذي استمر من ١٦ـ١ـ١٩٦٤ الى ١٠ـ٤ـ٩٦٤ وقد خصني مشكورا بصورة من تقريره المرفوع الى حكومة قطر أخيرا وهو يحتوي على معلومات أثرية قيمة نتيجة بحث استمر سبع سنوات . وسابحث هذا التقرير في مؤلفي المزمع نشره قريبا انشاء الله .

فالسيد هولغر كابل (Holger Kapel) قد زار قطر بانتظام خلال السنوات الخمس الماضية .. وقد شاركه في هذه السنة بالبحث والتنقيب كل من الدكتور سفندجور جنسن والمستر الرنك بوندسن . وقد سألته عن

البحوث التي انجزوها خلال الشهور الثلاثة من اقامتهم بامارة قطر ·
فقال :
كان برنامج عملنا هذه السنة يضم ثلاثة بحوث رئيسية وقد وفقنا بنجاح في انجازها : والبحوث هي :
١ ـ اتمام ما قمنا به من اكتشافات في شبه الجزيرة تعود الى العصر الحجري ·
٢ ـ كان البحث في (جبل الجساسيه) حيث وجدنا في العام الماضي عددا من نقوش السفن ، يعتقد أن لها أهمية أثرية عظيمة · فقد خططنا مقاطع هذه النقوش لمقارنتها مع نقوش اخرى موجودة في اسكندنافيا يعود تاريخها الى اكثر من (١٠٠٠) سنة قبل الميلاد ·
٣ ـ تحرينا بالقرب من رأس عوينات شمال دخان · حيث يعتقد ان هذه المنطقة كانت آهلة بالسكان لاننا وجدنا في هذا الموقع في العام الماضي كميـو كبـيرة من الاواني الفخارية يعود تاريخها الى حـوالي (٢٠٠) سنة قبل الميلاد · وتعتبر هذه اقدم مقر اكتشف في قطر حتي الان · هذا اذا استثنينا مواقع العصر الحجري ·
وفي التقرير الذي رفعناه لحكومة قطر ايضاح وافي بالانجازات التـــي قامت بها البعثة خلال سبع سنوات ·
لقد أشار التقرير الى مراحل العمل للبعثة الاثرية في كل سنة وأسماء الذين ساهموا من علماء الاثار في كل مرحلة · والذى يلفت النظر ما ورد في خاتمة تقرير البعثة الاثرية الدانمركية الاخير المرفوع الى حكومة قطر ، وهو ما يلي :
((ان بعثة الاثار الدانمركية خلال سبعة اعوام من العمل في قطر قامت بجمع مواد وادوات بالغة الاهمية في قيمتها وقد نقلت الى الدانمرك لفحصها هناك من الناحية العلمية ·
ومن المحتمل ان يعاد قسم كبير منها الى قطر لعرضه في متحف اقترحت البعثة انشاءه في مدينة الدوحة ·
ويمكن القول بغير مبالغة ان النتائج التي وصلت اليها البعثة حققت ما لم تكن تتوقعه ، حتى مع أوسع الامال تفاؤلا » ·
هنا بيت القصيد يا حكومة قطر : الاثار التي عثر عليها والتي هي في بالغ الاهمية ، شحنت الى الدانمرك ؟ ويا ترى ما هو نصيب قطر من تراثها القديم ؟ وما قيمة المواد الاثرية التي يحتمل أن تعاد بعد الفحص الى قطر ؟
تعمل البعثة الاثرية في قطر بكل حرية وبدون أية رقابة من قبـــل السلطات الحكومية القطرية ، وهي تتصرف بالمعثور عليه من الاثار بدون حصر ولا رقابة · وان شركة النفط تصرف بسخاء على راحة أعضاء البعثـة ولا رقابة · وان شركة النفط تصرف بسخاء على راحـــة اعضاء البعثـر وتحرياتهم ·

لقد سرقت جميع الاثار من البلاد العربية وتسربت عن طريق البعثات المنقبة التي قصدت أرضنا وبلادنا ٠ والمتاحف الاثرية في أوربا زاخرة بأثمن النماذج التأريخية العربية بينما تقتصر متاحفنـــــا الى آثار مجدنا العربي التالد وحضارتنا الزاهرة الخالدة ٠ هذا الى جانب القيمة المـادية لبعض الاثار ٠ ولا حول ولا قوة الا بالله ٠٠٠٠؟

ان تاريخ العرب قبل الاسلام لازال يستحوذ عليه الغموض والابهام هذا اذا استهدفنا الدقة في التحري والضبط والتمحيص في تنسيق مجريات الحوادث ٠ وان ما نلمسه الان في مدونات اسفارنا العربية من أمجاد الماضي القديم هو ما عرفه العرب على ما رواه اليونان أو غيرهم فقد ذكروا اشياء لم يكن يعرفها العرب أنفسهم ٠ فزادوا رغبة في استيضاح ذلك التأريخ بتدوين الاثار المكتوبة وغير المكتوبة في انقاض المدائن العربية في اليمن والحجـــاز ومشارف الشام والعراق ومصر ٠ وغيرها من البلاد العربية ٠

وقطر التي نحن في صدد تدوين نبذة من تاريخها هي أحد تلك الاقطار العربية التي غابت عنا شواهد التاريخ فيها ٠ وقد مرت عليها الابحـاث التاريخية المدونة بمعلومات هزيلة لا رابطة بين أحداثها ولاصلة بين التيارات التي اجتاحت المنطقة التي وجدت فيها لبيان شخصيتها التاريخية ٠

وقد أوردت المصادر التأريخية القديمة قبل الفتح الاسلامي وبعــــده



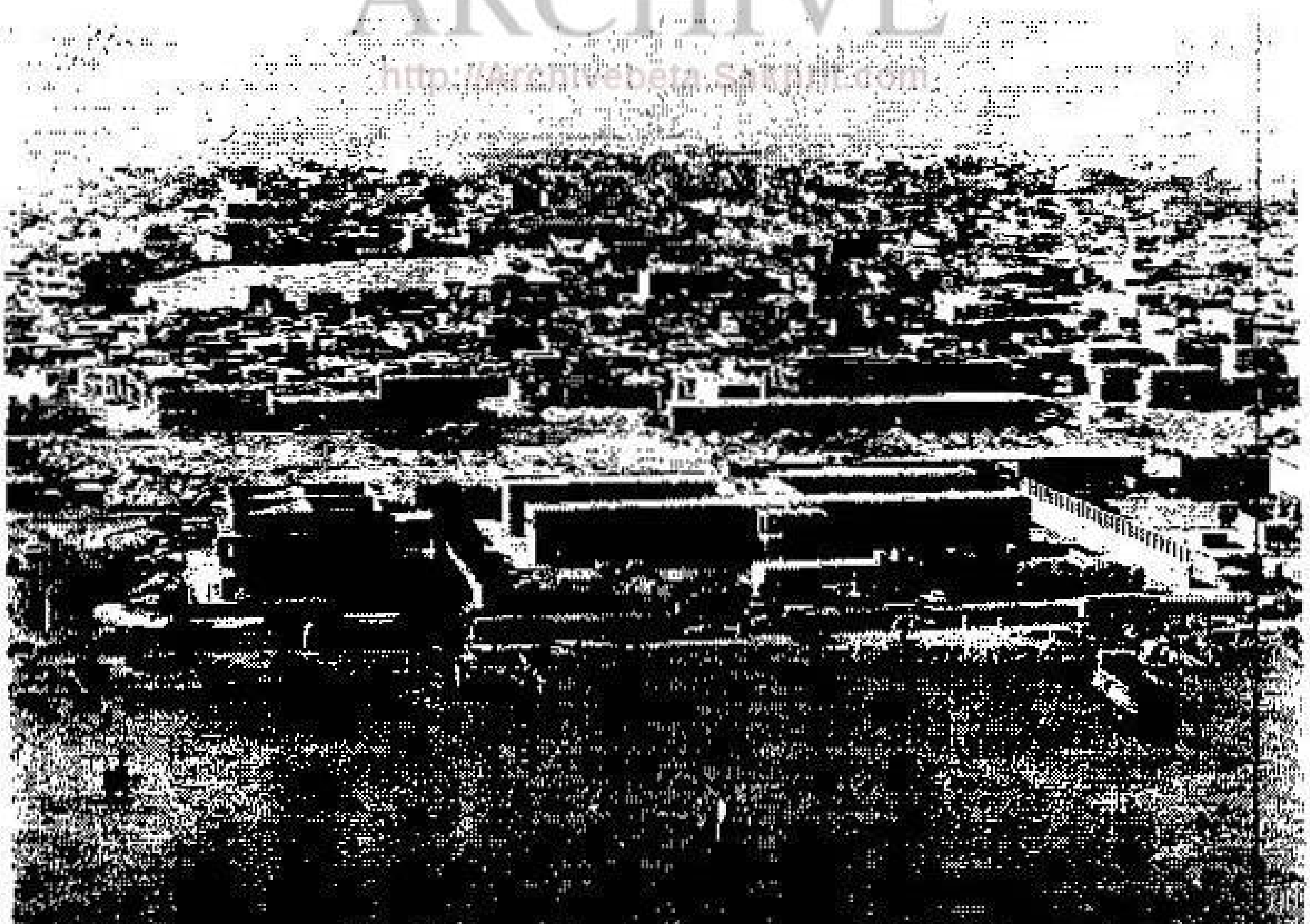
جامع الوكرة الجـديد

معلومات لا بأس بها عن منطقة الخليج العربي ، الذي دعاه اليونان بالخليج الفارسي أما الاشوريون والبابليون فعرف عندهم بـ (البحر) و بـ (البحر الاسفل) مقابل البحر الاعلى وهو البحر الابيض المتوسط ولم يرد اسمه في الكتابات الفارسية القديمة .

وقد اطلقه اليونان والرومان لتعريف الساحل الفارسي ومنهم انتقلت هذه التسمية الى غيرهم من الناس .

ذكر الكتاب اليونانيون والرومانيون مدينة جرهـــا (Gerrha) في القرن الثالث الميلادي . وهي مدينة كلدانية تقـــع على ساحل الاحساء وسمو سكانها بالجرهيين (Geraic) وميـنـــاءهم (Gerrha) . ويقول عنها شبرنكر ان (Gerrha) هي الجرعاء وكانت قائمة بالقرب من ميناء العقير أي غرب قطر . وذكرها استرابون فقال أن ميناءها يقع على خليج عميق من خلجان الخليج العربي بيوتها مبنية بحجارة الملح واهلها يتاجرون بالطيب والمر والبخور تحملها قوافلهم التي تسلك الطرق البرية والبحرية الى بابل ثم الى مدينة نابا سقوس التي خمنها الباحثون بأنهـــا مدينة الدير ــ دير الزور ــ أو الميادين ــ في حوض الفرات . ومنها الى مختلف الانحاء .

وممن ذكرها قبل استرابون كاتب اسمه يوليبوس وآخر اسمــه



منظر من الجو للدوحة

اغاثرسيدس وثالث اسمه ارتميدوروس من اهل القرنين الثاني والاول قبل الميلاد كما ذكرها بيلنوس من اهل القرن الاول بعد الميلاد وخلاصة ما اوردوه انها كانت مركزا من المراكز التجارية الخطيرة . وسوقا من الاسواق المهمة في بلاد العرب وملتقى طرق القوافل الواردة من الجنوب والشمال . ومرفأ تجاريا يستقبل مراكب وتجارة افريقية والهند والعربية الجنوبية . ويعيد تصديرها الى مختلف الاسواق برا وبحرا . وقد صار اهلها من أغنى شعوب الجزيرة . وصاروا يستعملون اواني الذهب والفضة ويزينون بيوتهم بالذهب والحجارة النفيسة . وقد حرك صيت هذه الميناء وثروتها اطماع انطينوخوس الثالث أحد ملوك الدولة السلوقية اليونانية التي قامت في بلاد الشام في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد فجعلته يقود اسطوله في عام (٢٠٥ ق.م) فيقطع به نهر دجلة ثم الشط للاستيلاء على المدينة الغنية والحاقها بحكمه .

وقد ارسلت المدينة اليه رسولا يحمل رجاءها بالا يحرمها من نعمتي السلام والحرية . فاستجاب الى الرجاء واكتفى منهم بفدية كبيرة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة .

وقد قال بعض الباحثين ان مدينة العقير الحالية تقوم على تلك المدينة القديمة وبعضهم يخمنون بانها القطيف : وذكرها فلبي (Phillby) ان جرها هي العقير وقد أيدت دائرة المعارف البريطانية هذا الرأي .

ولقد قال الاثريون ان هذا الميناء يقع على الخليج المقابل لجزر البحرين التي وردت في النصوص الاكدية والسومرية باسم دلمون (Dilmun) أو تلمون (Tilman) . واشتهرت جزرها باسم ارادوس (Aradus) وتيلوس (Tylios) وتيروس (Tyrus) التي تبعد خمسين ميلا. وربما تكون جرها هي هجر كما ذكرها مؤرخو العرب القدامى.

ولقد كان العرب يطلقون اسم البحرين على الساحل المقابل لهذه الجزر أيضا ويذكر اسم مدينة هجر على الساحل كعاصمة لامارة البحرين. وقال المقدسي ـ الاحساء قصبة هجر وتسمي البحرين ، كبيرة كثيرة النخيل عامرة آهلة . وقال ابن خرداذبه المتوفي سنة ٢٠٨هـ (البحرين هي الخط والقطيف ، والاره وهجر ، والفروق وبينونه والمشقر والزاره وجواثا وسابور ودارين والغابه والشنون) . وقال أبو الفداء في تقويم البلدان : القطيف من البحرين وهي بناحية الاحساء وهي على شط بحر فارس ولها مغاص وهي في شرق الاحساء .

وللقطيف خور من البحر تدخل فيه المراكب الكبار الموسقه في حالة المد والجزر . وبين القطيف والاحساء مسيرة يومين وكانت البحرين في عهدها القديم اسما لاقليم واسع الارجاء يطلق عليه الاقليم السادس أو الاحساء وهو يضم قسما كبيرا من الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب ان لم يكن باكمله فهو يمتد من مدينة (كاظمه) الواقعة جنوبي مدينة

الزبير شمالا حتى حدود عمان جنوبا بما فيه الجزر الواقعة في مياه هذا الساحل • فشبه جزيرة قطر على هذا الاعتبار تعتبر جزءا من ساحل البحرين أي الاحساء •

فالجون الكائن بين القطيف والعقير - جرها - وجزيرة المنامه - آرال والزياره - قطر - الذي يؤلف ساحل الاحساء • كان مركزا لانطلاق السفن التجارية التي تقصد الهند والصين وفارس وعمان والابلة - فالاثار التي عثر عليها في كل من البحرين والاحساء وقطر أخيرا تدل دلالة واضحة على الصلة التي كانت تربط هذه الاجزاء بتأريخ مشترك •

ولم تذكر الروايات طريقة الحكم في هذه المنطقة والغالب أنها كانت تحكم من قبل زعماء قبائلها القوية •

ومما ذكروه في هذا القاطع جزيرة اسمها ايكارم (Icacum) وقالوا انها تبعد عن الساحل الجنوبي للعراق مئة وعشرين ستاده وانها مغطاة بالغابات الكثيفة وفيها ضريح (مزار) يؤدي الناس عنده عبادتهم اليومية • والصيد فيها محرم تحريما دينيا فيسير العنز الوحشي فيها بكل حرية • ويخمن الباحثون ان هذه الجزيرة هي الجزيرة المعروفة اليوم باسم شراره • ثم ذكروا بعد هذه الجزيرة خليجا سموه (Capuas) تنزل فيه قبائل الابوقيين (abukaisn) والخطائيين (chatteal) والجلابيين (Gaulapes) ويظن ان الخليج المذكور هو خليج القطيف • وان الابوقيين هم اصل الاسم الذي صار عبد القيس • وهم القبائل التي كانت صاحبة القوة والسلطان في هذه المنطقة قبل الاسلام •

واما القبائل القاطنة في السواحل المواجهة لجزر (Tyros) و (Aroud) (جزر البحرين الحالية) فهي قبائل عديدة سموا احداها (Nachaeti) التي يمكن ان تكون النشاطي او النخاطي وثانية (Zurayi) التي يمكن ان تكون الزراري وثالثة (Bargadi) التي يمكن أن تكون البراغدة • ثم تأتي بعدها أراضي (Catterrie) وهي المنطقة المعروفة اليوم باسم قطر على رأي الباحثين •

ويرى بعض المؤرخين ان الخليج العربي هو مهد الحضارة بل مهد الجنس البشري وان الكنعانيين ومنهم الفينقيون كانوا يقطنون سواحله الغربية قبل نزوحهم الى سواحل الشام وفلسطين وقد اورد هذا القول المؤرخ اليوناني الملقب بابي التأريخ هيرودتس - (٤٨٤ - ٤٢٥ ق٠م) واسترابو الجغرافي الروماني (٦٤ ق٠م - ١٩ ب٠م) الذي اشار الى المقابر الموجودة في جزر البحرين فانها تشابه مقابر الفينقيين • وان سكان هذه الجزر يذكرون باسماء جزائرهم ومدنهم وهي اسماء فينيقية • وقال أيضا ان في بعض هذه المدن هياكل تشبه الهياكل الفينيقية الشامية • وقد اوردت باسهاب تفاصيل هذه المقابر في مؤلفي ((البحرين درة الخليج العربي)) • كما عثر الرحالة الانكليزي المستر جون فلبي (J. philby)

على مثل هذه المقابر في الخرج والافلاج من اعمال نجد • وعلى رأيه ربما كان الفينيقيون من هاتين المنطقتين حيث هاجروا بعـــدئذ الى سواحل الخليج العربي •

وان أول من سكن البحرين ومنها قطر في فجر تاريخهــــا على رأي الباحثين الذين ذكرناهم هم القبائل الكنعانية (٤٨٤ ــ ٨٢٥ قبل الميلاد) وقد ذكرهم مؤرخو العرب بأنهم كانوا رجال بحر منـذ أقـدم العصـور فالكنعانيون والفينيقيون شعب واحد كما اسلفنا •

وليست القبائل الكنعانية وحدها التي نزحت من جزيرة العرب فقد نزح منها مع تقارب الازمان اصول الامم الاكاديون والاموريون والبابليون والاشوريون والكلدانيون وغيرهم ممن كان لهم الاثر العظيـــم في مجرى التاريخ البشري •

وبالاضافة الى الثقافة البدوية التي كانت تسود الجزيرة العربية فقد نمت فيها مدنية متحضرة قبل الاسلام بمئات السنين وكان مقر هذه المدنية الركن الجنوبي من الجزيرة •

تأثرت شبه جزيرة قطر بمدنيات الامم القديمة التي ظهرت في العراق وفارس من سومرية واكادية وبابلية واشورية وفارسية وكان من دلائـل اندماج قطر وتأثرها بتلك المدنيات الكتابة المسمارية التي ظهرت عـلى النقوش التي يعود تاريخها الى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد •

وقد دخلت قطر وسائر مناطق البحرين في حوزة اللخميين احـلاف الفرس الذين هجروا بلاد اليمن ونزلوا العراق الجنوبي في أوائل القـرن الثالث للميلاد • ولما انهت الدولة الفارسية حكم اللخميين حوالى عـام ٦٠٢ م ولت من قبلها حكاما على البحرين من سكانها العرب فكان آخرهم المنذر بن ساوي التميمي الذي أعلن اسلامه عام ٦٢٨م •

وكان سكان البحرين قبل الدعوة الاســلامية يدينــون باليهودية والزرادشتية والنصرانية ولكن الكثرة الغالبة كانت وثنية •

وقد دانت قطر بالنصرانية التي دخلتها عن طريق الدولة الحبشيـــة والتجار القادمين من الامبراطورية الرومانية • وقد ورد ذكر اسقفية (بيت قطر) عام (٢٢٥ م) في كتاب العمل الانجيلي في الشرق العربي كما ورد في الصفحات (٨٨ ــ ٨٩) اسم قطر صراحة كبلاد اعتنقت النصرانية • وفي المجتمع الذي عقد عام (٤١٠) للميلاد وحضره اساقفة من بلاد فارس وقطر ذكر اسمها كما يلي :

((وهذه بلاد قطر الكائنة في جنوب شرقي بلاد العرب)) •

قطر في حضيرة الاسلام

كانت البلاد الواقعة على الساحل الغربي لخليج العرب ، اى من البصرة الى عمان تحت النفوذ الفارسي قبل الاسلام وفي السنين الاولى من البعثـة النبوية • وفي السنة الثامنة من الهجرة (وقيل السادسة منها) ارسـل

الرسول الاعظم أحد الصحابة (العلاء الحضرمي) ليدعو أهل هذه البلاد للاسلام أو الجزية • وكان المنذر بن ساوي أميرا عليها من قبل الفرس • فاعلن اسلامه واسلم معه جميع العرب وبعض العجم ودخلت قطر وجاراتها في الاسلام وبايعت الرسول الاعظم على طاعة الله واعلاء كلمته • وعاد الصحابي (الحضرمي) الى مكة يحمل الى النبي بشرى النصر المبين •

بيد ان اهل البحرين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ارتدوا فجاءهم العلاء ثانيا على رأس جيش من المسلمين • فادب اهل الردة واعادهم الى الصراط المستقيم • ثم وجه حملته نحو الزيارة في قطر وقتل فيها المكعبر عامل كسرى ثم عاد الى البحرين فولي أمرها • ومشت قطر في طليعة من مشى لنصرة الدين الحنيف ومنها قام أول اسطول بحري نقل الجيش العربي الاسلامي للجهاد في سبيل الله بقيادة العلاء الحضرمي الذي خاض عباب الخليج العربي نحو الشاطيء الفارسي فدخله فاتحا • وقد ابلت قطر في هذه الوقعة بلاء حسنا • فقد جندت لحربها خيرة رجالها واشجع فرسانها وفي ذلك يقول صاحب معجم ما استعجم : لقد اصبح للمسلمين معسكر آخر في قطر للانقضاض على الفرس فضلا عن معسكراتهم في جنوب العراق •

وبعد وفاة العلاء تولى أمر البحرين (عثمان بن أبي العاص الثقفي) الذي استمر في جهاده فكانت له ولمن معه من مجاهدي البحرين وغيرهم اليد الطولى في الاستيلاء على مدن (شيراز) و (جنابة) و (اصطخر) وغيرها وقد تبعه في الولاية على البحرين الصحابي أبو هريرة والربيع بن زياد الحارثي الذي فتح بلاد (سجستان) الواقعة في الجنوب الغربي من افغانستان ومن مدنها (قندهار) وكان ذلك في عام (٢٩هـ–٦٤٩م) •

وفي خلافة سيدنا علي كرم الله وجهه تعرضت البحرين ومن ضمنها قطر الى حرب الخوارج • وقد تمكن الخارجي (نجدة بن عامر بن عبد الله الحنفي من الاستيلاء على اليمامة والبحرين (عام ٦٧هـ–٦٨٦م) وسمى نفسه أمير المؤمنين • ثم حمل على عمان وحضرموت وغيرها • وبقيت البحرين ومنها قطر ، تحت حكم الخوارج الى ان تمكنت جيوش عبد الملك بن مروان من الانتصار عليهم عام (٧٣هـ–٦٩٢م) وفي عام (٢٤٩هـ–٨٦٣م) ظهر صاحب الزنج في البحرين واسمه على بن محمد بن عبد الرحيم • ولد في احدى قرى الري بفارس وكان يدعو لتحرير الزنوج الارقاء • واحله أهل البحرين من أنفسهم محل النبي • وقد تمكن العباسيون من قمع هذه الثورة وسحقها وقتل صاحبها في عام (٢٧٠ هـ – ٨٨٣ م) بعد ان ظلت أكثر من اربعة عشر عاما •

وفي عام ٢٧٨ هـ ظهر القرامطة ليحلوا محل الزنج • والقرمطية تعتبر في طليعة العناصر التي تآمرت على سلامة الدولة الاسلامية العربية اتخذت الدعوة الى امامة محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق

أغراضها وسلاحاً للوصول الى ما تصبو اليه من أهداف سياسية وقد تزعم هذه الدعوة ابو سعيد حمدان ، وكانت هذه الحركة في الاصل منظمة سرية ذات صبغة اشتراكية • وكان من اهم اتباع القرمطى (أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي) من اهل جنابة بفارس ، نزل البحرين وكان من تجارها واخذ يدعو العرب بدعوته منذ عام (٢٨٣ هـ ـ ٨٩٦ م) وتمكن أخيرا من تأسيس دولة ملكية وراثية مستقلة في عام (٢٨٦ هـ ٨٩٩ م) على شواطيء الخليج العربي الغربية • وبعد ان تم له الاستيلاء على الاحساء وقطر ، اتخذ مدينة هجر عاصمة له ، واجبر السكان على اعتناق مذهبه • وذلك في عهد المكتفي بن المعتضد العباسي • ولا مجال لذكر فضائح القرامطة وما قاموا به من اعمال بربرية يندى لها جبين التأريخ • وفي عام (٣٦٧ هـ ٩٧٧ م) بعد وفاة الحسن بن أحمد القرمطي • أخذ أمر القرامطة بالضعف لخلافاتهم على الرياسة واتجاهاتهم السياسية • وأخيرا تغلب عليهم الامير عبد الله بن علي آل ابراهيم العيوني مؤسس الامارة العيونية في عام (٤٦٩ هـ ١٠٧٦ م) بعد قتال دام سبع سنوات وهكذا انتهى حكم القرامطة في البحرين •

وللشاعر بن مقرب العيوني قصيدة رائعة يصف فيها ما آل اليه أمرهم من دمار وهلاك على يد اجداده العيونيين حيث يقول :

سل القرامط من شظى جماجمهم
فلقا وغادرهم بعد العلى خدما

من بعد ان جل بالبحرين شأنهم
وارجفوا الشام بالغارات والحرما

ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها
أرض العراق وتغشى تارة ادما

وحرقوا عبد قيس في منازلهم
وصيروا الغر من ساداتها حمما

وابطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصبوا منهم صنما

وما بنوا مسجداً لله نعرفه
بل كلما ادركوه قائما هدما

والعيونيون هم عرب من قبائل الاحساء • وقد أراد (بنو عامر بن ربيعة) وهم من قبائل اليمن التي آزرت العيونيين ان يستغلوا الموقف لصالحهم فلم يفلحوا ، كما أراد ابن العياش الذي ورث حكم القرامطة في القطيف ان يستولي على الاحساء فلم يتمكن من الثبات أمام العيونيين • ففر الى البحرين مع اتباعه واستولى عبدالله العيوني على القطيف بعد ان وجه ابنه (الفضل) في أثر زكريا ابن العياش ، وبعد معارك دارت دائرتها على ابن العياش فر ناجيا بنفسه الى بلدة العقير الا أن العيوني لم يمهله فقتله •

وهكذا بسط العيونيون نفوذهم على منطقة الاحساء والقطيف والبحرين وقطر وقد دام حكمهم حوالي (٣٠٠) سنة ٠

وفي ذلك قال شاعرهم ابن المقرب :

وصار ملك ابن عياش وملك ابي الـ
سبهلول مع ملكنا عقداً لنا نظمـــا

وفي القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ـ استولى بنو نبهان على قطر وكان هؤلاء ملوك عمان آنذاك ٠ وآل نبهان ينتسبون الى العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد ٠ وآل اليهم حكم عمان سنة (٥٤٩ هـ ـ ١١٥٤ م) واستمر حكمهم (٥٠٠) سنة ٠ وبلغت الفترة الاولى منهم (٢٦٠) سنة أي حتى (٨٣٩ هـ ـ ١٤٢٩ م) ومن بعدهم تناوب الحكم عليها وعلى غيرها من اقطار البحرين كثيرون من اهالي البلاد ٠

وفي نهاية القرن الخامس عشر دخلت اساطيل البرتغال المحيط الهندي بقيادة البحار البرتغالي المشهور فاسكودي غاما (Vasco de-guma) وبذلك سجلت البحرية البرتغالية فتحا جديدا في استكشافاتها ٠ ومهدت الطريق للدول الغربية بتوجيه عنايتها لغزو هذا الجزء من العالم ٠ وفي عام [٩٢٢ هـ ـ ١٥١٧ م] استولى البرتغاليون على جزيرة المنامة (البحرين) وقطر والقطيف وفي عام (٩٤٣هـ ـ ١٥٣٦ م) بعث السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم العثماني اسطولا بحريا مؤلفا من سبعين سفينة تحمل أكثر من (٢٠) الف محارب لقتال البرتغال في منطقة الخليج العربي ٠ وقد احرزت هذه القوات فوزا موضعيا في منطقة البحرين فاستولت على المنامة وقطر والقطيف ٠ وبذلك تركز نفوذ العثمانيين في هذا القاطع من الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة العرب ٠ وبذلك دخلت الاحساء والقطيف وقطر في حوزة العثمانيين عام ٩٦٣ هـ ـ ١٥٥٥ م وقد نزحت في هذه الفترة الى الاحساء من بادية الشام فصيلة من بني خالد فكانت عونا للعثمانيين وقيل ان العثمانيين هم الذين أتوا بهم فأنزلوهم (الزجراجة) تعزيزا لجيشهم ٠ وكان هذا أول قدوم بني خالد الى الاحساء ٠ وفي سنة (١٠٨٠ هـ) استولى بنو خالد على الاحساء والقطيف وقطر وامتد نفوذهم الى جنوب العراق عند كاظمة ٠ فكان آل عريعر يبسطون نفوذهم من الكاظمة حتى حدود الاحساء وآل مسلم من القطيف الى قطر ٠ وهكذا احتفظ امراء العرب وشيوخهم باستقلالهم ضمن هذا الاطار ٠ وآل مسلم ينتسبون الى الجبور أحد بطون بن خالد المعروفة ٠ وبنو خالد بطن من عامر بن صعصعة العدنانية ٠

وفي هذه الفترة قصدت ارهاط من العتوب وهم آل خليفة وآل الصباح جاؤها من موطنهم في (الهدار) الواقع في منطقة الافلاج التي هي من اخصب بقاع نجد ، وتقع في الجنوب الغربي من العارض ـ فحلوا بالزبارة فكانت

الرياسة في قطر الى آل مسلم كما اسلفنا ٠ ولحادث بسيط اختلفت العتوب وآل مسلم ٠ (يجد القاريء بحثا مسهبا لهذا الحادث في مؤلفي الكويت زهرة الخليج العربي) وترك العتوب الزبارة وحلوا بكوت آل عريعر ــ الكويت الحالية ــ وسيأتي بحث العتوب في قطر عند مجيء دورهم في حكم قطر ٠

وفي النصف الاول من القرن الثاني عشر للهجرة (أوائل القرن ١٨ م) ظهرت الدولة السعودية في نجد ٠ وسميت بالسعودية نسبة الى مؤسسها سعود بن محمد بن مقرن بن فرحان وقد تمكن السعوديون من الاستيلاء على معظم بلاد نجد ومن ثم الرياض والقصيم والاحساء وبذلك فرضوا سيطرتهم على قبيلة بني خالد ٠ أما قطر التي كانت تحت نفوذ آل مسلم بن خالد فقد ظلت معتصمة بشبه جزيرتها ٠

وفي عام (١٢٠٢ هـ ــ ١٧٨٨ م) وجه السعوديون حملة بقيادة سليمان بن عفيصان فتصدت لها قبيلة آل مسلم تشاركها قبيلة آل بن رميح وهي بطن من الخزاعلة تنتسي في أصولها الى طي القحطانية ٠ وكان القتال بينهما سجالا ٠ وفي (١٢٠٨ هـ ــ ١٧٩٣ م) أعاد السعوديون غارتهم وحملوا على قرية (الحويلة) مقر قيادة بني خالد بقطر ، بقيادة ابراهيم بن عفيصان فكان النصر في المعركة حليفهم ، واستولوا على قطر ، كما تمت سيطرتهم على الاحساء ٠ وخضعت قطر لحكم السعوديين ٠ استفز هذا الفتح وتوسع النفوذ السعودي في قاطع الاحساء والقطيف وقطر الدولةالعثمانية ، وزاد في حماسها انتشار الدعوة الوهابية التي اعتبرتها آنذاك خروجا عن التعاليم الاسلامية ٠ فاوعزت الى سليمان باشا والي بغداد بأن يقضي على هذه الحركة ، ففي عام (١٢١٣ هـ ــ ١٧٩٨ م) ارسل سليمان باشا حملة للتعرض على قاطع الاحساء الا ان جهوده باءت بالفشل ٠

الا ان الدولة العثمانية لم تقف عند هذا الحد ٠ فالفت حملة مصرية قصدت الدرعية وهي مقر القيادة السعودية ٠ فتمكنت من اسقاطها فكان ذلك ايذانا بانحلال الدولة السعودية الاولى ٠

انفض الحلف الثلاثي لقبائل العتوب في الكويت ٠ ذلك الحلف الذي كان يضم آل خليفة وآل صباح والجلاهمة ٠ على أثر هجرة آل خليفة الى مدينة الزبارة ٠ وكانت الزبارة في الماضي من البلدان العربية العامرة ٠ ومن مقومات تجارتها الكبرى اللؤلؤ ٠ وسكانها آنذاك من آل ابن علي ورهط من الجلاهمة ٠ وهو من العتوب ، هاجر آل خليفة من الكويت الى الزبارة كي يجاوروا ابناء عمومتهم ، ويمارسوا الاعمال التجارية التي انصرفوا اليها طيلة هذه المدة وكسبوا من ورائها ثروة طائلة ٠ وكان الشيخ محمد بن خليفة ٠ قد خبر اسواق الزبارة بتردده المستمر عليها في مواسم اقتطاف اللؤلؤ وبالاضافة الى ثرائه كان يتصف بالتقوى والورع والسخاء وكرم النفس ٠ وكان سكان الزبارة يجلونه ويحترمونه لخصاله الحميدة ٠ فلما

حل بين ظهرانيهم مع قبيلته لاقى ترحابا وعطفا من لدن سكان الزبارة ·

توسع نفوذ آل خليفة في الزبارة · وقويت شوكتهم وامتد سلطانهم الى القرى المجاورة حتى كادت شبه جزيرة قطر جميعها تدين لحكمهم · وفي سنة (١١٩٧ هـ - ١٧٨٣ م) استطاع الشيخ أحمد آل خليفة (الملقب بالفاتح) ان ينتزع البحرين من الحكم الفارسي · ويطرد الشيخ نصر (الذي لقب أخيرا بشيخ نصور) عامل الفرس فيها · (ولقد اوضحنا هذا البحث في كتابنا البحرين درة الخليج العربي) وبذلك اصبحت البحرين بحوزة آل خليفة فأقام الشيخ احمد عاملا من قبله عليها وعاد الى عاصمته في قطر ·

وفي عام (١٢٠٩ هـ - ١٧٩٤ م) توفي الشيخ احمد وتولى الحكم بعده ابنه الشيخ سلمان فنقل عاصمته من الزبارة الى جزيرة المنامة · وفي عهد الشيخ محمد بن خليفة عام (١٢٥٨ هـ - ١٨٤٣ م) عين عيسى بن طريف رئيس قبيلة آل ابن علي واليا على قطر ·

وقد أغرى الحكم عيسى فأثار القبائل ضد شيخ البحرين الا انه لم يفلح بمحاولاته حيث ارسلت البحرين حملة تأديبية في ٩ ذي الحجة من عام (١٢٦٤ هـ - ١٨٤٧ م) قضت على تمرده ووقع في المعركة قتيلا ·

وفي عام (١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م) توجهت اطماع السعوديين ثانية نحو قطر : فتوجه الامام فيصل بن تركي بن عبدالله على رأس حملة قاصدا قطر ونزل في (القارة) وهي عين معروفة على سيف البحر · وبعد ان اكمل عدته تحرك الى منطقة المياه المعروفة (بعريق سلوى) فلما علم آل خليفة بحركات الجيوش السعودية أخذوا يعدون العدة لمواجهته : فتحصنوا بقصر البدع (التي تقع في ضواحي الدوحة عاصمة قطر الحالية) · الذي حضره علي بن خليفة حاكم البحرين مع رجاله وعدته · بعد أن وفر الميرة والعتاد والمدافع في حصون القصر · فحاصر الامام فيصل حصون البدع · وابلى آل خليفة بلاءا حسنا في الدفاع عن حصونهم ويمتاز موقع البدع بسيطرته على المنطقة المحيطة به لانه يقع على مرتفع يشرف على الساحل ولكن التقعر الكائن على ساحلها يسهل الاحاطة به دون تعرض القوات المهاجمة لنيران المدافعين وقد اكتفت القوات السعودية بفرض الحصار على منطقة البدع · ولما اشتد الحصار وتأخر وصول النجدة من البحرين ونفاذ الماء عند المحاصرين قر الرأي على ترك الدفاع عن قصر البدع والانسحاب بالسفن الراسية على ساحله الى البحرين ·

عادت قطر ثانية الى الحكم السعودي - فسالم سكانها الحاكم الجديد وعرضوا عليه تعاونهم فيما اذا أراد غزو جزر البحرين ، وفي عام ١٢٨٢ هـ توفي فيصل وخلفه بالحكم ابنه عبدالله · وكان للسعوديين في هذه الفترة عامل على قطر يدعى (السيد ساعد الظفيري) على رأس حامية سعودية يدير شؤونها ·

اختلف الاخوان عبدالله وسعود أولاد فيصل على الحكم · وقد بلغ

هذا الخلاف ذروته بعد قتال (الجزعة) الذي كان النصر فيه بجانب سعود فقد قصد سعود الرياض على رأس جيش كبير • ففر الامام عبدالله من الرياض وأخذ سعود يلاحقه وفلول جيشه المندحر اينما وجدهم •• واستنجد عبدالله بن فيصل بوالي بغداد لمحاربة أخيه سعود • فتألفت حملة في بغداد بقيادة الفريق محمد نافذ باشا - كما اصدر الامر الى عبدالله بن صباح امير الكويت ان يشترك مع قوات الحملة لغزو الاحساء وابحرت القوات التركية على باخرتين من البصرة الى القطيف ، تسير في أثرها قوات آل صباح بسفنها الشراعية ، بقيادة أميرها • كما سير رتلا بريا من الكويت بقيادة أخ الامير مبارك بن صباح • احتلت القوات العثمانية والكويتية القطيف بدون حادث يذكر وتحصن الامير السعودي في القلعة • وبعد ايام قليلة استسلم وطلب الامان لنفسه ولحاميته ومنها تحركت الحملة بقواتها البرية والبحرية نحو الاحساء •

ولما وصلوا موقع (القطار) راسلوا العامل السعودي في الاحساء داعينه للاستسلام واعطوا الامان لجميع السكان •

وفي ١٩ ربيع الاول ١٢٨٨ هـ • دخلت قوات الفريق محمد باشا نافذ الاحساء وراسل الامام عبدالله ان يقدم الى الاحساء • وفي جمادى الآخرة من السنة نفسها ارسلت الدولة العثمانية حامية من الجنود النظاميين بقوة فوج واحد يقدر عددهم بـ (٣٠٠) جندي مع بطرية مدفعية ورعيسل من استرسوار (أي راكبي البغال) الى قطر حلت في معسكر الدوحة • وصار يرسل الى قطر كل سنتين وتعقب حاكم شرعي وبذلك اصبحت قطر قائممقامية عثمانية تابعة لمتصرفية الاحساء ضمن ولاية البصرة •

بريطانيا وامارات الخليج العربي

لعل تصريح وزير خارجية بريطانيا المستر بالمرستون الذي ادلى به في مستهل عام ١٨٣٨ م تعليقا على الحركات التي قامت بها القوات التركية في منطقة الخليج • تعطينا الفكرة الصحيحة لنوايا بريطانيا من احداث الخليج العربي • يقول الوزير :

« ان مهمتنا في الخليج هي وضعه تحت سيطرتنا البحرية بعيدا عن نفوذ أية دولة أخرى تستطيع منازعتنا هذه السيطرة ولكن بشرط الا تكلفنا هذه السياسة نفقات باهظة » •

هذا هو المبدأ الذي سارت عليه حكومة الهند • وهو مبدأ السيطرة على امارات الخليج وعزلها من الاتصال بأية حكومة منافسة في المنطقة لذلك تراها لتنفيذ هذه السياسة تقوم بعقد عدة اتفاقيات مع هذه الامارات تلزمهم بموجبها الاذعان لسيطرتها ، وتحور هذه الاتفاقيات وتجدد كلما طرأ حادث جديد في أفق السياسة البريطانية في منطقة الخليج وكان اتفاق السلام الدائم

الذى وقع في مايس عام ١٨٥٣ صكا لاسس العلاقات البريطانية بهذه المنطقة حتى عهدنا الحاضر ٠

لم تكن قطر ضمن الامارات التي وقعت اتفاق السلام في أول الامر كما لم يكن لبريطانيا أي اتصال سابق برؤساء شبه جزيرة قطر قبل هذا التاريخ لان بريطانيا كانت تعتبرها جزءا من ممتلكات حاكم البحرين وله فيها وال يدفع له جزية سنوية ٠ كما لم يكن لسكان الجزيرة أي نشاط بحري ٠ الا ان الغارة التي شنها شيخ البحرين بالتعاون مع شيخ ابو ظبي عام ١٨٦٨ م على شبه جزيرة قطر بسبب امتناع واليها من دفع الجزية السنوية المقررة ، كان سببا مبررا لتدخل القوات البحرية البريطانية المرابطة بالخليج للقضاء على الحركات العدائية التى قام بها الشيخان ضد قطر والتى تعتبر خرقا لاتفاقية السلام بالمنطقة ، فما كان من المستر بيلي (Belly) المقيم البريطاني في الخليج والذي كان على رأس الحملة الا ان يفرض عقوبات قاسية على الشيخين ويعلن الحماية البريطانية على قطر ٠ ويوقع شيخها على اتفاقية السلام ٠

وفي عام ١٨٧١ م قام مدحت باشا والي بغداد بزيارة منطقة الخليج ٠ بعد ان عاد النفوذ التركي على الاحساء والقطيف وقطر ٠ للوقوف على مدى امكان تطبيق خطة ضم الاحساء ونجد الى الدولة العثمانية ٠ لان الامير عبدالله بن فيصل النجدي قد فر من معسكر الاتراك والتجأ الى أخيه في الرياض فقد تم الصلح بينهما لان عبدالله أدرك انه اخطأ في تقديره عندما استنجد بالقوات التركية ضد أخيه ، بعد ان لمس أخيرا ان نوايا الاتراك تهدف الى ازالة حكم امراء العرب ، وادارة ممتلكاته كأي اقليم عثماني بصورة مباشرة ٠

زار مدحت باشا قطر وتفقد حاميتها في الدوحة وأمر بالحاق باخرة حربية بالحامية لحماية الساحل ٠ كما قام بتنسيق خطة الدفاع في شبه الجزيرة وتعزيز موقع الزبارة واقامة القلاع عليه ٠

حز هذا الحادث حكومة الهند وأخذت تنظر بعين الريبة للاجراءات التي قام بها الباشا ٠ واوعزت الى حاكم البحرين بان يحتج على عمل الدولة العثمانية في قطر التي تعد جزءا من ممتلكاته ٠

كان مدحت باشا يدرك ان بريطانيا لن تسكت على الاجراءات التي اتخذها في هذا القاطع ٠ لذلك بادر بارسال تقرير مسهب الى حكومة الهند يبرز العوامل التي استهدفها من تنفيذ اجراءاته ٠ الا ان حكومة الهند ، لم تقتنع بما ذهب اليه الباشا واعلنت بانها لن تقف مكتوفة الايدى امام التحدى التركي هذا ٠٠٠ وقد أيدت حكومة بريطانيا حكومة الهند ٠ ففي ٤ نيسان ١٨٧٤م أرسلت انذارا الى الباب العالي تؤيد فيه وجهة نظر الحكومة الهندية ٠ وعلى أثر هذا الاجراء العنيف اوقفت الحكومة العثمانية العمل في ميناء الزبارة ٠

وفي عام ١٢٩٥هـ – ١٨٧٨م • توفي الشيخ محمد بن ثاني والي قطر • وخلفه في الرئاسة ابنه الشيخ قاسم بن محمد الذى كان يدين بالولاء والطاعة للدولة العثمانية بخلاف والده الذى وقع على معاهدة السلام البريطانية وقد أنعمت عليه الدولة العثمانية بتعيينه قائمقاما على قطر ويراجع لواء الاحساء • لم يرق هذا الاجراء بريطانيا ، لذلك أخذت تخلق المشاكل أمام قاسم بن ثاني • ففي عام ١٨٨٢ م اتهمته باتلاف بضائع يمتلكها رعايا هنود والزمته بدفع غرامة قدرها خمسة آلاف روبية وفي عام ١٨٨٧ م الزم الشيخ قاسم بدفع غرامة أكبر بحجة اشتراكه في عمل من أعمال القرصنة الموجهة ضد سفن البحرين •

وما حل العقد الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي حتى أخذت عيون خارجية تتطلع الى منطقة الخليج العربي ، هما المانيا وروسيا •

حاولت المانيا منذ سنة ١٨٩٦ م الحصول على امتياز سكة حديد بغداد التي تربط شبكة الخطوط الحديدية بالبلقان والاناضول الى ميناء الكويت على الخليج العربي وقد دخلت بمفاوضات مع الحكومة التركية بهذا الصدد • اما روسيا فاخذت تخطب ود فارس بالسماح لايجاد منفذ لها عبر اراضيها للخليج العربي •

وقد نلمس مدى الاضطراب الذى عم الاوساط البريطانية لهذين الحدثين في فقرات نقتطفها من تقرير اللورد كيرزن • قوله :

« ان انشاء ميناء روسي على الخليج هو حلم الوطنيين المتحمسين من أهل الفولغا • ولكن مثل هذا الميناء سيكون عنصر الاضطراب في الخليج وقت السلم ، وسيفسد توازن القوى الذي وضعته بريطانيا بعد مجهود شاق كما أنه سيلحق الضرر بتجارتنا المقدرة بعدة ملايين ، وسيثير القوميات المتعددة في المنطقة وهي قوميات مستعدة للاشتعال والتطاحن » •

وفي خضم هذه الاحداث كان النفوذ الوهابي يجتاح الحاميات التركية على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية الواحدة تلو الاخرى حيث استولى الملك سعود على الاحساء وطرد حاميتها في وقت كانت فيه تركيا تعاني المتاعب في حربها مع البلقان ، وقد رأت من الاجدى تسوية مشاكلها الثانوية في منطقة الخليج العربي مع بريطانيا لكي تظفر بتأييدها في مشكلتها مع البلقان ومن ثم تحد من توسع النفوذ الوهابي الذي أخذ يلاحقها في منطقة الخليج العربي •

ففي عام ١٩١٢ سويت هذه المشاكل لصالح بريطانيا بموجب اتفاقية بين الطرفين • وكانت أهم بنود الاتفاقية هي :

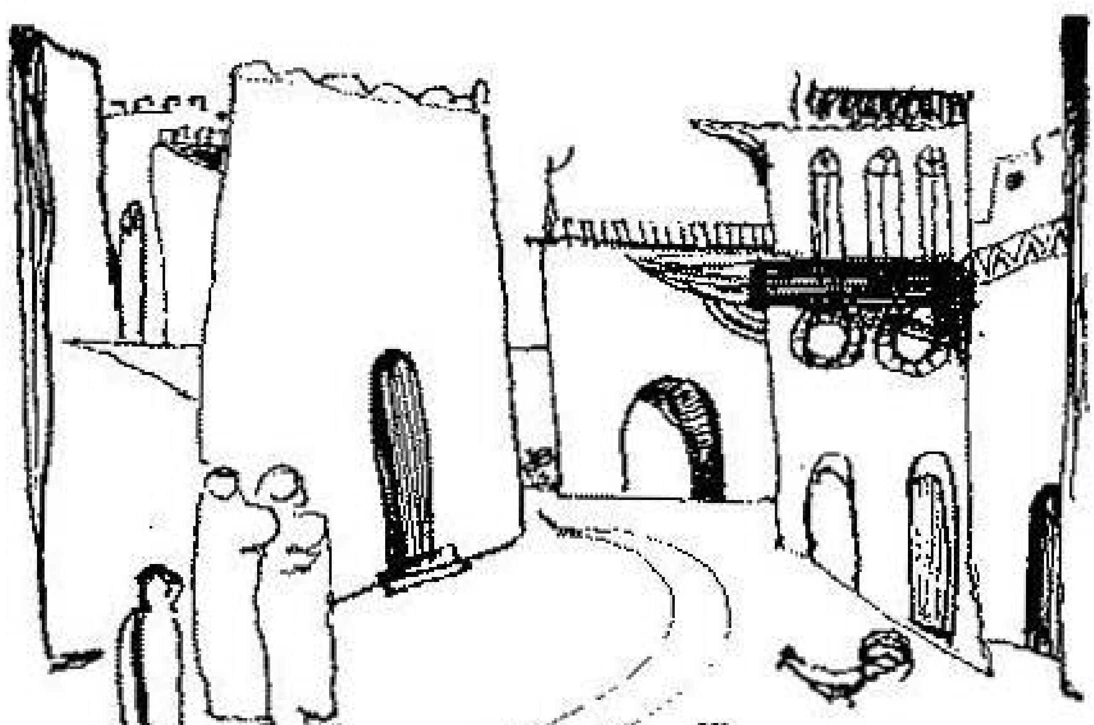
المادة (٣) – اعتراف تركيا باجراءات بريطانيا لتحمل مسؤولية أمن الملاحة في الخليج العربي : أي (حق تفتيش السفن) •

المادة (٤) – تنازل الدولة العثمانية عن حق السيادة في قطر التي يحكمها أمير عربي مستقل يتوارث خلفاؤه الحكم • على أن تتعهد الحكومة

البريطانية بمنع البحرين من الاستيلاء على قطر ٠

وبذلك حققت قطر وحدتها السياسية تحت اشراف وحماية الحكومة البريطانية وفي الواقع تعاقدت قطر مع بريطانيا منذ عام ١٨٨٢ كما ذكرنا٠ وجددت المعاهدة بنودها عام ١٩١٦ ثم عام ١٩٣٤ فهي بحكم ذلك أصبحت محمية :

هذا موجز للادوار التاريخية التي مرت على قطر ٠



قصة منضدتي

الدكتور حسين كبه

كنت قد رغبت مرة ان ابدل منضدة كتابتي باخرى جديدة ، بعد ان رأيت انه قد تقادم العهد عليها ، وحطمها البلى ، فلم ارها تصلح للاستعمال وتناسب محل عملي • ولم يكن امرها يقتصر من حيث قيمتها المادية ، فالنواحي المادية بعيدة كل البعد عما كنت اتوخاه من تغييرها ، بل كنت اراها قد استهلكت ، وبليت نضارتها، فلم يعد فيها مظهر للحيوية والنشاط• انها في الواقع قد تهرت ، وساء منظرها ، وانهارت قواها ، فليس لي الا ان ابدل هذه المنضدة المتهرية بواحدة جديدة تناسبني ويسعها عملي وتسع واجباتي •

وحين اتخذت منضدتي الجديدة مكانها من مكتبي ، بدت في الواقع فخمة • وكان مما زاد في فخامتها كبير حجمها • فقد بدت اكبر بكثير مما يحتملها جسمي ، وتتطلبها اعمالي •

والواقع ، انني كنت قد تحيرت ، حين اردت الكتابة عليها ، فرأيت ان ازحف بالكرسي بادىء الامر الى الجهة اليمني ، ثم تراءى لي ان ازحف الى الجهة اليسرى ، وعدت اسائل نفسي ، ترى أين ينبغي علي أن اجلس فازاول أعمالي الكتابية! أتراني انتحي بكرسي ناحية اليمين أو الشمال ؟ وقر قراري، اخر الامر ، ان اختار وسطه محلا لكتابتي ، حيث وضعت مسافات واسعة الى اليمين والى الشمال ونحو الامام ، حتى لكنت ابدو امامه وكأني قزم الى جانب عملاق •

كانت في الواقع منضدة تمثل العظمة والفخامة والابهة ، ولكني مثلت امامها شيئا صغيرا تافها، لا شأن له في الحياة• فرأيت أنها منضدة لاتناسبني ولا تليق بي ، ولا تتفق مع نحافة جسمي ، ولا تحتملها احتياجاتي • فهي واسعة في طولها وفي عرضها ، ضخمة في هيكلها ، فخمة في تصميمها ودواليبها • وهي لذلك ، تبدو ان قد اعدت ليؤثث بها غرفة رئيس وزارة او رئيس اركان حرب • وانا في تفاهتي لاقل بكثير من تلك الفخفخة والضخامة•

واراني لست مضطرا ان اكون بهذه السعة والحجم ، لا في عالم الاجسام ولا في عالم العقول •

والواقع ، ان مثل هذه المنضدة الفخمة تتطلب الا تقل القصة الروائية التي تكتب عليها عن ستمائة صفحة • فكيف يمكنني ان اكتب ستمسائة صفحة وانا الذي يرهقني ان اكتب صفحتين اثنتين فقط •

ولم البث ان دفعني الشوق والحنين الى منضدتي القديمة • ومن يدري فلعلها انتحت في زاوية من المخزن ، فاهملت فيها ، وانتقصت قيمتها ، فلم تعد منضدة للكتابة ، بل غدت العوبة للاولاد ، يوسعونها ضربا بمطرقاتهم، ويحزون فيها بسكاكينهم ، ويعبثون فيها بحوامضهم واصباغهم • ولكنهـــا مع كل ذلك ، فهي لما تزل قائمة بعد ، لم تفتقد شيئا من مقوماتهـــــا وميزاتها • غير انها كانت تئن وكأنها تريد ان تقول ، لو قدر ان تعصف بي زوابع الارض والسماء وتنهال علي قنابل السياسات العــالمية وفرقعـة مخترعاتها الاخرى ، لاستطعت ان احتملها واحافظ على مقومات كياني • فما بال هؤلاء الطلاب يهملونني اجدير بهم ان يرموا بي بعيدا ! ويجعلوا مني اداة لعبث الاطفال ولعبهم ! انهم ليحتاجونني ، ولا يستطيعون ان يستغنوا عني ! انني من خشب الصندل ، والحق انها لم تعد الحقيقة فيما قالت • فلقد كانت حقا من خشب الصندل القوي ، ولكنها لم تســـتطع ان تقف بعد الان على ارجلها وقفة ثابتة ، كما كانت من قبل • فقد تهرت قوائمها ، وتهرشت اماكن كثيرة من جسمها نتيجة اهمالها في زوايا النسيان • فكان ان اثارني تصدع كبريائها ، والمني ما آلت اليه حالتها من الذلة والهوان وحز في قلبي ان اراها تكابد الالام والتعذيب •

ومن الحق أن أقول ، أنها المنضدة التي تلائمني • وهي وان لم تكن أنيقة مزخرفة ، فلا أزال مولعا بها • فهي تناسب حجمي ، وتتماشى مـــع مركزي وانتاجي • وكان مما زادني شغفا بها ، أنها كانت سر انتاجي ، بل وقد كانت ساعدي الايمن في تحرير المئات من المقالات العلمية والادبيــة والسياسية ، ونشرها في الصحف التي ملأت أنحاء عالمنا •

والتفت الى منضدتي الجديدة وقلت لها ، وأنا أنظر اليها شزرا ، ليتك اتخذت مثلا من منضدتي القديمة ، واعتبرت بها ! فلم تأبه بما قلت ، ورأت أن تؤثر السكوت ، وتلوذ بالصمت ، وتشمخ بكبريائها وتتعاظم بأنفتها وتتحداني بسعتها وفخامتها • ولكني سئمت منها مظهرهـا البراق ورغبت عنها ، وصممت أن أعرض عنها ، والا أعيرها اهتمامي بعد الان ، فلم يعد ما يغريني ، وفتحت ذراعي لقلمي ومســـكت به ، وأنا أنظر في الفضـاء متغاضيا عنها • ولكن القلم وقف عن الكتابة ، فلم ينبض بالحركة أو الحيوية•

ولاح لي في هذا الفضاء الذي ملأ نظراتي واجهة البيت ، حيث علقت عيني برؤية منضدتي القديمة ، وهي معلقة في الدور الثالث ، وكانت ترى من الدور الثاني •

لقد كانت خالية يعصف بها الفراغ ، فلا تحوي قلما ولا قرطاسا ، وقد ارتمت بنفسها يائسة بائسة على حائط ، لم أتذكر ان قد كان له وجود قبل الان • فما كان مني الا أن أسرعت لانقاذها من مخالب هذا البؤس • واتيح لي أن أنتقل بها الى عربة القطار ، وفيها استطاعت أن تقوم بسفرة منعشة تستجم بها مما كانت قد عانته من ذلة وهوان ، وما ألم بها من ضرب وتجريح • وحين انتهى بنا السير الى الغابة السوداء ، وحللنا بها ، التفت فاذا بي قد عدت الى مسرح عالم تاريخي قديم ، وهو عالم لا شك يحتاجني ، لامثل فيه الفصل الاخير من الرواية لجمهور الناس •

وحين أسدلت الستارة ، استطعت أن التفت الى منضدتي ، فاذا بها قد اتخذت لها مكانا مريحا في ساحة بهو ، وسط قصر قديم ، كان قد حل فيه من قبل راهب متعبد • وقد رأيتها ، وكأنها واثقة من تأدية واجبها في حماية الثقافة القديمة ، التي هي بدورها تأنس وترتاح لكل بناء تاريخي قديم • ولكن منضدتي مع شديد الاسف ، كانت خالية من مخلفات تلك الثقافات القديمة ، بل رأيتها وقد حملت ببضائع مكدسة حملتها اليها نسوة تاجرات نزلن من عرباتهن ، وهن محملات بأنواع العطور والزينة والملابس والمؤن والمأكولات ، يتهادين بفساتينهن الشفافة ، مدللات ، وكلهن فتنة واغـراء •

وكانت ، وهي تنصت بلهفة وشوق لوسوسة حليهن ، تتحرق الما : حين يقبلن وصيفات آلهة الجمال (فينوس) اللاتي لا يستطعن أن يعشن للحب وحده ، يقصدنها ، وهن يحملن بأيديهن الاواني الحارة فيضعنها عليها ، فيسمونها بحروق تشوه منظرها ، وتؤثر في بنيانها • واخر ما كان من أمرها ، ان استعملت أثاثا لجاريات القصر • وعندئذ بدا لي أن قد حان الاوان لتخليصها من حكم هذه الزمرة الكفرة •

وانتظرت ، حتى اذا ما دخلن في مخادعهن ، وخلعن ملابسهن ابتدأ عملي لتخليصها من أيديهن • فكان أن أتيح لي أن استبدل بحزمة من خشب الوقود ، لفافة من التبغ الجيد • وقد كان ثمنها يعادل أضعاف هذا البدل الزهيد • وبهذه اللفافة استطعت ان احصل على رجل ريفي يسوق عربة يجرها ثوران ، كان قد بدا عليها وعليهما الهزال • فكنت بهذه العربة الاثرية قد استطعت أن أحفظ فيها منضدتي ، ثم أنقلها الى بلدتي الريفية ، حيث يسود فيها السلام ، ويهنأ فيها الانسان •

كانت هذه الحوادث التي مرت بها والمخاطرات التي خاضتها وجازفت بها ، قد هدت من قواها ، وشوهت من منظرها وعبثت بنظارتها ، ومع كل ذلك بقيت اخر الامر صامدة ، فحافظت على وجودها واحتفظت بكيانها ، وتلامعت مساميرها العشرة السميكة ، حتى جاءت المنضدة الجديدة • فكان في الواقع أن صعب عليها ساعة أن رأتها وقد حلت محلها •

وكانت المنضدة الجديدة ، في مظهرها ، غيرها بالامس ، فقد طرأ عليها

تغيير في مقاساتها وتطوير في شكلها وحجمها • فبدت ، وكأن فيها انقلابا في تركيبها وتناسقها • فقد تقلصت وانكمشت ، ولم تكن كبيرة عملاقة بل أصبحت تلائمني ، وتناسب أعمالي وواجباتي • ولو كانت قد تقلصت أكثر من ذلك ، لتحولت أنظاري عنها الى منضدة جديدة أخرى ، أوسع منها •

وبدت لي الان ، وقد اختفت مستوياتها العريضة الواسعة ، فقـــد أحاطت بها من جوانبها كثبان وتلول وروابي ، وعلا سطحها مكدسات من اللوحات مصفوفة بعضها فوق بعض ، تحوي محافظ ومخطوطات ومفكرات ونشرات وكتبـا ودفاتر ، كانت جميعهـا مطوية متسـقة حتى غطت على سطحها ، فلم تبق محلا لما قد يجد من أوراق ومستندات أخرى ، حتى أنها لم تدع مكانا للكتابة عليها غير بقعة ضيقة عميقة ، كانت هي الاخرى مهددة بالضياع وانهيار المكدسات عليها •

وحين جلست اليها لم أجدني جديرا بها ، كما لم أكن جديرا بها من قبل • فها هي منضدتي الجديدة ، كما أراها ، لم تعد كبيرة علي ، بعد الان ، بل كادت تضيق بكتبي ودفاتري ، ولعلها تحتمل أن يزاد في عرضها مترا الى اليمين واخر الى اليسار •

ولكن الغريب فيها ، أنها ، هي الاخرى ، لا تستطيع أن تراني جديرا بالجلوس اليها ، مثل ما أراها جديرة بي • ومن يدري ، فلعل السبب في ذلك أن مثل هذه المنضدة ، يجب أن تكون خالية ، اذا ما أريد لها أن تعمل وتؤثر ، خالية تماما •

فالرجل الصدق الجدير بها ، هو الذي استنفذ كل ما عليها ، فاحتواه في ذهنه ، أنه الرجل الذي يجزم ، فيمضي ويسير قدما ، فتتحرر منضدته ويتحرر ذهنه •

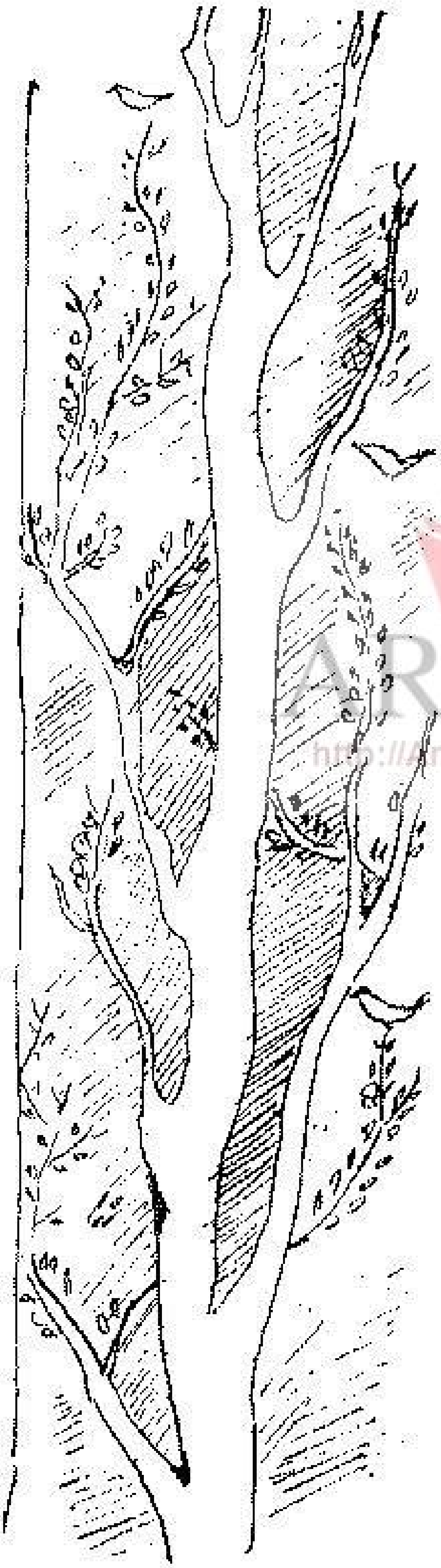
ان من لا يحتاج مكانا للكتابة فيه ، هو من ضاق به المكان من كتابته ، ومن كان يحتاج اليه ، فهو الذي قلما استطاع أن يحرك نفسه بله أن يحرك قلمه •

△

قيل لبزرجمهر : هل تعرف نعمة لا تحسد عليها ؟ قال نعم ، التواضع •

الربيع العظيم

أنور خليل



بعيداً بعيداً وراء المدى
وحيث يضيع ندائي سدى
ويخبو الصدى
هناك ارى البلدة الراقدة
أرى الجثة الهامدة
تدب اليها الحياه
على نبأة في الصباح
ربيعية حملتها الرياح
تطوف بأنفاسها العاطرات
فتحيي الموات
فتنفخ في الارض روح الربيع
فيزهو النبات
على كل غصن ينيع
براعم تنجم في ارضنا
ويفرح انساننا الطالع
طلوع الرجاء
طلوع الضياء
ينير الدنا وجهنا الناصع
نصوع القمر
على الافق متكئا في خفر
يثير الخيال ويذكي السمر
سلاما على ارضنا الطيبة
سلاما على الرافدين
على كل شطآنها المخصبة

« القيت في مهرجان اعلان الوحدة في العمارة »

على النيربين
على النيل يغدق فيض الامل
ويسقي الربوع كؤوس الجذل
جنائن فيها الطل والعسل
وفيهـا ازدهار الحيـاه
ونضـج الثمر
وفيها ابتسام الشـفاه
وطيب العشيات غب المطر
..... ويبرز عملاقنا المـارد
فيختال تاريخنا الخالد
خلـود القمـم
خلود الالـم
وتزهو الحضارة في ظلنا
وتهفـو الى نبلنـا
فنحن قديما بناة الحضارة
الينا الصدارة
ونحن ، حديثا ، مع السائرين
على الدرب ، في موكب العاملين
نسابق ركب الزمان
نسابق في حلبات الرهان
ونلعب دورا جديـد
ونسهم في كل مسعى مفيد ....
لاجـل المحبة بين القلوب
لنصرة حـق الشعوب
وتطهير هذا التـراب
تراب الوطـن
من الغاصبين الذئاب
بغـاة الفتن

* * * *

فيا بلدتـي من بلاد العروبة
فديتك لم تبق ارضي جديبة
وبشراك يا بلدتي يا حبيبة
أتـانـا الحصاد ...
بخـير وفـير
فلا تسأل كيف عـاد ؟
ربيعك يهدي اليك العبير
وموسمنـا أمل اخضر
واغصان زيتوننا تزهـر
ويرنو لنا العالم
وينتبه الحـالم ...
فوحدتنا الخير للخيرين
وعيد لدى كل حر امـين
قـذى عاش في اعين الحاقدين
فرشنا لها الدرب بالياسمين
وبالورد .... حتى دنا الموعد
ولاح الغـد ....
يتيه بحسناتنا القادمة
وتشرق اجواؤه الغائمة
بشمس مقدسة خالـدة
على امـة واحـدة

●
●
●

دور الفكر العربي في الثقافة العالمية

سليم طه التكريتي

من يغوص في أعماق الفكر العربي الاسلامي في عصوره التي ازدهرت في المشرق والمغرب ، وعلى ضآلة ما أبقت عوادي الزمن من نتاج العقول العربية الاسلامية النيرة ، يدهشه هذا الفيض من الافكار والنظريات التي جاء بها المفكرون العرب في شتى مجالات العلم ، وفي مختلف رحاب التفكير والابداع . ذلك أن العلماء العرب لم يتركوا علماً من العلوم التي كانت شائعة في زمانهم أو الازمنة الغابرة الا وخاضوا ميدانه بجرأة نادرة فجلوا ما تراكم عليه من شوائب الخرافات والاباطيل ، وأضافوا اليه ما أكمل نواقصه وأبرز أهدافه ، وأقاموا له الدعائم التي توطده وتكفل مساوقته للتطور ، ومماشاته لتغير الاوضاع .

فبالاضافة الى ما بعثه العلماء العرب من تراث الفكر الانساني الذي كان يتمثل آنذاك في علوم الاغريق والهنود والصينيين وآدابهم ، توصل اولئك العلماء العرب الى اكتشافات خطيرة في شتى النواحي الفكرية والمبتدعات الحضارية سواء كان ذلك في الطب والكيمياء والرياضيات والفلك أم في الفلسفة والاجتماع والتاريخ ، بل حتى في علم الميكانيك والآليات .

على أن هذا السبق الذي أحرزه العلماء العرب في كثير من ميادين العلم والمعرفة لم ينل حقه من الانصاف في العصور الحديثة ، ولم يصب ما هو جدير به من التقدير من لدن الغرب على وجه التحديد . ذلك أن كتاب الغرب ومؤرخيهم لم يضعوا رواد الفكر الانساني من علمائنا العرب والمسلمين في المنزلة الرفيعة التي يستحقونها باعتبارهم مكتشفين لهذا العلم أو ذاك ، مستنبطين لهذه النظرية أو تلك . فلقد طمست جهود علمائنا ومفكرينا في ميادين الفكر والمعرفة بصفة متعمدة ، وطغت على أسمائهم أسماء الغربيين الذين جاؤوا بعدهم بمئات السنين وكانوا عالة عليهم في كثير من الآراء والنظريات ، فادعاها هؤلاء الغربيون لانفسهم ، وزعموا انها من نتاج أفكارهم ، وان أحداً لم يسبقهم اليها . وكان من نتيجة ذلك أن امحت أسماء الفطاحل من كبار علمائنا ومفكرينا وفلاسفتنا وحلت محلها أسماء الغربيين

حتى خيل للعالم بأن لا نصيب للفكر العربي في الحضارة القائمة ، وان الثقافة العربية التي بهرت البشرية كلها في القرون الوسطى قد انقرضت بانقراض الدولة العربية الاسلامية الكبرى الموحدة ، وان من نبغ من حكماء العرب والمسلمين في أكثر من ميدان واحد من ميادين الفكر لم يعد لهم أدنى أثر أو ذكر ٠

ولم يقتصر هذا الاجحاف المقصود للفكر العربي والجهل المتعمد بالثقافة العربية الاسلامية وأساطينها على الامم الاجنبية وحدها بل تعداها الى العرب والمسلمين أنفسهم اذ أخذ هؤلاء يتلقفون مظاهر الحضارة الحديثة وأصولها على اعتبار انها من مبتدعات الغربيين وحدهم ، ومن نتاج علمائهم ومفكريهم ليس الا ٠

ومما يحز في النفس الالم أن نجد حتى شبابنا المثقف يجهل أو يتجاهل قيمة المساهمة العظمى التي ساهم بها العلماء العرب في التراث الحضاري الانساني ، وانه لا يفتأ سادرا في الضلال الفكري الذي جاء به الحاقدون على العروبة والاسلام وحاولوا من ورائه اطفاء أنوار الثقافة العربية الاسلامية والسطو على ما ابتدعه مفكرو العرب في شتى مضامير الحياة ورده الى اوربا وحدها ٠

ولم يشذ عن هذه القاعدة الآثمة التي سار عليها الغربيون سوى نفر ضئيل منهم اعترفوا فيما كتبوه من مؤلفات وبحوث بفضل العرب على الحضارة الحديثة ، وبمشاركتهم في الثقافة الانسانية ، وأبرزوا أسماء العرب الذين سبقوا الغربيين قرونا عديدة فيما توصلوا اليه من مكتشفات ونظريات ٠

* * *

ليس مستطاعا أن نلم في هذه المقالة الموجزة بكل ما ابتدعه الفكر العربي الاسلامي من آراء ، وما توصل اليه من اكتشافات ٠ لكننا نحاول أن نعرض هنا بعضها لنرى كيف أن الكثيرين من العلماء الغربيين الذين تعزى اليهم تلك الآراء والاكتشافات انما كانوا عالة على العرب والمسلمين في ذلك ، وان هؤلاء العرب والمسلمين هم الذين توصلوا الى الكشف عنها ومعرفة حقائقها قبل أن ينسبها الغربيون اليهم ويدعونها لانفسهم بقرون عديدة ٠

ولنأخذ علوم الاقتصاد السياسي ، والاجتماع ، والسياسة ، وفلسفة التاريخ على ذلك مثلا ٠ فالشائع لدى الكتاب والمؤرخين قاطبة حتى اليوم أن « **آدم سمث** » (١٧٢٣ـ١٧٩٠م) صاحب كتاب « **ثروة الامم** » الشهير ، و « **ريكاردو** » ١٧٧٢ـ١٨٢٣م مؤلف كتاب «**الاقتصاد السياسي والضرائب**» أن هذين العالمين الاوربيين يعدان من أوائل المنشئين لعلم الاقتصاد الحديث ، كما أن **ميكافيللي** ١٤٦٩ـ١٥٢٧م صاحب كتاب « **الامير** » المعروف في عالم السياسة ، و (**جواني باتستافيكو**) ١٦٦٧ـ١٧٤٤م منشىء كتاب

«العلم الجديد» ، ومونتسكيو ١٦٨٩–١٧٥٥م واضع كتاب «روح القوانين» و « اوغست كونت » ١٧٩٨–١٨٥٧م ، أن هؤلاء يعتبرون من مؤسسي علم التاريخ وفلسفته وعلم الاقتصاد السياسي أيضا •

والمقرر لدى الغربيين أيضا أن كلا من (جان جاك روسو) ١٧١٢–١٧٧٨م صاحب كتاب (العقد الاجتماعي) ، و « توماس مور » ١٤٧٨–١٥٣٥م مؤلف (اليوتوبيا) المبرز ، و (روجر بيكون) ١٥٦١–١٦٢٦م هم الذين أوجدوا علم الاجتماع ، وان الفيلسوف الالماني الشهير « كارل ماركس) ١٨١٨–١٨٨٣م هو مبتدع نظرية التفسير المادي للتاريخ التي بنى عليها فلسفته عن الشيوعية العلمية •

لكن الواقع أثبت أن فيلسوفا عربيا واحدا كان قد سبق كل هؤلاء العلماء الغربيين وغيرهم فيما توصلوا اليه من نظريات وما نسب اليهم والى من جاء بعدهم من آراء في هذه العلوم • ذلك الفيلسوف العربي هو المفكر العبقري العلامة عبد الرحمن بن خلدون صاحب « المقدمة » الشهيرة والذي يقول الفيلسوف الانكليزي (روبرت فلنت) : « ان حق ابن خلدون في ادعاء شرف التسمية باسم مؤسس علم التاريخ أو فلسفة التاريخ أثبت واقوى من حق كل كاتب ظهر قبل فيكو » •

ويقول العلامة (لدفيج غمبلوفيج) : « ان ابن خلدون قد سبق في آرائه أقطاب علماء الاجتماع المحدثين • فهو مثلا قد اكتشف نظرية الاجيال الخاصة بظهور الاسرار ونهوضها من قبل أن يعرفها (اوتوكار لورنتس) في أواخر القرن التاسع عشر • وكذلك عرف ابن خلدون « قانون التشبه بالوسط » قبل أن يعرفه العالم الطبيعي (داروين) ١٨٠٩–١٨٨٢م بخمسة قرون • كما أن ابن خلدون اكتشف مبدأ وجود المادة قبل أن يكتشفه العالم البيولوجي الالماني (أرنست هيكل) ١٨٣٤–١٩١٩م بأكثر من خمسة قرون أيضا •

ويقول البروفيسور (استفانو كلوزيو) : « ان ابن خلدون سبق ميكافللي ومونتسكيو وفيكو في وضع أصول علم جديد هو الدرس النقدي للتاريخ ، وانه أول كاتب في العالم عالج موضوع فلسفة التاريخ ، وانه اكتشف مبادىء العدالة الاجتماعية قبل يونسيدران، وماركس وباكونين»(١)

ويقول العلامة الامريكي (ناثانيل شمت) : « ان ابن خلدون هو الذي اكتشف ميدان التاريخ الحقيقي وطبيعته ، وان أحدا غير ابن خلدون لم يقل بأن التاريخ علم خاص موضوعه بحث جميع الظواهر الاجتماعية في حياة الانسان ، وانه يعتبر بحق مؤسس علم الاجتماع » •

وحين ننتقل الى ميدان الرياضيات والفلك والكيمياء والعلوم الطبيعية

---

(١) كونسيديران كاتب اشتراكي فرنسي له عدة مؤلفات في الاشتراكية ولد سنة ١٨٠٨ ومات ١٨٩٣ • وباكونين كاتب روسي ثائر وضع مبدأ اللاحكومة ولد سنة ١٨١٤ وتوفي سنة ١٨٧٦ (الكاتب) •

نرى العجب العجاب في هذا السبق الذي حققه علماء العرب في هذا الميدان.

فقد سبق **جابر بن حيان** (٧٣٧ـ٨١٣م) علماء الغرب بأكثر من سبعة قرون في اكتشاف طريقة التحليل الكمي للغازات، واستعمال الميزان الدقيق في ضبط الشوائب العالقة بالمعادن، وفي الوصف الشامل للتحضيرات الكيمياوية ومراحل التغيرات فيها. يضاف الى هذا أن جابر بن حيان هو أول من استحضر حامض النتريك، وأول من اكتشف الصودا الكاوية، وأول من استحضر ماء الذهب، وأول من ادخل طريقة فصل الذهب عن الفضة باستعمال الحوامض. وكذلك اكتشف جابر عددا من الكربونات ومركبات الزئبق. كما أنه استعمل ثاني اوكسيد المنغنيز في صنع الزجاج. كما استخدم الزئبق في استخراج الاوكسجين.

يقول المستشرق **لكلرك** في كتابه « تاريخ الطب العربي » ان جابر ابن حيان كان من أكبر العلماء في القرون الوسطى وأعظم علماء عصره.

وقال الاستاذ **سارتون** في كتابه « مقدمة في تاريخ العلوم » ان جابر بن حيان شخصية فذة وهو من أعظم الذين برزوا في ميدان العلوم في القرون الوسطى.

وسبق العرب غيرهم من الامم في اكتشاف الجبر والمثلثات والمعادلات الحسابية. فقد ثبت بما لا يقبل الشك أو الجدل أن العالم العربي **محمد بن موسى الخوارزمي** الذي ولد سنة ٧٧٠م وتوفي سنة ٨٥٠م هو الذي ابتدع علم الجبر والمثلثات وثبته في كتابه النادر الموسوم (كتاب الجبر والمقابلة) الذي طبع لاول مرة في اوربا سنة ١٨٣١ ولقد تأكد أن أشهر علماء الرياضيات الذين ظهروا في أوربا كانوا قد اعتمدوا في علومهم تلك ونظرياتهم التي ادعوها لانفسهم، على نظريات الخوارزمي وآرائه التي تضمنها كتابه ذاك. وكذلك كان الخوارزمي هو الذي نقل الى العرب الارقام الهندية التي نستعملها الان ونعتز بها ولا يزال الغربيون حتى اليوم يطلقون اسمه (لوغارتمي) على المثلثات والمعادلات الجبرية وهذه الكلمة تحريف واضح لكلمة (الخوارزمي) لقب ذلك العالم العربي الكبير.

وسبق **ثابت بن قره الحراني** (٨٣٥ـ٩٠٠م) علماء الغرب ومنهم الفيلسوف (**ديكارت** ١٥٩٦ـ١٦٥٠م) في الهندسة التحليلية وطريقة التكامل في الرياضيات وهو الذي أوجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافيء حول محوره. كما أن ثابت هذا هو الذي اكتشف حركة الشمس وحسب طول السنة النجمية وقد ظهر حسابه هذا بزيادة نصف دقيقة عما أقره علماء الفلك المحدثون في الوقت الحاضر.

كذلك سبق **محمد بن سنان البستاني السامرائي** ٨٤٧ـ٩٢٩م علماء أوربا في اكتشاف حركة نقطة الذنب للارض، وتقدير قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي، وقيمة ميل فلك البروج على فلك معدل النهار وقد حسب تلك القيمة فوجدها تعادل ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة وكان هذا الحساب دقيقا

الى حد دقيقة واحدة بالنسبة لما هو معروف الان . كما حسب طول السنة الشمسية فجاء حسابه يختلف عن الحساب الحالي بمقدار دقيقتين واثنتين وعشرين ثانية .

ومن مزاعم الغربيين أن العالم الدانمركي (**تيخو براها**) هو الذي اكتشف الخلل في حركة القمر ، وانه أيضا هو الذي اخترع آلة الاسطرلاب التي تقاس بها حركات الكواكب .

ولكن الذي أقره حتى علماء الغرب انفسهم أن أول من اكتشف الخلل في حركات القمر هو الرياضي العربي الكبير **أبو الوفاء البوزجاني** (٩٤٠-٩٩٨م) وأن تيخوبراها الذي ظهر بعد البوزجاني بحوالي عشرة قرون قد ادعى هذا الاكتشاف لنفسه ظلما وعدوانا وهذا ما أكده العلامة كاجوري في كتابه النفيس (تاريخ الرياضيات عند العرب) .

أما الاسطرلاب فقد ثبت أن العرب هم الذين اخترعوا هذه الآلة ، واستعملوها في مراصدهم في الامبراطورية الاسلامية من أمثال مرصد (المراغة) في جبل المقطم بمصر الذي بني سنة ٦٥٧ هجرية ، ومرصد الشماسية في بغداد الذي بناه الخليفة المأمون في حدود سنة ٢٠٠هـ ، ومرصد جبل قاسيون في دمشق .

ومن ادعاءات الغربيين أن رقاص الساعة (البندول) هو من اختراع العالم الايطالي (**غاليلي غاليلو** ١٥٦٤-١٦٤٢م) لكن التاريخ قد برهن على أن العرب هم الذين اخترعوا هذا الرقاص واستعملوه في الساعات الدقاقة التي كانوا يصنعونها ومنها الساعة التي أهداها الخليفة العظيم هرون الرشيد الى شارلمان امبراطور فرنسا . وقد تأكد أن **أبا سعيد عبدالرحمن المشهور بابن يونس المصري** هو الذي اخترع الرقاص في النصف الاخير من القرن التاسع الميلادي وقد أيد ذلك المؤرخ الفرنسي الشهير (**سيديو**) في كتابه (تاريخ العرب) وقد توفي ابن يونس سنة ١٠٠٩م .

وينسب الغربيون الى العالم الايطالي (**دوبيني**) ، الذي عاش في أواسط القرن التاسع عشر ، اكتشاف مرض الانكلوستوما لكن عددا كبيرا من العلماء الغربيين قد اعترفوا بأن العلامة الكبير **أبا علي ابن سينا** (٩٨٠-١٠٣٧م) هو الذي اكتشف هذا المرض ، وان ابن سينا هذا أول من وصف التهاب السحايا ، وشلل الوجه ، والسكتة الدماغية ، وحمى المثانة السريرية . كذلك كان ابن سينا أول من استعمل المخدر وأول من استعمل الابر لحقن العلاج تحت الجلد . كما أنه أول من أشار الى عدوى السل الرئوي .

والمشهور في العالم أجمع أن (**اسحاق نيوتن**) ١٦٤٢-١٧٢٧م هو الذي اكتشف قانون الجاذبية ولكن ظهر من التحريات التي أجريت على ما تبقى من آثار العرب الفكرية في المكتبات الاوربية والامريكية وغيرها أن العالم العربي الاسلامي **محمد بن حسن الخازن** الذي ظهر في النصف الاول

من القرن الثاني عشر الميلادي ، هو أول من بحث في الجاذبية وذلك في كتابه الخطير (ميزان الحكمة) الذي قال عنه (**سارتون**) انه من أجل الكتب العلمية وأروع ما انتجته القريحة في القرون الوسطى ٠

وكذلك سبق **ابن الخازن** كلا من العالم الايطالي **توريشللي** (١٦٠٧ـ١٦٤٧م) الذي نسب اليه اكتشاف البارومتر ، والعالم الفرنسي (**باسكال**) والعالم البريطاني (**روبرت بويل**) ١٦٢٧ـ١٦٩١م في موضوع معرفة ثقل الاجسام عند غطسها في الماء أو في الهواء ، وكذلك ثقل الهواء ووزنه ، بما يعرف بعلم الهيدروستاتيكا ٠

وقد اخترع **ابن الخازن** ميزانا ذا خمس كفات لوزن الاجسام في الماء وفي الهواء وقال العلامة (**بلتن**) أن ابن الخازن أول من استعمل الايرومتر لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل كما أنه أوجد الاثقال النوعية للمعادن المخلوطة وتحديد مقدار كل جزء منها ٠

وينسب الاوربيون الى (**يوهان كبلر** ١٥٧١ـ١٦٣٠) اكتشاف علم الضوء والبصريات في حين ان الذي اكتشف هذا العلم هو العالم العربي الكبير **أبو علي محمد بن الحسين ابن الهيثم** (٩٦٥ـ١٠٣٩م) ، وان كلا من كبلر وروجر باكون ، ووايتلو وغيرهم قد اعتمدوا على مكتشفات ابن الهيثم وما دونه من كتب ورسائل في كل ما ادعوا اكتشافه من نظريات عن علم الضوء البصريات ٠

ولذلك يقول البروفسور **سارتون** : « ان ابن الهيثم أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ، ومن علماء البصريات القليلين المشهورين في العالم كله » ٠

وفي هذا يقول العلامة الفرنسي **لوتيرفياردو** أيضا ان كبلر أخذ معلوماته في الضوء من كتب ابن الهيثم ، وان ابن الهيثم سبق الفيلسوف البريطاني **روجر باكون** (١٢١٤ـ١٢٩٢م) في اكتشاف الطريقة العلمية في البحث والاستقصاء ٠

ومن ادعاءات الغرب أيضا أن الفيلسوف الالماني (**كانت**) هو مبتدع نظرية المعرفة لكن الآثار التي سلمت من الضياع مما أوجده المفكرون العرب في شتى العلوم والفنون قد برهنت على أن الفيلسوف العربي **ابن حزم الاندلسي** ، واسمه **علي بن أحمد بن حزم** (٩٩٤ـ١٠٦٤م) ، هو الذي أوجد هذه النظرية قبل أن يدعيها(كانت)لنفسه بأكثر من سبعمائة وخمسين سنة٠ كذلك عرض الفيلسوف العربي **أبو نصر الفارابي** (٨٧٢ـ٩٥٠م) بعض أجزاء هذه النظرية في كثير من كتبه ورسائله ٠

ان المجال ليضيق هنا عن سرد الامثلة العديدة على مدى قصب السبق الذي أحرزه العلماء العرب والمسلمون في ميادين المعارف والعلوم لان ذلك يتطلب دراسة مقارنة شاملة ترد الى العرب والمسلمين مكانتهم اللائقة التي سطا عليها الغربيون وادعوها لانفسهم ٠

ان الحكومات العربية جمعاء وجامعتهم العتيدة بوجه خاص تتحمل أعظم مسؤولية ازاء التراث الفكري العربي الاسلامي ، وازاء الجيل العربي الناشىء الذي ينبغي له أن يلم الماما تاما بهذا التراث وأن يكبره ويعتز بـه ويفخر بعروبته وبدينه الاسلامي الحنيف اللذين زودا البشرية بهذا الفيض الصالح من عناصر الحضارة والثقافة والمعرفة •

أن على جامعة الدول العربية أن تهيىء الدراسات المطولة باللغات العالمية الحية عن سوابق الفكر العربي الاسلامي ومبتدعاته في سجل الحضارة الانسانية • ذلك لان ابراز أسماء المفكرين العرب وتفضيلهم على من جاؤا بعدهم من الغربيين لا يستلزمه التعصب للعروبة والاسلام ، كما يخيل ذلك الى البعض ، وانما يستلزمه الانصاف والاعتراف بالحق ورد هذا الحـق الى أهله •

كذلك ينبغي لجميع وزارات التربية والتعليم في جميع البلدان العربية أن تعيد النظر في المناهج الدراسية في مدارسها بحيث تثبت في بطون كتب الدراسة أسماء المكتشفين والمخترعين العرب وتبيان فضلهم على غيرهم من المكتشفين والمخترعين الاجانب كوسيلة عملية من وسائل احياء ذكرى اولئك الرواد العرب وتقدير مساهمتهم في الحضارة العالمية •

مصادر البحث :

١ ـ قدري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الفلك والرياضيات
٢ ـ قدري حافظ طوقان : الخالدون العرب
٣ ـ ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة بن خلدون
٤ ـ ساطع الحصري : جان جاك روسو (عدد خاص ضمن مجلة التربية والتعليم) •
٥ ـ محمود لطفي جمعه : فلاسفة الاسلام
٦ ـ محمد عبدالله عنان : ابن خلدون وتراثه الفكري
٧ ـ ديكارت : الدكتور علي عثمان
٨ ـ الجغرافيون العرب : صبري محمد حسن
٩ ـ اعلام العرب : عبدالصاحب الدجيلي
١٠ـ الفكر العربي ومكانته في التأريخ : المستشرق اولبري
11. History of Mathematics by Cajori.
12. Introduction to the History of Sience by Sarton.
13. History of Physics by Cajori.
١٤ـ خلاصة الفكر السياسي تأليف ستيفن سوبتكلر
١٥ـ مجلات الرسالة والثقافة والعلوم واسرار العالم والمستمع العربي
١٦ ـ The Age of Adventure, by: G. Santillana.

نماذج من الأدب العراقي القديم

بقلم : الدكتور فيصل الوائلي
مدير الآثار العام

صلاة للاله القمر

في العدد السابق من هذه المجلة قدمت انموذجا من الادب العراقي القديم . ذلك التراث الفذ المتعدد الالوان الذي خلفه لنا سكان العراق القدماء منذ آلاف السنين مسجلا بالخط المسماري على ألواح من الطين يزخر بها الآن المتحف العراقي والمتاحف العالمية الاخرى ويسرني أن أنتهز فرصة صدور هذا العدد من مجلة « الاقلام » فاقدم الى قرائها الكرام جزءا آخر من هذا الادب الشيق .

من المعلوم ان سكان بلاد الرافدين كغيرهم من الاقوام تأثروا تأثرا كبيرا بالظواهر الطبيعية والاجرام السماوية ورأوا فيها قوى عنيفة تؤثر في مصائرهم فالهوها وعبدوها وتوجهوا اليها بالادعية والصلوات والتراتيل . وفيما يلي ترجمة للصلاة التي كانت تقدم الى الاله القمر (سين) ويصاحبها تقديم القرابين في اليوم الثلاثين من الشهر . وهو اليوم الذي يقام فيه مهرجان للقمر . وكان المصلي يقوم بهذه الشعائر من أجل سعادته ولغفران ذنوبه . لقد وصل هذا النص الينا على لوح عثر عليه في مكتبة آشور بانيبال ملك بلاد آشور (٦٦٨ — ٦٣٣ ق.م) .

الترجمة

يا « سين »(١) يا « ننار »(٢)، المعظم(٣) ...
« سين » . الفريد . الذي يجعل ... منيرا .
الذي يقدم نورا للناس ...
لقيادة ذوي الرؤوس السوداء(٤) باستقامة ....
ساطع نورك في السماء ...
وضاءة شعلتك كأنها النار ...
ضياؤك قد ملأ الارض الواسعة .
الناس يبتهجون . ويتشجعون عند رؤيتك .
يا « آنو »(٥) السماء الذي ليس بوسع احد ان يدرك خططه

(١٠) مثل بكرك « شمش »(٦) نورك متفوق

منحنية في حضرتك الآلهة العظيمة . قرارات الارض موضوعة بين يديك

عندما تسالك الآلهة تعطي مشورتك

انها تجلس (في) مجمعها وتتناقش باشرافك

يا « سين » الساطع نوره في « ايكور »(٧) عندما يسألونك انت تعطى نبوءة الآلهة .

(بسبب الشر الناجم عن خسوف القمر الذي وقع في شهر كذا وكذا . وفي يوم كذا وكذا

وبسبب الشر من النذر والعلامات السيئة وغير الملائمة التي حدثت في قصري وبلادي(٨))

عند المحاق موعد تنبؤك سر الآلهة العظيمة .

في اليوم الثلاثين . مهرجانك . يوم بهجة الوهيتك

يا «غراسيميت»(٩) يامن لايجاري في القوى . يامن لايدرك خططه أحد .

(٢٠) قد قدمت لك بخورا ليليا نقيا . وقد اهرقت لك اعذب شراب .

انني اجثو على ركبتي وامكث (هكذا) . اسعى اليك

من علي بالسعادة والعدل .

عسى الهي والهتي(١٠) اللذين كانا لعدة ايام غاضبين علي

ان يكونا بحق وعدل رفيقين بي .

عسى أن يكون طريقي رضيا . عسى أن تكون جادتي مستقيمة .

بعد ان يكون قد ارسل(١١) « زاقار » اله الاحلام

خلال الليل . عسى ان اسمع غفران ذنوبي والعفو عن جرمي .

(و) الى الابد دعني اخدمك باخلاص .

(*) اعتمدنا في هذه الترجمة على كتاب Pirtchard, James B. ——— "Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton University press 1950.

(١) الاله القمر الذي كان مركز عبادته في مدينة أور (المترجم) .

(٢) الاسم السومري للاله القمر (المترجم) .

(٣) النقاط تمثل جزءا ضائعا من السطر (المترجم) .

(٤) الاسم الذي كان يعرف به قديما الشعب السومري (المترجم) .

(٥) هكذا عرف اله القمر باله مجمع الآلهة الرئيسي (آنو) .

(٦) الاله الشمس (المترجم) .

(٧) المعبد الرئيسي في مدينة « نفر » .

(٨) هذان السطران يأتيان بعد السطر (١١) في النص « الاصلي » انهما يمثلان اضافه متأخره في النص تقطع المعنى بصورة مربكة .

(٩) اسم للاله القمر معناه « برعم ساطع » .

(١٠) المقصود هنا الاله الشخصي حيث كان لكل شخص اله يتولى شؤونه ويرعاه ويتوسط من اجله لدى الآلهة العظيمة .

(١١) يعود الضمير الى الاله الشخصي الذي اشير اليه قبل سطرين .

هل الشخصية السوية اسطورة

صلاح الدين حسن

« ان النهر الذي ادركته يد التهذيب لا تعترض مجراه الصخور ، ولا تجد فيه الدوامات ، ولا يزخر تياره بالمفاجآت .. فاجعل حياتك مهذبة المجرى كذلك النهر » .

الاخصائي النفسي دكتور بوشيه

قبل ان نقوم بدراسة الشخصية السوية دراسة علميـة ، يحسن أن نشير الى حقيقة هامة : (عندما نتناول المسائل المتصلة بالسلوك السوي أو غير السوي أو المتصلة بتعيين الاضطراب الانفعالي الباطني فان استخدام المصطلح (سوي) استخداما صحيحا ودقيقا تحف به كثير من الصعوبات ويصبح التدرج في وصف تلك الحالات امرا صعبا جدا)(١) . ذلك لانه من الصعوبة بمكان الحكم على سوية الشخصية كلها ، كما أنه من الصعب جدا ، ان لم يكن من المستحيل ، وضع حد فاصل بين السلوك السوي والسلوك المنحرف ، يمكن أن يتفق عليه جميع الناس .

وعلى هذا النحو ، يمكن القول أن المصطلح (سوي) الذي يرد كثيرا في الابحاث النفسية والطبية ـ غالبا ما يساء استعماله الى درجة كبيرة ، شأنه في ذلك شأن المصطلح(منحرف) أو (شاذ) . مع ملاحظة ان كلمة (سوي) لها في علم النفس مدلول اعمق مما يجري به الاستعمال العادي لهذه الكلمة .

وبناء على الاعتبارات السابقة مجتمعة ، فليس من المستغرب بعد هذا ، ان يقول أحد الاطباء النفسانيين الانكليز : (يعتبر كثير من الناس السوية اسطورة من الاساطير . واني لست متأكدا انها ليست كذلك ؟)(٢) .

المفهوم السيكولوجي للشخص السوي : مما لا شك فيه ان الشخص السوي مصطلح نسبي ، ليس من السهل تعريفه . ولقد اختلفت آراء علماء النفس في تحديد مفهومه ، كمـا اختلفت في تعيين العناصر المهمـة الواجب توفرها فيه ، بحيث بات من المتعذر ايجاد تعريف شامل دقيق له . ومـع

ذلك ، فلا تخلو الكتب والابحاث النفسية من تعارف مختلفة ، تعطي فكرة عامة عن المقصود بهذه الكلمة .

ان كلمة (سوي (Normal) في الانكليزية مشتقة من كلمة (Norm) ومعناها (القاعدة) أو (المعيار) أو (المستوى) . فتعبير السوى ، بهذا المعنى ، له مفهوم احصائي لانه يشير الى المعدل المشترك للقدرات المتوافرة في مجموعة كبيرة من الاشخاص في عمر معين (٣) وعلى أساس هذا المفهوم الاحصائي بالذات يعرف الاستاذ منير الخازن الشخص السوى ، فيقول : (السوى : ما أعتقد الاجماع على انه يطابق أو يمثل نموذجا أو معيارا أو مستوى . يستخدم احيانا بمعنى سليم او عادى . وفي الحالة الاولى يقابله المريض ، وفي الحالة الثانية الشاذ أو الخارق للعادة)(٤) . وبالاضافة الى التعريفين السابقين ، نجد تعاريف اخرى تضم بين دفتيها بعض المتطلبات التي يجب أن تتوفر في الشخص السوي ، لعل من أهمها وأقربها الى الدقة العلمية ، تعريف الدكتور (أدور كلوفر) الذي يقول فيه : (الشخص السوى يمكن ان يعرف بأنه متحرر من الاعراض المرضية ، وغير منقل بالتصادم العقلي ، وله قابلية مقبولة على العمل ، ويستطيع ان يحب انسانا اخر الى جانب حبه لنفسه(٥) .

وعلى اى حال ، فمهما يكن التعريف الذي نأخذ به في تحديد مفهوم الشخص السوى ، فان هذا التعريف لن يكون كاملا اذا لم نأخذ في حسابنا (المعايير التي يوافق عليها المجتمع لما هو خطأ وما هو صواب من السلوك)(٦) .

ويترتب على مثل هذا القول ان السلوك المقبول في مجتمع ما قد يعتبر شاذا أو مستهجنا في مجتمع اخر . ولكن يجب أن لا يغرب عن البال ان هناك انواعا معينة من السلوك ، كالسرقة والخيانة وانتهاك الاعراض والاعتداء على الغير ، تعتبر شاذة وغير مقبولة في جميع المجتمعات ، اضافة الى انهما مخالفة للقوانين المحلية والدولية .

صفات الشخص السوى : ان السؤال الذي يبرز لنا الان هو : ما الصفات التي يجب ان يتحلى بها الشخص السوي ؟.. أو ما هي الاساليب السلوكية التي تميز الشخصية السوية عن الشخصية المرضية ؟

للاجابة على هذا السؤال نقول : ان السلوك السوى سلوك انشائي بناء . اما السلوك المرضى فهو سلوك هدام ، يسعى به الفرد الى هدم نفسه بنفسه . والشخص الذي يمكن وصفه بأنه سوى يجب أن تتوفر فيه الصفات الاتية :

١ ـ النضج الانفعالي : يقصد بالنضج الانفعالي ان يكون الشخص ، في سن البلوغ ، قادرا على الانفصال عن والديه انفصالا سليما وطبيعيا دون ان يترك هذا الانفصال في نفسه آثارا نفسية سيئة . ومن دلائل النضج الانفعالي شعور الشخص بتقديره واحترامه لشخصيته ، وتمكنه من التحكم في دوافعه ونزعاته ، وقدرته على مواجهة المشاق والصعاب بثبات ورباطة جأش من غير

محاولة للتهرب أو شعور بالنقص . ولقد كان الدكتور (جون شندلر) موفقا في التعبير عن هذه الحقائق كلها حين قال : (النضج الانفعالى هو القدرة على مواجهة ظروف الحياة المختلفة ، بطرق أجدى من الطرق التي يسلكها صبي صغير لو واجه هذه الظروف نفسها)(٧) .

٢ ـ القدرة على التعاون : ان اعتماد الناس بعضهم على بعض ، وخاصة في المجتمعات الحديثة ، جزء اساسي من حياتها الاجتماعية . وعلى هذا الاساس يصبح الشخص السوى هو الشخص الذي يحقق هذه الطبيعة الاجتماعية .. هو الشخص الذي يعتمد عليه الاخرون ، والذى يقر في نفسه بحاجته اليهم ..

اضف الى ذلك ، ان الشخص السوى يعمل من اجل اسعاد الاخرين ، ويوجههم ، ويسعى لخيرهم .. هو الشخص الذى يمكنه ان يهتم بمساعدة الاخرين ، وأن يكون معهم علاقات شخصية وثيقة ، مبنية على الاهتمام والرعاية والثقة المتبادلة ، وليس على مجرد الرغبة في التعالى أو المنفعة الذاتية .

٣ ـ تقبل لواقع : قد يظن البعض ان مبدأ تقبل الواقع معناه تقبل الامور كما هي . صحيح أن الحكمة تقتضي في بعض الاحيان ان نكيف انفسنا لواقع الامور كما هي ، ولكن هناك اوقاتا أخرى يحتم علينا التفكير السليم أن نعدل من مجرى الحوادث بحيث تتفق مع قيمنا واهدافنا ، وهذا يتطلب منا . بالطبع ، شجاعة وإدراكا وارادة قوية .

ان الحياة لا تسير وفق مطالبنا دائما ، ويجب أن لا نتوقع منها ذلك . وما دام الامر كذلك ، فالصعوبات من مستلزمات حياتنا ، ولا مفر من وجودها . وكل منا يعتمد على طريقه الخاصة في مواجهتها والتغلب عليها ، أو الفرار منها حسب ما يتراءى له .. والذي لا شك فيه ، ان الشخص السوى يجابه هذه الصعوبات بشجاعة وعزيمة لا تلين .. انه يرى في الصعوبات والمشاق تحديا لقدراته ومواهبه ، وهو يتقبل هذا التحدى بحماسة وقلب جرىء ، بل انه يضاعف من كفاحه امام تهديد الازمات والشدائد .

اما الشخص الذي يفتقر الى القدرة على مجابهة الصعاب والحقائق المؤلمة ، فنراه يتلمس سبلا مختلفة للهروب من الواقع ، منها أحلام اليقظة ، والادمان على المخدرات ، والانتحار . وهذا السبيل الاخير هو أقسى وسائل الهرب من الواقع !

٤ ـ القدرة على حب الغير : ما من شيء يضفي على الحياة سعادة وبهجة واطمئنانا اكثر من القدرة على بذل المحبة الصادقة وتقبلها . فالمحبة الصادقة ـ ـ كما يراها الشخص السوى ـ تنطوى على الاخلاص للاخرين ، والحرص على شعورهم ، والاهتمام بأمرهم .

ولكى نتمكن من منح حبنا للاخرين ، يجب ان يكون هذا الحب مستقرا في اعماقنا منذ الصغر . فاذا تمكن الاباء من غرس دعائم الحب في جو الاسرة

استقرت حياة الطفل العاطفية ، ونما نموا سويا .. وعلى العكس ، اذا انعدمت عناصر الحب بين أركان الاسرة ، وشاع فيها الشقاق والخلاف والكراهية ، احس الطفل بظمأ شديد الى الحب والحنان ، مما يؤدي الى ضمور نموه الوجداني واضطراب حياته العاطفية والنفسية .

(١) شارلس فالنتاين : الطفل السوي وبعض انحرافاته ، ترجمة عبد علي الجسماني ، الطبعة الاولى ببغداد ، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥ .

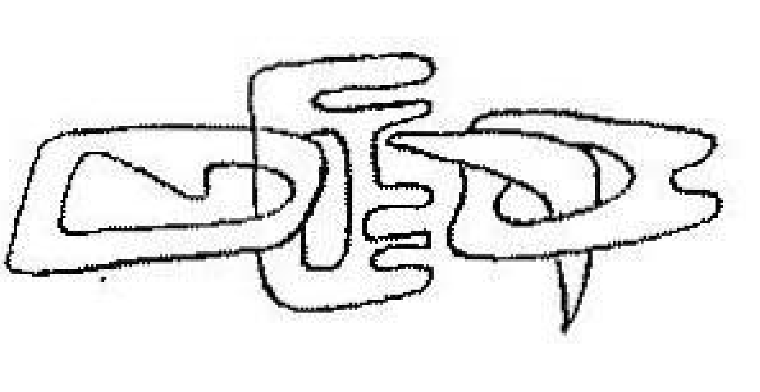
(٣) المصدر السابق ، ص ٢ .

(٤) منير وهيبة الخازن : معجم مصطلحات علم النفس ، طبعة دار النشر للجامعيين ببيروت ، ص ٩٥ .

(٥) فرانك كابريو : تفسير السلوك ، ترجمة الدكتور احمد حسن الرحيم ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ٢٥ .

(٦) شارلس ليونارد : لماذا ينحرف الاطفال ؟ ، ترجمة الدكتور محمد نسيم رأفت ، طبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ص ١٨ .

(٧) جون أ. شندلر : طريقك الى السعادة ، ترجمة عبدالمنعم الزيادي ، طبعة دار الهلال بالقاهرة ص ٨٦ .



الآثار المخطوطة في النجف

- ١ -

علي الخاقاني

مكتبة الامام كاشف الغطاء (١)

تقديم

لو نظرنا نظر الناقد البصير في العوامل التي رفعت مستوى الفكر البشري وأثرت على تقويته ، لالفينا العامل الوحيد هو التدوين الذي ربط الحاضر بالماضي ، وسيربط الحاضر بالمستقبل ، فقد عرفنا التطورات الفكرية والاجتماعية والادبية أحسن تعريف ، وبسط لنا صورا لا يستطيع شيء أن يغني عنه كوصفه للاحداث التي تفنى ، والاراء التي تتجدد ٠

وقد أظهر التدوين لنا صورا يرجع عهدها الى قبل ثلاثين قرنا ، فقد سجل لنا أسماء الفلاسفة من اليونان ، وخلد نظرياتهم التي ما زالت ولم تزل لها قيمتها ٠ فلولا التدوين لما عرفنا من هو سقراط ومن أتباعه ، وما هي اراؤه التي كان يلقيها في مدرسته بأثينا ، ولما عرفنا من هو افلاطون ولما قرأنا (جمهوريته) ورأيه في الطبيعة ، ونظريته في المثل ، ونزعته في الاخلاق ، وفلسفته في تكوين الدولة ٠ ولولاه لما كنا نعتقد أن هناك رجلا يدعى (أرسطو) الذي توفي ٣٢٢ق‌م بحث في الزواج ونظام التربية ما جعل اوربا في القرن العشرين تأخذ اراءه بنظر الاعتبار ٠ ولولا التدوين لما عرفنا الخليل بن أحمد ولغته وعروضه ، ولا الطائي وأدبه ، والبحتري وأوصافه ، والمفيد وعلمه ، والرضي وعبقريته ، والمتنبي وحكمه ، والمعري وفلسفته ، والطوسي ومثلثاته ، وابن سينا وقانونه ، والطبرسي وتفسيره ، وصدرالدين الشيرازي وأسفاره وتحليله وادراكه أسرار الاثير وتقسيمه ايصال الصوت على الموجات الثلاث قبل أن يخترع الراديو بثلاثة قرون ونصف القرن ٠ كل هذه وغيرها كفلها لنا التدوين ، وأظهر لنا حقائقها وخلدها مع الزمن ٠

فجدير بنا أن نبذل كل ما في وسعنا من الجهد في حفظ الاثار التي

---

(١) هو الامام محمد الحسين بن الشيخ علي آل كاشف الغطاء من أشهر مشاهير فقهاء القرن الرابع عشر الهجري ، ولد في النجف عام ١٢٩٤هـ وتوفي بايران في كرند عام ١٣٧٣هـ وحمل بجثمانه الى النجف فدفن في مقبرته الخاصة ٠ كان رحمه الله خزانة علم وأدب وشعر ، خلف أكثر من اربعين مؤلف طبع منها (١) الدين والاسلام في جزئين (٢) المراجعات الريحانية في جزئين (٣) أصل الشيعة وأصولها (٤) الايات البينات (٥) التوضيح في جزئين (٦) الفردوس الاعلى (٧) المثل العليا (٨) الارض والتربة (٩) مجموعة رسائل في الاحكام والشريعة ، وقد أسس هذه المكتبة وبنى لها جناحا خاصا بمدرسته العلمية وقفها على المسلمين ٠ ضمت مجموعة كبرى من المخطوطات ، سنأتي على تعريف أنواعها كاملة ٠

أبقاها لنا السلف الصالح ، وان نتتبع كل أثر مخطوط فنعرفه ، ليتسنى للجميع الوقوف عليه ، كما فعل مؤرخونا في الاسلام بحفظهم وذكرهم لذلك ، أمثال ابن النديم في الفهرست ، والشيخ الطوسي في (الفهرست) وابن شهراشوب في (معالم العلماء) والحاج خليفة في (كشف الظنون) وغيرهم ممن خدموا هذه الناحية خدمة طيبة خالصة لوجه الله فأفادوا وحفظوا ٠

لذا رأيت من واجبي أن أقوم بتعريف المخطوطات التي أقف عليها أو اشاهدها في العراق وفي غيره من الاقطار العربية والاسلامية ٠ ولبعد الزمن الذي بدأت به هذا العمل تحقق لدي كتاب كبير يقع في ثمانية أجزاء ضخام نشرت منه بعض الفصول أو الاسماء في مختلف الصحف والمجلات العراقية والعربية ، وتحملت جهدا كبيرا كان نتيجة لترويض نفسي على الصبر والجلد ٠

وفي وقته عرف عني فريق من أعلام المستشرقين ذلك فاتصل بي جماعة منهم كما اتصلت ببعضهم شخصيا أمثال المرحوم الدكتور ماسنيون الفرنسي فبعد اتصالات في الرسائل اجتمعت معه لاول مرة في بغداد بدار الحجة الاكبر السيد هبة الدين الحسيني في العيواضية وذلك عام ١٩٣٦م ومرة أخرى شاهدته ببغداد عام ١٩٥٤م وقد حاضر خلال بقائه عن خطط البصرة ٠ وأمثال الصديق المعاصر الدكتور هلموت ريتر الالماني ، وكانت أول رسالة له بعثها لي من استانبول بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٣م كما شاهدته في بغداد في مهرجان الكندي عام ١٩٦٢م وكان أكثرهم الحاحا علي في الاستمرار بمشروعي هذا ، وقد أكد لي الاستاذ عبد العزيز الميمني عند زيارته له في استانبول فاوصاه بأن يزور النجف ليراني هناك ويقف على مخطوطة فريدة عندي في (تاريخ الاديان)

وكنت أعتقد بأن مشروعي هذا سيعمم برجال يقوم كل واحد منهم بتعريف مخطوطات بلاده ليحصل بذلك الربط الروحي والادبي ، غير أن عبء العمل الثقيل جبن الكثير عن ذلك ٠ وفي عام ١٩٥٨م عندما عقد مؤتمر ادباء العرب في الكويت وكنت أحد أعضائه في لجنة احياء التراث العربي اقترحت على اللجنة أن توصي بذلك ليقف علماء وادباء وباحثي كل قطر على معرفة مخطوطات البلاد العربية أجمع ، وقد قوبل اقتراحي بالتأييد ، غير أني لم أسمع بعد مرور هذا الزمن بتحقيق ذلك في مثل سوريا ولبنان ومصر وتونس ومراكش وباقي الاقطار الاخرى ٠

وكان الدافع الوحيد لبحثي هذا هو أن أفق النشر والاحياء أخذ يتسع يوما فيوما ، وأصبح الناشر والمحقق بحاجة الى معرفة الامكنة التي تضم الكتب التي يحتاجها ، سواء كانت لم تطبع ، أو طبعت بصورة رديئة تحتاج الى تدقيق وتحقيق ، فرأيت وضع دليل فني يكفل ما شاهدته من المخطوطات بقسميها ، وقد نشر لي المجمع العلمي العراقي فصلا عن (مخطوطات

البصرة) يخص المكتبة العباسية ، وبنشره لمس الكثير منه الفائدة والاطلاع .
والان أواصل نشر بعض فصول من الدليل عن مخطوطات مكتبة الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء مرتبا على الانواع وعلى نهج مخطوطات البصرة ، في وصف مقاييس الكتاب ، ونبدأ أولا بموضوع :

١ ـ اجازة السماهيجي :

للشيخ عبد الله بن صالح بن جمعة بن شعبان بن علي بن أحمد السماهيجي البحراني المتوفى تاسع جمادي الآخرة عام ١١٣٥هـ ، أجاز بها الشيخ ناصر بن محمد الجارودي ، بخط صاحبها الشيخ علي صاحب الحصون فرغ من كتابتها صبيحة يوم الجمعة ١٨ شعبان ١٣٣٠هـ وفرغ مؤلفها منها في عصر الاثنين ٢٣ صفر في بهبهان عام ١١٢٨هـ في ١٠٨ص ٢١ س ٢١/٣سم ، ١٦سم سمك المجموع ٢/٩سم ، رقمه ١٠ مجاميع .

٢ ـ اجازة الشيخ المجلسي :

للشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي صاحب (بحار الانوار) المتوفى ١١١١هـ أجاز بها الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف البحراني ، بخط صاحبها . في ٦ص ضمن المجموع رقم ١٠ .

٣ ـ الامداد ، بمعرفة الاسناد :

تأليف الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي الشافعي الفه عام ١١٢٦هـ واسمه تاريخه ، بخط ناصر بن سليمان ، فرغ منه في ٢٨ رمضان ١٢١١هـ في ١٩٨ص ٢٥س ، ٢٢سم ، ١٥سم ، ٣سم وبضمنه ما يأتي :

١ ـ منظومة عدد أبياتها ٢٨٢ من نظم محمد بن عبد الله بن محمد بن فيروز .
٢ ـ تسع اجازات بخطوط أصحابها .
٣ ـ رسالة في معنى الاستخارة ، في ٤ص .
٤ ـ الوسيلة : قصيدة لابي الحسن البكري .
٥ ـ منظومة في الادب : لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد القوي الحنبلي ، عدد أبياتها ١٨٥ بناها على قافية الدال .
٦ ـ الدرة المضية ، في عقيدة الفرقة المرضية : لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي المتوفى ١١٨٨هـ في ٢١١ بيتا ، وله شرح عليها .
٧ ـ الاوعية المستطابة في الادعية المستجابة : لعبد الله بن محمد الكردي البيتوشي ، شرح فيه منظومته المسماة بالادعية المستجابة ، في ١٠ص كبار مزج الاصل بالشرح .
٨ ـ مقاطيع من الشعر في مدح الرسول الاعظم (ص) ونتف من تراجم ووفيات الرجال .

٤ ــ **الانتخاب الجيد ، من تنبيهات السيد :**

في علم الرجال ، تأليف الحسن بن محمد الدمستاني البحراني ، بخط محمد باقر بن محمد تقي الاصفهاني وتاريخها ١٣٢٥هـ في ٤٣٠ص ١٩س ، ٢٣سم ، ١٤سم ، ١/سم ، جيدة الخط ، رقمه ٢١ تراجم • ويوجد منه نسخة بالكاظمية بمكتبة الدكتور حسين محفوظ •

٥ ــ **أنوار البدرين في تراجم علماء البحرين :**

تأليف علي بن حسن بن علي بن سليمان البلادي المتولد ١١٧٤هـ والمتوفى ١٢٧٤هـ بخط الشيخ علي صاحب الحصون ، فرغ من كتابته يوم الجمعة ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٧هـ في ٤٩٢ ص١٩س ، ٢٢سم ، ١٥/٥سم ، ٣سم ، رقمه ٢٦ تراجم •

٦ ــ **البلغة في علم الرجال :**

للشيخ سليمان الماحوزي ، بخط صاحب الحصون ، فرغ منه يوم السبت ١٧ جمادي الآخرة ١٣٣٦هـ في ٢٩ص ، رقم ١٣ مجاميع •

٧ ــ **تاريخ العلماء والشعراء :**

مجهول المؤلف ، بحث فيه جوانب من الادب والشعر ، وسجل طائفة من تراجم العلماء الذين حصلوا على حكم سياسي ، في ١١٢ص ، ٢١سم ، ١٦سم ، ٤٨ تراجم •

٨ ــ **تتمة أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل :**

للعالم الشاعر السيد محمد بن علي بن ابراهيم بن أبي شبانة البحراني • أوله : (**الحمد لله الذي جعل العلماء بيانا لقواعد الاحكام ، ومفاتيح لشرائع الاسلام**) • ابتدأ في ترجمة الشيخ ابراهيم بن فخر الدين العاملي البارودي من رجال القرن الثاني عشر الهجري ، بخط صاحب الحصون ، اشتمل على ٢٢٠ ترجمة فرغ من كتابته يوم الاحد سلخ ربيع الاول ١٣٣١هـ في ٢٧٨ص ٣٠س ٢١/٥سم ١٥/٥سم ، ٢/٣سم • رقمه ٢٢٨ تراجم •

٩ ــ **تذكرة الشعراء :**

تأليف دولت شاه بن علاء الدولة يحيى شاه السمرقندي الغازي ، كفل تراجم شعراء فارس باللغة الفارسية • أوله : (**تحميدي كهشاهباز بلند براوز انديشه بساحة وفضاي ان نتواند رسيد**) في ٤٢٦ص ، ١٨س ، ٢٣سم ، ١٦/٥سم ، ٣/٣سم رقمه ٢٢٤ تراجم •

١٠ ــ **تراجم آل أبي جامع :**

للشيخ جواد بن محيي الدين الجامعي ، اعتبره المؤلف كذيل الى كتاب (أمل الآمل) في ٣٢ص ، ١٨س ، ٢١سم ، ١٥سم ، برقم ٣٠ تراجم •

١١ ــ تراجم الائمة والخلفاء والانبياء :
مجهول المؤلف ، بخط صاحب الحصون ، رتبه مؤلفه على ٢٧ فصلاً وخاتمة ، في ٢٩س ، برقم ١٨ مجاميع ٠

١٢ ــ ترتيب رجال الكشي :
تأليف عناية الله بن شرف الدين علي بن محمود القهپائي ٠ ورجال الكشي الذي طبع بالهند والنجف لم يكن هو الاصل ، وانما اختصره الشيخ أبو جعفر الطوسي المتوفى ٤٦٠هـ من الاصل الذي لم يكن مرتبا على الحروف ، والقهپائي رتبه وشخص العناوين وأضاف عليه النص على صحة قول الراوي وتوثيقه ، بخط المؤلف ، فرغ منه يوم الاثنين ١٧ محرم ١٠١١هـ نقص من الاول صفحة واحدة وكذلك من الآخر ، وقد كتبنا على نسخة أخذت من الاصل ، وقد ملأت هوامشها بالتعليقات من قبل المؤلف ، في ٣٦٠ص ، ٢١س ، ١٩سم ، ١٣سم ، ٣سم ، برقم ٣٥ تراجم ٠

١٣ ــ تلخيص الاقوال في علم الرجال :
تأليف ميرزا محمد بن علي بن ابراهيم الحسيني النجفي ، جاور في آخر عمره مكة المكرمة ومات بها عام ١٠٢٦هـ ، فرغ من تأليفه عاشر جمادي الاولى ٩٨٨هـ رقمه ٣٤ تراجم ، ونسخة أخرى برقم ١٥ أيضا ٠
ويوجد في النجف بمكتبة الحسينية بخط المؤلف في ٣٢٧ص ٢٦س ، ٢٥/٥سم ، ١٧سم ، ٢/٥سم ، جيدة الخط متقنة الضبط ٠ رقمه ٦٤ تراجم ٠

١٤ ــ تكملة الرجال :
للشيخ عبد النبي بن علي بن أحمد بن الجواد بن مبارك الخازن لحرم الجوادين ، المتوفي بقرية (جويه) من قرى جبل عامل في ذي القعدة عام ١٢٥٦هـ فرغ منه ليلة الثلاثاء ١٥ ربيع الثاني ١٢٤٠هـ ، اعتبره المؤلف تتمة لرجال الشيخ مير مصطفى التفريشي - بخط باقر بن علي قفطان فرغ من كتابته يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني ١٣٢٤هـ في ٤٤٠ص ٢٤س ، ٢٢سم ، ١٥سم ، ٣سم ، برقم ٤٩ تراجم ٠

١٥ ــ توضيح الاشتباه والاشكال ، في ضبط أسماء الرواة وألقاب الرجال:
تأليف محمد علي بن المولى محمد رضا الساري المازندراني ، فرغ من تأليفه تاسع شوال ١١٩٣هـ بخط صاحب الحصون فرغ من كتابته يوم الجمعة ١١ شوال ١٣٣٤هـ في ١٤٤ص، ٢٣س ، ٢١سم ، ١٦سم ، ١/٥سم، رقمه ٥٣ تراجم ، مرتب على حروف المعجم ٠

١٦ ــ جامع المقال ، فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال :
أو كتاب الدراية ، لمعرفة الراوي والرواية : تأليف فخر الدين بن

محمد علي الطريحي النجفي صاحب كتاب (مجمع البحرين) في اللغة ٠ فرغ من تأليفه ٢٣ جمادي الآخرة عام ١٠٥٣هـ ورتبه على مقدمة ، و١٢ باباً، و١٢ فائدة ، وخاتمة ٠ أما المقدمة فهي في معنى الحديث وأصله ومن أين ينتزع ٠

وأما الابواب فهي (١) فيما لابد للمحدث من معرفة (٢) في بيان السنة وأحكامها (٣) فيما شرط للعمل بالخبر من الشروط (٤) في تعريف العدالة وكيفيتها (٥) في بيان الاحكام الواردة عن الرسول والحكم فيها (٦) في بيان الباعث على وضع الاصطلاح الجديد (٧) فيما لابد للراوي منه في تحمل الرواية (٨) في كيفية الرواية وجواز نقل الحديث بالمعنى (٩) في بيان طريقة المحدثين في الاخبار (١٠) فيما يتوقف عليه قراءة الحديث من العلوم وما يجب تحصيله منها لمزيد العمل بها (١١) في كيفية كتابة الحديث وتدريبه (١٢) في ذكر المهم من أسماء الرجال وطبقاتهم وما يتعلق بذلك ويلحقه ٠

وقد حصر الباب الثاني عشر في اثني عشر فائدة هي (١) في استعلام الالفاظ المطلقة من الاسماء المشتركة والكنى والالقاب وبعض الانساب مما هو مشترك في الغالب بين من يوثق به وغيره (٢) في بيان معرفة الانساب (٣) في معرفة الصحابة والتابعين (٤) في معرفة طبقات الرواة ومعرفة الموالي (٥) في معرفة من شارك في الاخوة من الرواة (٦) في معرفة من أجمعت العصابة على تصديقهم (٧) في ذكر الجماعة الذين استثناهم ابن الوليد من الرواة (٨) في بيان من اكثرت الرواة عنهم ولا ذكر لهم في كتب الرجال بمدح ولا ذم (٩) في تفسير ما وصل الينا من العدد الواردة أول الاسانيد (١٠) في بيان ما ذكره الشيخ اخر كتابه وما يستفاد منه (١١) في بيان الكنى والالقاب والكنى للنبي والائمة ـ ع ـ (١٢) في تاريخ سيرة النبي وتراجم الائمة(ع) ٠

وأما الخاتمة في بيان أمور ثلاثة (١) في بيان حصر الاحاديث من اشتهر من كتب الامامية الأربعة وهي : من لا يحضره الفقيه لابن قولويه القمي (٢) الاستبصار للشيخ الطوسي (٣) التهذيب له أيضاً (٤) أصول الكافي للشيخ الكليني ٠

(٢) في بيان وفيات أعلام المحدثين المتقدمين (٣) في ذكر بعض ما وصل من التوقيعات في حق بعض المشايخ من المحدثين ٠

في ٢٢٥ص ، ١٩س ، ٢١سم ، ١٥سم ، ٢/٥سم ، يوجد برقم ٢٩ و ٥٨ تراجم ٠

١٧ ـ جامع الاقوال في معرفة الرجال :

مرتب على حروف المعجم ٠ تأليف يوسف بن محمد بن محمد بن زين الدين الحسيني العاملي ، الفه عام ٩٨٢هـ ، استعمل فيه رموزا للاختصار ، وجعل فيه تضعيفاً وتقوية ٠ نقص من اخره من حرف الميم الى

الياء · في ٢٥٥ص ، ١٩س ، ٢١سم ، ١٥سم ، ٤سم رقمه ٣١ تراجم ·
ويوجد في أوله عشرة صفحات في علم الرجال مجهولة الواضع مرتبة على حروف المعجم في أسماء الرجال ، ويظهر أنه كمقدمة له دون أن يشار الى ذلك ·

١٨ ـ حاوي الاقوال في علم الرجال :

تأليف الشيخ عبد النبي بن سعد الدين الاسدي الجزائري المتوفى ١٠٢٠هـ رتبه على الطبقات فجعل الثقات على حدة ورتبهم على الحروف ، وكذلك صنع في الضعفاء والحسان والمهملين · بخط جميل يقرب من عصر المؤلف ، في ٣١٤ص ٢١س ، ٣٠سم ، ١٩سم ، ٣سم ، نقص من اخره ورقتان · رقمه ٩ تراجم · وتوجد نسخة بمكتبة الشيخ عز الدين الجزائري تاريخها ضحى يوم الثلاثاء ١٨ شعبان ١٠٢٠هـ بخط عبد علي بن محمد بن علي بن حماد في ٥٢١ص ·

١٩ ـ حدائق العيان :

مجهول المؤلف ، اختصر فيه كتاب (وفيات الاعيان) لابن خلكان المتوفى ٦٨١هـ ، بخط محمد باقر بن محمد حسن الكهتوي في كربلاء ، فرغ منه يوم الخميس بعد الظهر تاسع رمضان ١٢٧٧هـ في ٢٣٠ص ١٩س ، ٢١/٥سم ، ١٤/٥سم ، ١/٥سم رقمه ٥١ تراجم · مرتب على الحروف ، خطه جميل ·

٢٠ ـ الحدائق الوردية ، في مناقب أئمة الزيدية :

للامام حميد الدين بن الامام أحمد الزيدي اليماني المعروف بالشهيد، فرغ من تأليفه يوم الجمعة وقت الضحى ٢١ ربيع الاول عام ١٠٠٩هـ وقوبل على الامام محمد بن أمير المؤمنين الزيدي ليلة الاحد ٢٨ جمادي الآخرة عام ١٠٣٤هـ ، بخط صاحب الحصون في جزئين ·

الاول : فرغ من كتابته يوم الاربعاء ١٢ ذي القعدة ١٣١٧هـ في ٢٣١ص · والثاني : فرغ منه يوم الخميس عاشر جمادي الاولى عام ١٣١٨هـ في ٢٣٧ص ، ٣٠س ، ٣٠/٥سم ، ١٨سم ، في مجلد واحد ، سمكه ٣سم ، كتبه في قرية (البعيرة) احدى قرى الحلة · رقمه ١٣٢ تراجم ·

ويوجد منه نسخة في المتحف البريطاني في لندن برقم ٣٨١٢ ، وقد جعل له ذيلا جمال الدين محمد بن علي بن يوسف بن فند ، أسماه (اللواحق الندية للحدائق الوردية) يوجد أيضا في المتحف برقم ٣٧٨٦ ·

٢١ ـ الحسرة الدائمة للزفرات :

في عدد الهواشم الذين أصيبوا في الغاضريات · تأليف المؤرخ السيد حسون البراقي · بخط المؤلف ، في ٨١ص ، ١٥س رقمه ٣٦ مجاميع ·

٢٢ ـ الحصون المنيعة :

تاليف الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن موسى بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء المتوفى ١٣٥٠هـ مؤسس المكتبة ٠ بحث فيه طبقات رجال الشيعة من القرن الاول الى عصره فجاء في تسعة أجزاء ضخام ، مرتب على الطبقات ولكنه لا يزال في المسودة الاولى التي لا تخلو من تشويش وتكرير ، غير أنه يعتبر الام لمن ألف بعده فقد ضم فيه جميع أخبار الرجال وقد روينا عنه كثيرا ، واليك تعريف الاجزاء :

الاول : في ٥٤٨ص ٢٨س، ٢٩سم، ١٩سم، ٢سم رقمه ١٣٣ تراجم ٠

الثاني : في ٥٩٢ص ٣٠س، ٢٩/٥سم، ١٩/٥سم، ٢سم رقمه ١٣٤ تراجم ٠

الثالث : في ٦٤٩ص ٢٩س، ٢٩سم، ١٩/٥سم، ٢سم رقمه ١٣٥ تراجم ٠

الرابع : في ٨٤٥ص ٣٢س، ٢٩سم، ١٩/٥سم، ٣/٥سم، رقمه ١٣٦ تراجم ٠

الخامس : في ٥٩٩ص ٣٢س، ٢٩سم، ١٩/٥سم، ٣/٢سم رقمه ١٣٧ تراجم ٠

السادس : في ٦٦٢ص ٣٠س، ٢٩/٥سم، ١٩/٥سم، ٢سم رقمه ١٣٨ تراجم ٠

السابع : خصه بالشعراء وابتدأ فيه بترجمة الشاعر الشيخ جعفر الخطي المتوفى ١٠٢٨هـ ، في ٩٣٤ص ٢٩س ، ٢٨/٥سم ، ١٩سم ، ٢سم رقمه ١٣٩ تراجم ٠

الثامن : في ٦٠٤ص ٢٦ و ٣٠س ، ٣٠سم ، ١٩/٥سم ، ٣سم رقمه ١٤٠ تراجم ٠

التاسع : تكلم فيه عن الاقلام وتعريفها عند الامم ، في ٥٠٢ص ، ٢٨ و ٢٩س ، ٢٩سم ، ١٩/٥سم ، ٢/٥سم رقمه ١٤١ تراجم ٠

٢٣ ـ الدرجات الرفيعة ، في معرفة طبقات الشيعة :

تاليف صدر الدين السيد علي خان بن الامير نظام الدين أحمد بن معصوم الشيرازي المتوفى ١١٢٠هـ صاحب (سلافة العصر) بخط علي المدني الشيرازي فرغ منه في كربلاء ١٢ رمضان ١٣٢٦هـ في ٧٠٩ص ١٨س ٢٢سم ، ١٧سم ، ٥سم ، رقمه ٤٦ تراجم ٠

٢٤ ـ الدرة البهية ، والروضة المضية :

في تاريخ الروضة الحسينية ، المسماة بكربلاء والغاضرية ، ونينوى وعمورية ، والحراء الجلية ٠ للسيد حسون البراقي ٠ اعتبره تتمة لكتاب (الحسرة الدائمة) في ١٠٤ص ١٥س بخط المؤلف فرغ منه نهار الاربعاء ١٢ ربيع الثاني ١٣١٦هـ ، رقمه ٣١ ٠

٢٥ ـ رجال ابن أبي جامع :

تأليف الشيخ عبداللطيف بن علي بن أحمد بن أبي جامع الشامي العاملي المتوفى ١٠٣٥هـ بخط صاحب الحصون ، فرغ منه يوم الاثنين ثاني محرم الحرام ١٣٤٠هـ في ١٦٠ص ٢٢س ، ٢١سم ، ١٦سم ، رقمه ٢٧ تراجم ٠

٢٦ ـ رجال ابن أبي داود الحلي :

تأليف تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي ، من معاصري العلامة الحلي المتوفى ٧٢٦هـ من مشاهير علماء عصره ٠ في جزئين ، رتب كل منهما على الحروف ، وخص الاول بالثقات والمهملين أوله : (الحمد لله الذي وفقني للتخلي عن الحركات الدنيوية ، والنظر في المهمات الاخروية) في ٢٠١ص ١٥س ٠ والثاني : خصه بالمجهولين والمجروحين ، وأوله بعد البسملة : (أما بعد حمد الله على أفضاله ، والصلاة والسلام على محمد وآله ٠ فاني لما أنهيت الجزء الاول من كتاب الرجال ، المختص بالموثقين والمهملين ، وجب أن أتمعه بالجزء الثاني المختص بالمجروحين والمجهولين ، اذ بمعرفتهم يتم غرض الناظر في الاحاديث ، ليتقي السقيم ويعمل بالسليم ، وهذا القصد وان كان منهيا عنه بقوله تعالى : (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) ٠ في ١١١ص ١٥س ، مختلف الخطوط ، تأريخ كتابته في ٢٢ جمادي الاولى ١٠٣٦هـ ١٩/٥ سم ، ١٢/٥ ، ٢سم رقمه ٦٤ تراجم ٠ ويوجد بمكتبة العلامة السيد حسن الخرسان ٠

٢٧ ـ رجال بحر العلوم :

وبضمنه الفوائد الرجالية : تأليف السيد مهدي بن مرتضى بن محمد الحسيني الطباطبائي الشهير ببحر العلوم المتوفى ١٢١٢هـ ٠ ابتدأ فيه بذكر مشاهير البيوت والأسر الرفيعة في العلم ، ثم بذكر الرجال على الطريقة الرجالية ٠ في ٢٨٢ص ٢١س ، ٢٠/٥سم ، ١٤/٥سم ، ٢/٣سم ، شارك في كتابته أربعة خطاطين ٠ مرتب على الحروف ٠ رقمه ٥٧ تراجم ٠

٢٨ ـ رجال البرقي :

تأليف ابي جعفر احمد بن محمد بن خالد بن عبدالرحمن بن محمد ابن علي الكوفي الشهير بالبرقي المتوفى ٢٧٤هـ ، بخط صاحب الحصون فرغ منه في النجف الاشرف صبيحة يوم الجمعة تاسع ذي الحجة ١٣٤٠هـ في ٤٠ص ٢١س ، ٢١سم ، ١٦/٥سم ، ويوجد برقم ١٣ ضمن مجموع بخطه أيضا فرغ منه عام ١٣٣٦هـ في ٣٣ص ٠ وهو مرتب على الطبقات بدأ فيه باسماء الصحابة ثم اصحاب الامام علي والائمة من بعده وكل طبقة مرتبة على الحروف ٠ ويوجد بمكتبة الآثار بخطي فرغت منه عام ١٣٥١هـ في ٩٠ص ١٦سم ، ١٠ ، ١سم ٠

٢٩ ـ رجال الحر العاملي :

تأليف الحافظ محمد بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بالحر العاملي المتوفى ١١٩٢هـ بخط عبدالله بن مساعد ، نقص من أوله صفحة واحدة . يقع في ١٨٦ص ١٨/٥سم ١٢/٥سم مجدول بالمداد الأحمر ،وبضمنه ١٥ص تضمنت أحاديث جمعها المؤلف نفسه .

٣٠ ـ رجال الطوسي :

للشيخ أبي جعفر محمد الطوسي ، رتبه على أصحاب النبي والائمة الاثني عشر ، وكل طبقة رتبها على الحروف وعـــدد الرجال الذين ذكرهم ٦٣٢٧ رجل بالضبط . بخط جيد ، رقمه ٢٨ تراجم .

٣١ ـ رجال الغضائري :

قسم الضعفاء : للشيخ أبي جعفر أحمد بن الحسين بن عبيدالله الشهير بالغضائري المتوفى ٤١١هـ بخط صاحب الحصون ، يوجد ضمن مجمـــوع برقم ٣٢ .

٣٢ ـ رجال اليزدي :

تأليف أبي الحسن علي بن الحسين اليزدي أوله : (الحمد لله الذي جعلنا من أهل الدراية ، وميز لنا الصحيح والسقيم من الرواية ، بمعرفة حال رواة أخبار الرسول والائمة ومتابعيهم من الوسائط) مجهول الناسخ ، كتب في ٢٤ شوال ١٢٤٤هـ في ٦٨ص ١٦سم ، ١١سم ، ١/٥سم ،رقمه ٧٤ تراجم .

٣٣ ـ رسالة في احوال السيد عبدالله شبر :

تأليف السيد محمد بن السيد معصوم ، بخط صاحب الحصون ، في ٣٦ص ، ٢١/٥سم ، ١٦سم برقم ٤٨ تراجم .

٣٤ ـ رموز الأقوال في علم الرجال :

تأليف سيف‌الدين علي بن محمد بن جعفر الاسترابادي ، فرغ مـــن تأليفه يوم الجمعة سادس شعبان ١٣٠٣هـ ويعرف برجال الاسترابادي ، ألفه لأمر السلطان ناصرالدين شاه ايران المتوفي في السنة نفسها . اشتملت على نوعين من الخط ، القسم الثاني بخط صاحب الحصون ، مرتب عـــلى حروف الهجاء ، غير أنه لم يذكر المشتركين في الأسماء بل يذكر واحدا ثم يعطف من يليه عليه لحاظا للايجـــاز ، في ٤٩٨ص ١٧و١٨س ، ٢٢سم ، ١١/٥سم ، ٣سم ، رقمه ٥٠ تراجم .

٣٥ ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء :

تأليف الميرزا عبدالله بن عيسى بن محمد صالح الجيزاني الأصفهاني الشهير بالأفندي المتوفى ١١٣٠هـ ذكر فيه تراجم العلماء من نصف القـــرن

الثالث الهجري الى عصره ، ابتدأ بتاليفه عام ١١٠٧هـ يقع في عشرة مجلدات، خمسة منها في علماء السنة ، ومثلها في علماء الشيعة ، وكانت هذه كلهـا موجودة بمكتبة اغا ميرزا الأصفهاني المتوفى ١٣١١هـ بأصفهان ، غير أنه فقد منها خمسة اجزاء في طريقه الى اصفهان ، والموجود منها خمسة ، ثلاثة منها في علماء الشيعة ، واثنان في علماء السنة ٠

أما التي تخص الشيعة فهي المجلد الثاني ويبدأ فيه بحرف الحاء الى آخر حرف الظاء ٠ والثالث : يبدأ بحرف العين وينتهي بآخر حرف اللام ، والخامس يبدأ بحرف النون وينتهي بآخر الياء ، فالكنى والألقاب والخاتمة المشتملة على ١٣ فائدة ٠

أما التي تخص السنة فهي : الأول ويبدأ بالهمزة الى نصف حـرف الجيم ، والخامس : الذي يبدأ بحرف النون الى آخر الكنى والالقاب ٠

يوجد منه بخط صاحب الحصون الجزء الثاني من القسم الأول المشتمل على حرف الحاء الى آخر الظاء في ٤٣٠ص ٣٢ ، وأوله ترجمة الحسن بـن موسى النوبختي صاحب كتاب (فرق الشيعة) فرغ من كتابته ضحى يوم الاربعاء عاشر صفر ١٣٤٠هـ ٢١/٥سم ، ٢٠سم ، ٣سم رقمه ١٢٧ تراجم ٠

ويوجد الجزء الرابع الذي يبدأ من حرف العين وينتهي بآخر الكنى والألقاب ، في ٤٩٨ص وأوله ترجمة الامير عادل الحسيني ، فرغ منـه صبيحة يوم الثلاثاء ٢٤ شعبان ١٣٣٩هـ في النجف الاشـرف ، ٣١س ، ٣١/٥سم ، ٢/٥سم ، بنفس الرقم ٠ ويوجد منه الجزء الاول من القسـم الاول ، والجزء الاول من القسم الثاني بمكتبة الشيخ اغا بزرك صـاحب (الذريعة) في النجف ، نأتي على تعريفهما عند بحثنا عن المكتبة ٠

٣٦ ـ ضيافة الاخوان :

تأليف رضي‌الدين محمد القزويني ٠ كفل تراجم رواة ورجال قزوين٠ أوله : (الحمد لله الذي فضلنا على سائر الأمم ، باتباع شريعة محمد سيـد المرسلين وخاتم النبيين) خط نسخ تأريخه صباح الجمعة عاشر ذي القعده ١٢٩٢هـ بقزوين في ١٩٠ص ١٩س ، ٢٢سم ، ١٧/٥سم ، ١/٥سم ، رقمه ٢٢٧ تراجم ٠

٣٧ ـ الفوائد الرجالية :

تأليف الشيخ حسن بن زين‌الدين العاملي صاحب كتاب (المعالم) في الاصول المتوفي ١٠١١هـ في ٤٢ص رقمه ٤٢ مجاميع ٠ وهو غير كتـاب (الفوائد الرجالية) للسيد مهدي بحر العلوم ٠

٣٨ ـ فهرست علماء البحرين :

تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي ٠ ذكر فيه تراجم موجزة لأعلام البحرين ، بخط صاحب الحصون ، في ١١ص رقم ١٠ مجاميع ٠

٣٩ ـ **كلمات الشعراء :**

باللغة الفارسية : تأليف الأديب مير محمد أفضل المعروف بسرخوش، كفل تراجم شعراء عصره ، رتبه على الحروف ، بخط صاحب الحصون فرغ منه يوم الخميس ١١ جمادي الاولى ١٣٣٤هـ ، وفرغ من تاليفه في ٢٤ ربيع ١١٣٥هـ في ١٥٧ص ، ٢١/٥سم ، ١٦ برقم ٤٨ تراجم .

٤٠ ـ **لب الألباب في أصحاب الألقاب :**

تأليف محمد بن جعفر الاسترابادي ، بخط صاحب الحصون ، فرغ منه يوم السبت ثاني شهر رجب ١٣٣٩هـ في ٦٢ص ٢١س ، ٢١سم ، ١٦سم وهو ضمن مجموع (رجال ابن ابي جامع) برقم ٢٧ تراجم .

٤١ ـ **لمح البصر في تراجم اعيان القرن الحادي عشر :**

مختصر لكتاب أمين الدين بن محب الدين المحبي الشامي المتوفى ١١١١هـ المعروف بالدباغ ، والمختصر هو العلامة محمد المنهالي ، شرع باختصاره في ١٥ شهر رمضان وانتهى منه في ١٥ شوال من عام ١١٣١هـ وعدد الرجال الذين ذكروا فيه ٨٤٩ رجلا ، رتبه على الحروف في ٢٥٦ص ٢٦س ، ٢٢سم ، ١٦سم ٣سم برقم ٤٣ تراجم. ويوجد الأصل في المتحف البريطاني برقم ٧٣٠٥

٤٢ ـ **المثالب والمناقب :**

للقاضي ابي حنيفة نعمان بن محمد بن منصور بن احمد المتوفى ٣٦٣هـ بخط صاحب الحصون نقص من آخره ، في ١٤٤ص ٢٠س ، ٢١سم ، ١٦سم ١/٥سم برقم ٥٣ .

٤٣ ـ **مجمع الاجازات ، ومنبع الافادات :**

للشيخ محمد باقر بن محمد تقي الشهير بآغا نجفي ، جمع فيه اجازات العلماء والشهادات التي تنطق بفضلهم ، مع فهرست عام لاسماء المجيزين والمجازون في ٢٣ص بأول الكتاب ، في مجلدين بخط صاحب الحصون فرغ منهما عصر يوم الاحد ٢٨ ربيع الثاني ١٣٢٨هـ الاول في ٤١٨ص ٢٢س ٢١/٥سم ١٥/٣سم ٣/٧سم . والثاني في ٢٣٧ص ٢٣س ٢١/٢سم ، ١٥/٣سم ٢/١سم برقم ١٧ و ١٨ متنوعة .

٤٤ ـ **مختصر الحدائق الوردية :**

في تراجم ائمة الزيدية : للمؤرخ السيد حسون البراقي بخط المؤلف فرغ منه يوم الاحد ٢٣ جمادي الاولى ١٣١٩هـ في ٩٢ص ١٧س ، يوجد ضمن كتاب (المنتخب) برقم ٢٢٠ تاريخ .

٤٥ ـ **مختصر مقاتل الطالبين :**

للمؤرخ البراقي ، والأصل لأبي الفرج الاصبهاني صاحب كتاب

الأغاني ، بخط البراقي ، في ٤٦ص ، يوجد برقم ٢٢٠ ضمن مجموع ٠

٤٦ ـ مشتركات الرجال :

للشيخ فخرالدين الطريحي ، تاريخ كتابته في جمادي الآخرة ١٣٠١هـ أوله (أما بعد بحمدالله الهادي الى الرشاد ، والصلاة والسلام على محمد وآله الأمجاد) رتب الباب الثاني عشر منه على الحروف ، في ٢٣٦ص ١٦س ١٥سم ، ١١سم ، ٢/٥سم ، رقمه ٧٥ تراجم ٠

٤٧ ـ مطلع البدور ومجمع البحور :

للمؤرخ احمد بن صالح بن علي بن محمد بن أبي الرجال اليماني العمري المتوفى ١٠٩٢هـ بحث فيه تراجم السادة والشيعة من السادة والشيعة من الزيدية دون ائمتهم . ابتدأ بتاليفه عام ١٠٨١هـ وانتهى منه ١٠٨٥هـ يقع في اربعة اجزاء ضخام فقد الأول والثاني ، وبقي الثالث والرابع بخط صاحب الحصون طلبه من اليمن وكتبه ٠ يبدأ المجلد الثالث من حرف الطاء وينتهي بحرف العين وأوله : ترجمة طاهر بن يحي بن الحسن بن جعفر ابن عبدالله بن علي بن الحسين السبط ، فرغ من نسخة يوم الاحد غرة ذي القعدة عام ١٣٣٨هـ في النجف في ٢٢٨ص ٣١س ٠

ويبدأ الرابع من أول حرف الغين المعجمه وينتهي الى آخر حرف الياء ، وأوله ترجمة غالب بن عثمان الهمداني المشعاري الناعطي الشاعر ٠ فرغ من نسخة ضحى يوم الاثنين ١٣ محرم عام ١٣٣٩هـ في ٢٦٨ص ٣١س والجزءآن في مجلد واحد ٣٣سم ٠ ٢١سم ، ٣سم وقد وضع له فهرستا في ١٣ص ، رقمه ١١٩ تراجم ٠

٤٨ ـ معجم الرجال :

باللغة الفارسية : اشتمل على تراجم مختلف الاعلام من سائر المذاهب الاسلامية وغيرها ، مجهول المؤلف لأنه نقص من أوله اربعة فصول ، في ١٢٠ص ١٩س ١٩/٢سم ١٢/٢سم ٢/٥سم ، برقم ٣٦ تأريخ ٠

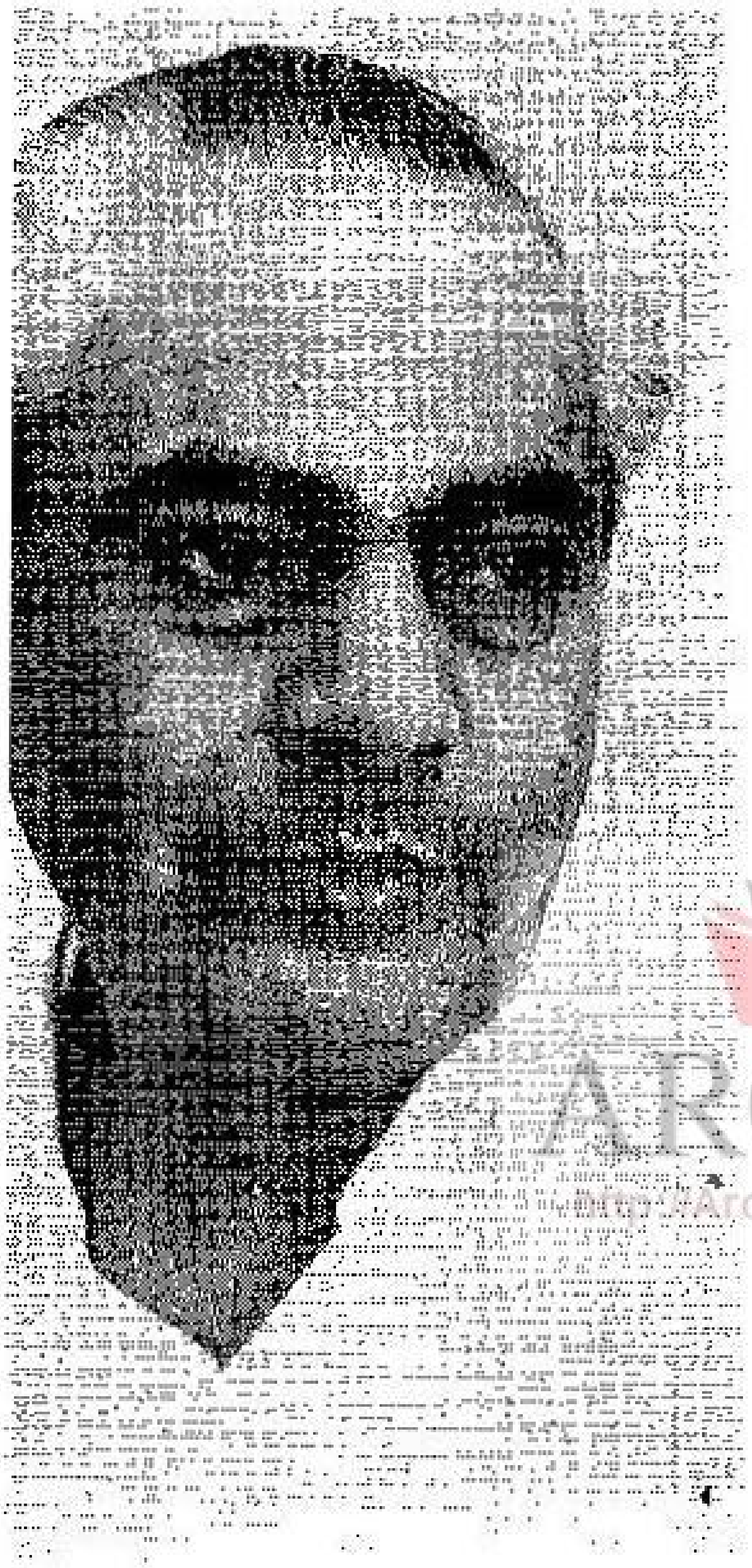
٤٩ ـ معراج الكمال الى معرفة احوال الرجال :

مرتب على الحروف ، للشيخ سليمان بن عبدالله بن علي الماحوزي البحراني ، بخط الشيخ ميرزا حسين النوري صاحب (المستدرك) المتوفى ١٣٢٣هـ في ١٢٨ص ١٩س ، ٢١سم ، ١٦سم ، ١سم ، برقم ٣٢ تراجم ٠

٥٠ ـ منتخب تاريخ قم ومن سكن فيها من العلويين :

للمؤرخ السيد حسون البراقي المتوفى ١٣٣٢هـ بخط المؤلف ، فرغ منه في ثامن ربيع الثاني ١٣١٧هـ في ٦٦ص ١٩س ، ٢١/٧سم ، ١٥سم ، برقم ٢٢٠ تأريخ ٠

ـ يتبع ـ



لقاء مع الفنان

حافظ الدروبي

كان لقاء العدد الثاني من ـ الأقلام ـ مع الفنان المعروف الاستاذ حافظ الدروبي • وقد تحدث الاستاذ الدروبي عبر اجاباته على اسئلة الاقلام عن العديد من موضوعات الساعة الفنية كما استرجع ذكريات فنية طريفة عاش تجاربها في بدء حياته الفنية •

قال الفنان الدروبي مجيبا على سؤال (الأقلام) عن مكانة العراق ـ بين الدول العربية ـ في فن الرسم ••

ـ ما من شك في أن أي فن ينشأ في أي بلد كان لا بد له من ان يستمد مقومات وجوده من جذور تاريخية قديمة يستطيع ـ على أساسها ـ أن يشيد كيانه وأن يؤطر وجوده ٠

والمتتبع يلاحظ ان فن الرسم عاش في عصور عراقنا القديمة حياة الخصب والنماء لذلك اينع وخلف اترائا له مكانته وأهميته ٠

الا انه لم يعش تجربة مستقلة واضحة المعالم بعد ذلك ٠ ونحن فيما عدا الحلقات السبع الماضيات من السنين لم نجد فنا واضح الحدود بين السمات ، وما خلفه لنا تراث هذه الفترة فنا رسم على صفحات الكتب وحسب واعمالا أخرى ظلت محصورة على نطاق شخصي ٠ وعندي ان لذلك أسبابه التي ظل لها أثرها الكبير حتى فترة قريبة ماضية ٠

اذكر فيما أذكره عن أيام الصبا انني كنت أحاول الرسم ـ هاويا ـ وكنت بطبيعة الحال أحاول رسم الشخوص التي أعايشها ٠ لكن أهلي كانوا يحذرونني من أن الرسام الذي يتجرأ ويرسم كائنا انسانيا فأن عليه أن يأتي له (بروح) تنفث فيه الحياة !!

ولا استبعد وجود ظروف واعتبارات اجتماعية مشابهة جعلت كبار الفنانين ـ يومذاك ـ يحتفظون بانتاجهم بنطاق محدود ٠

فالعرف الاجتماعي ظل ـ وبرغم التطور الذي تمثل في أكثر من جانب واحد من جوانب الحياة ـ ينظر للفن ـ وحتى فترة قريبة ماضية ـ نظرة ضيقة المدى محدودة الافق ٠

أتصدقون لو قلت لكم ان عمي ـ وهو الرجل الذي كفل تربيتي بعد أن فقدت أبي ولما أزل طفلا صغيرا جاءني بعد أن عدت من دراستي في انكلترا والاصفرار يصبغ وجهه والعرق يتفصد من صدغه والدموع تكاد تطفر من مآقيه وقال :

احمد الله ان عدت يا بني واحمده كذلك اذ لم يسألني سائل بعد عن موضوع دراسة ابن أخي ٠٠ فلو حدث ذلك فبماذا أجيب ؟

ولما قلت له إن الامر جد طبيعي وان دراستي مشروعة قال انت تفهم شيئا ولكن الناس يفهمون غير ماتفهم !

وقد يكون عمي ـ الرجل الشيخ ـ معذور في نظرته هذه اذا ما قارناها بموقف صديق يعد نفسه في عداد المثقفين التقيت به في مصيف عالية بلبنان قبل أعوام وكنت أحمل معي أدوات الرسم في محاولة لاستغلال فرصة الاصطياف لرسم مناظر طريفة ٠٠ قال لي الصديق : أما تستحي يا رجل ! وبماذا تفخر أنت ، دع أعمال الصبية للصبيان واصطف كما يصطاف عباد الله واترك هذه المظاهر المزجاة التي لا تليق بك ولا ترفع مكانتك ٠

واظن ـ بل أكاد أثق ـ أن أسبابا شبيهة بهذه واجهها الفنان العراقي هي التي أضعفت قوة الزخم الداخلي لديه وهي التي أضعفت انفعاله ٠

ومن منا ـ وعلى هذا الضوء ـ يتبين لنا ان ما حققه الفنان العراقي في فن الرسم كان دونه خرط القتاد ·

بينما نحن نجد ـ مثلا ـ أن الفنان في أقطار عربية أخرى كالجمهورية العربية المتحدة لقي تشجيعا وتثمينا وتقديرا كبيرا الامر الذي مهد أمامه دروب الابداع واوجد امكانات الانطلاق والابتكار ·

وما من شيء اهم ولا أبقى أثرا في نفس الفنان كالتشجيع · زد على ذلك أن ظروف الفن هناك ـ في الجمهورية العربية المتحدة ـ لم تعتورها كبوات كالتي واجهها الفن في العراق وهذا مبرر وأوضح من مبررات الابداع الذي حققه الفنان هناك ·

والفن العراقي اذ يخطو اليوم خطواته الراسخة فهو انما ينفض عن كاهله أعباءا وأوزارا ثقيلة ان تخلص من بعضها فهو ما يزال يعاني من البعض الاخر الشيء الكثير ·

ـ وتحدث الاستاذ حافظ الدروبي عن حركة التجديد في فن الرسم فقال :

يخطيء من يظن أن فن الرسم (الكلاسيكي) فنا يحاكي المرئيات بشكل فوتوغرافي · والواقع أن ذلكم الفن الرئيس أحاط الرسوم بأجواء عبقة من القدسية الروحانية ·

وما من شك أن من يعتقد انه واجد في اشكال الاحياء تلك القسمات والسمات التي صورها الفن الكلاسيكي القديم فهو على خطأ بين لان ذلكم الفن الراسخ الخطي القوي الاداء الفخم التعبير يخلق لمعطياته اجوائها العاطفية السمحاء ذات الدلالات المتسامية ·

والفن الحديث ـ الاصيل ـ هو ذلكم الفن الذي اعتمد على أسس سلفه القديم ، وهو ان تطور فمن مجاراة لموكب التطور العلمي والتكنيكي الكبير الذي حقق للعالم المعجزات في عالم الاختراعات والاكتشافات ·

ولئن عاش الفن القديم أجواء العواطف السمحة المعطاء واحاط رسومه بالروحانيات المتسامية فقد اتجه الفن الحديث ـ من منطلق مواكبة التطورات العلمية الجديدة كما أشرت ـ الى دراسة اللون دراسة علمية ·

وعلى سبيل الايضاح المبسط أقول ان نظرة الفنان الى المرئيات الطبيعية تختلف اختلافا أساسيا عن نظرة غيره حتى ولو كان فنانا في مجال آخر من مجالي الفنون · فهو ينظرها نظرة جمالية صرفة تتذوق الجمال وتحسه بينما ينظرها الفنان نظرة أخرى · نظرة تحلل الالوان وتدرس الروابط بينها وتثمن الابداع وترفض النشازات ·

فاللون الاخضر ـ مثلا ـ الذي نشاهده في الطبيعة فرحا مبهجا يسر النفوس يتغير حسب المحيط الذي يوجد فيه الى عدة ألوان هي غير اللون الاخضر الاصيل · فاذا كان المحيط هو زرقة السماء فانه يتحول الى اخضر فيه مسحة اللون البرتقالي ويتحول الى زرقة وصفرة وبنفسجية حسب

محيطه أيضا ووفق نظرية مكملات الالوان للرسام الفرنسي الكبير (ديلاكروا) • وبقدر ما يتعلق الامر بالالوان ودلالاتها فانه ان كان — فيزياويا — لكل فعل رد فعل ، فعلى مستوى فن الرسم ، لكل لون رد كرد الفعل أيضا • ولقد ذهب ديلاكروا الى ان الالوان تكمل بعضها فاللون الازرق — مثلا — يكمله البرتقالي والاحمر يكمله الاخضر والاصفر يكمله البنفسجي •

واستطرد الفنان حافظ الدروبي يتحدث عن جوانب التجديد في فن الرسم الحديث فتناول فن (بيكاسو) و (السريالية) وما اليهما وقال :

بعد التطور الفني الذي خرج على المفاهيم الفنية الكلاسيكية فيما سمي بالمدرسة الانطباعية أو المذهب الانطباعي الذي من خصائصه تحليل الالوان في الطبيعة والاعتماد على اللون والشكل فقط (Form) أثبت الفنان الفرنسي الكبير (سيزان) ان هناك غير اللون في الفن ، له أهميته وقيمته • وهو يعني بذلك (الخط) الذي يعطي للشكل الفني كتلته وحجمه •

وبذلك وجدت مدرسة جديدة أقوى من مدرسة التحليل الضوئي للالوان وأبعد مدى تلك هي مدرسة (ما بعد الانطباعية) •

ومن مفهوم هذه المدرسة بالذات للفن وجد فن (بيكاسو) وجماعته • أولئك الذين أكدوا على أهمية الخط في فن الرسم وجنحوا الى التكعيبية ولم يلتفتوا كثيرا الى الطبيعة والوجود — كما التفت سيزان — انما أكدوا على السطوح بالاضافة الى تأكيدهم على الخطوط •

فلقد صيروا السطوح اشكالا ذات دلالات وابعاد •• ومن ثم اثرت المدرسة الزنجية في فن مدرسة (بيكاسو) التكعيبية لانها وجدت في سطوحها المبسطة وسيلة التعبير التي تنشدها •

وواضح أن تحديد السطوح الطبيعية يهدف الى دلالات مقصودة ، وهذا كله يعتمد على الاشكال الطبيعية • ولم يكن — يوما — مجرد عبث ، كما يحلو للبعض أن يدعي •

اما بالنسبة للفن السريالي فالحقيقة ان السريالية وجدت — في البدء — كمذهب من مذاهب الادب ومن ثم انتقلت الى فن الرسم • وهي فن قائم بذاته ليس هو من الانطباعية في شيء ولا هو من فنون ما بعد الانطباعية أو التكعيبية ، وان اعتمدت في أساسها على هذه المذاهب • وهي — أي السريالية — غير التجريد أيضا • انها ترسم اشكالا وحجوما واضحة ولكنها ترمز الى شيء ما عبر عملها الفني • كأن يرسم الفنان السريالي شجرة كاملة ويثبت على غصنها ساعة ذاب معدنها وسال على الشجرة قاصدا بذلك (ذوبان الزمن) — كما سمي اللوحة الفنان مبدعها — وذلك لا شك رمز هو في كل أحواله فوق الواقع والواقعية •

وتحدث الاستاذ الفنان حافظ الدروبي عن حـــركة فن النحت في العراق فقال :

الحقيقة ان فن النحت القديم في عراقنا خلف تراثا يكون مدرســة نحتية متميزة في العالم ، الا أن فن النحت الحديث ـ عندنا ـ بدأه ، بدون شك ، الفنان جواد سليم ٠

ولقد بدأ جواد أكاديميا في نحته ومن ثم .. وبعد أن راح يرســم الحديث متأثرا بالمدرسة الفرنسية نقل هذا التطور من ريشته الى ازميله٠

وواضح أن جواد استند في فنه النحتي على المدرسة العراقية القديمة الامر الذى أوجد لمنحوتاته سمة مميزة خاصة مزج فيها القديم والجديد وما بينهما ٠ متأثرا في كل ذلك بالمدرسة الفرنسية الحديثة ٠

وأذكر ، ما دام الحديث عن فن النحت ، انه لما زار العراق المهندس المعماري الامريكي (فرانك لويد رايت) عام ١٩٥٦ ـ١٩٥٧ وشاهد معرض جمعية الفنانين العراقيين في النادي الرياضي بالاعظميــة شاهد قطعة من النحت البارز لجواد سليم وضعها شعارا لاحدى الوزارات يومـــذاك ٠ فقــال :

ـ ما هذا ، ؟ انه بيكاسو بالذات !

قال جواد :

ـ وثم ماذا ؟

وهذا يثبت ان جواد قلد بيكاسو .. كما اعترف هو نفسه ـ وان ابقى لنفسه سمته التى ميزته ٠٠٠ رحمه الله ٠

ومن تلامذة جواد المبرزين خالد الرحال ومحمد غني حكمت ٠ وعندي انهما يمثلان امتدادا لفن جواد سليم ومدرسته التى يعمر نفوسنا الامل فى أنها ستحتل مكانتها ـ يوما ـ في دنيا النحت العالمي ٠

وعلى سؤال حول رسالة الفنان المعاصر قال الاستاذ الدروبي :

الفنان ابن محيطه ونسيج واقعه ٠ وهو ـ ايا كانت محاولاته ـ لا يستطيع الا أن ينقل ما يحسه ويؤثر فيه ويتأثر به ٠ ولست اقر وجود الفن الذي يدعي انه انما يعبر تعبيرا شخصيا محضا ٠ فكل ما يرســم ، وحتى هذا الشخصى ، هو ، فى الحقيقة صدى الواقع المعاش ٠

ومدارس الفن ـ جميعهــا .. تفسر الواقع ولكن بلغات متباينة ٠وحتى المذهب السريالي الذي هو فوق الواقعية متأثر بالواقع ولذلك فهو يفسره حسب رغبته ٠

فالفنان ـ شاء أم أبى ، أراد أم لم يرد ـ يقدم نتاجه من معين مجتمعه وايحاءاته ٠ وهذا الواقع هو الذى يجعل اى عمل فنى ـ وايا كان لونه ـ يخدم من حيث النتائج قضية المجتمع ٠

والخلاصة ان كل ما يرسمه الفنان يخدم فكرة ـاية فكرةـوالمسألة لا تتجزأ فالمجتمع متكامل الاجزاء ٠

وكان سؤال (الاقلام) الاخير للفنان الدروبي عن رأيه - كأستاذ بارز من أساتذة فن الرسم في العراق - في نتاج الفنانين الشباب والمكانة التي يتوقعها لفن الرسم العراقي في المستقبل على المستويين العربي والعالمي .. فأجاب يقول :

الاتجاه الجديد لدى الفنانين الشباب اتجاه يبعث في النفس الامل في مستقبل وضاء للفن العراقي .

ولكنني اذ أأمل هذا وارتجيه انصح وأكرر النصح ان يتجنب الفنان الجديد التقليد . ذلك ان محاكاة وتقليد ما يعجبه من مدارس الفن الاوربية أو من لوحات اساتذته يفقده شخصيته الخاصة .

وخلق الشخصية الفنية المستقلة ضرورة لازمة للفنان الاصيل تمكنه من الابداع والخلق والابتكار الذي ينهض بمستوى فنه صعدا الى العلا .

والحركة الفنية النشطة التي يشهدها العراق اليوم ان سارت بشكل مدروس ووجدت الرعاية والتشجيع الكافيين فلا شك عندي انها ستحتل مكانتها المرموقة لا عربيا فقط بل وعالميا كذلك .

... وهكذا ودعت (الاقلام) الفنان المجدد الاستاذ حافظ الدروبي استاذ الرسم في كليتي العلوم والاداب واحد الفنانين البارزين في العراق شاكرة له تفضله بهذا اللقاء الفكري والفني الممتع .

- ولد الفنان حافظ الدروبي في بغداد عام ١٩١٤
- سافر لدراسة الفن في ايطاليا بعد اكماله الثانوية وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية عاد الى العراق ثم اكمل دراسته الفنية - بعد الحرب - في انكلترا .
- بدأ أكاديميا في رسومه ثم انتقل الى المدرسة الانطباعية وبقي كذلك حتى تطور فنه الى المدرسة الفنية الحديثة .
- ينتهج في لوحاته الحديثة اصول مدارس التكعيبية والتجريدية ، محاولا ايجاد اسس مدرسة فنية جديدة متميزة خاصة به .
- شارك في جميع معارض أصدقاء الفن وجمعية الفنانين العراقيين داخل العراق وخارجه .
- ألف مع عدد من الفنانين العراقيين من خريجي معهد الفنون الجميلة وكليتي الاداب والعلوم والمعاهد الخارجية جماعة الانطباعيين التي أقامت عدة معارض فنية .
- أستاذ فن الرسم حاليا في كلية الاداب وكلية العلوم بجامعة بغداد .

الوصية في القرآن الكريم

الشيخ جلال الحنفي

ـ بحث بين التفسير واللغة ـ

وردت هذه اللفظة عدة مرات في القرآن الكريم على صيغ شتى من الاشتقاق والتصريف ولكن المعنى العام لهذه اللفظة استقر على انها تعدل في قوتها أية لفظة من الفاظ اللغة الدالة على الفرض والبت والأمر والالزام فخرجت بهذا عن كونها لفظة تعني اقتراح الشيء والدعاية له على وجه الاختيار والاستحباب ،ومن ملاحظة النصوص القرآنية التالية تتجلى لنا طبيعة هذه اللفظة في مجالها القرآني ٠

١ ـ (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله)

هذه الآية من سورة النساء وهي الاية الثلاثون بعد المائة في السورة ، وواضح كل الوضوح أن تقوى الله ركن أساسي في كل خطة دينية ، ولم تتنزل الاديان الا لاقرار هذا المعنى في النفوس فاذا كانت التقوى من الشأن والاهمية على مثل هذا المدى فلا يتصور ان يدعى الناس اليها بلفظ من الفاظ الاستحباب التي لا الزام فيها ، ومن هنا نعلم ان لفظة الوصية هذه نازلة في الكلام منزلة الحكم القاطع والامر الذي لا تقبل في معصيته معذرة

ويؤكد هذا ان التقوى الموصى بها لم ترد بلفظها المجرد بحيث قيل (ولقد وصينا ٠٠ بتقوى الله) بل قيل (ولقد وصينا ٠٠ ان اتقوا الله) فوردت اللفظة بصيغة الامر دلالة على الامرية وفي هذا تفسير واضح لمعنى الوصية هنا ٠

٢ ـ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) الآية ١٥١ سورة الانعام ٠

في هذه الاية اوامر صريحة واحكام قاطعة الدلالة على ما حرم الله وعلى ما فرض من التعاليم فقد نهى عن الشرك وعن قتل القوم اولادهم من املاق ونهى عن اقتراب الفواحش وعن قتل النفس واطلق على هذه النواحي لفظة الوصية (ذلكم وصاكم به) مما يفهم منه

ان الوصية لم ترد هنا بمعناها القاموسي الشائع انما وردت ولها مصطلحها الخاص الذى تعدل به ابة لفظة اخرى من الفاظ الالزام والايجاب ٠

٣ ـ (ولا تقربو مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) الانعام ١٥٢ ٠

كان استعمال لفظة الوصية هنا بمعنى الالزام اذ دعت الآية الى الوفاء بالكيل والميزان وامرت بالعدل في القول والشهادة والوفاء بعهد الله ، ونهت عن اكل اموال اليتامى وهذه معان لا يدعى اليها عادة بألفاظ الاستحباب والترغيب انما يدعى اليها بألفاظ تقتضي حمل الناس على اعتناقها اعتناقا ، فبات واضحا ان لفظة الوصية هنا لاتعني الا هذا ٠

٤ ـ (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ٠) الانعام ١٥٣

وفي هذا النص دعوة الى السبيل الحق المستقيم ونهي عن النزوع الى سبل الخلاف والشقاق التي تؤدي بالامة الى التشعب والشتات ٠ولكن الآية ختمت بلفظ الوصية التي جاءت في وصف جماع الاوامر والتعاليم مما يفهم منه ان الوصية هذه ليست وصية اقتراح وتحبيذ بل انها وصية فرض وايجاب ،فاننا لا نرى بين هذه التعاليم الرشيدة التي احتجنتها آيات الانعام الثلاث ما يمكن ان يتساهل احد في ادائه فانها احكام لا يقال فيها الا انها اصول الاسلام وشعائره الاساسية فاستعمال الوصية في هذا الباب يثبت لها في الاصطلاح القرآني حقيقة غير حقيقتها اللغوية الموضوعة وضعا ٠

٥ ـ (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ١٣٢ من سورة البقرة٠

كانت وصية ابراهيم ويعقوب لابنائهم هي دعوتهم الى الاستمساك بوحدانية الله وان لا يموتوا الا وهم مسلمون ومثل هذا المعنى لا يدعى اليه الا بلفظ يستوعب معنى الحتم والتأكيد ولا سيما وان موضوع التوحيد رأس الموضوعات الاساسية في القرآن ٠

٦ ـ (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ٠) الآية ١٣ من سورة الشورى ٠

وورود لفظة الوصية في هذه الآية واضح الدلالة على ان معناها هنا هو معنى ايجابي حاسم وانها لا تعني الرجاء ولا الاستحباب فلقد كان ما وصى الله به انبياءه ورسله من عهد نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسول الله هو الدعوة الى اقامة الدين والنهي عن التفرق

فيه وهذه دعوة من دعوات كل دين وأصل من اصول كل شريعـة ، فاستعمال الوصية فيها لا يخرج بها من منزلة الفرض الى منزلة الخيرة، وانا لنرى ان لفظة « وصى » في الآية مفسرة للفظة « شرع »(١) ، وشرع الحكم غير استحبابه ورد أمره الى اختيار الناس ٠

٧ ـ (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ٠) الآية ٣١ من سورة مريم ٠

ما من شك في ان موضـوع الصلاة والزكاة في شرائع السماء يعتبر من ركائز هذه الشرائـع واصولها التي لا مجال للتهاون فيها وقد جاء النص في فرضية الصلاة والزكاة بلفظ الوصية مما يستدل به على ان لفظة الوصية في القرآن الكريم دخلت في عداد ألفاظ الامر والايجاب ٠

٨ ـ (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) الآية ١٤٤ من سورة الانعام ٠

كانت للقوم في الانعام احكـام شتى من تحليـل وتحريـم أشـارت اليهـا الآيـات السابقة من السورة ، وفي النـص المنقول ورود للفظ الوصية في معنى الامر فهي تعني (ام كنتم شهداء اذ امركم الله بهذا) على وجه التهكم لان ما كان القوم يعتقدونه من عقيدة في شأن انعامهم لم يكن ضربا مـن المستحبات بل كان من المعتقدات الملزمة لهم ٠ ولفظة الوصية هنـا واضحة الدلالة على هذا ٠

٩ ـ (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملـوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

ظاهر لفظة التواصي في هـذه السورة يعني التناصح ولكنـه التناصح في امهات الامـور لا في نوافلها فالتواصي في الحق يخرج بلفظة الوصية من مستوى الندب الى مستوى الايجاب والفرض ٠ وبذلك يكون معنى تواصوا بالحق تآمروا به اي أمر به بعضهم بعضا وتحاثوا عليه ٠

١٠ ـ (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كـن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصـف ولأبويه لكل واحد منهم السـدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمـه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها او ديـن ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهـم أقرب لكم نفعا فريضة من اللـه ان الله كان عليما حكيما ٠) الآية ١١ من سورة النساء ٠

وردت الوصية في هـذا النص بمعنييها الايجابي والاقتراحي ، وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها) يعني الوصية بمعناها الشائع، وليست هي في هذا من أصـل موضوعنا الذي نقرر مسألتـه ٠٠ واما قوله تعالى « فريضة من الله» فقد جاء هذا تعيينا لمعنى الوصيـة على وجه التأبيد ويتأيد هذا ايضا

بما وصفت به هذه الاحكام من كونها حدود الله •

ويندرج في حكم الوصية هذه ، النص الذي تناول حكم الازواج وميراث الكلالة •

واتبعت هاتان الآيتان بقوله تعالى في آيتين اخريين (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم •• ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) •

ان الوصايا التي تعني ترشيح الشيء والدعوة اليه على وجه الاختيار والاستحباب ، لا يكون التهاون فيها موجبا للخلود في النار والعذاب المهين ، ولا يحكم على شيء من ذلك أصلا بحكم المعصية ، ولا تسمى المستحبات حدود الله ، غير ان الوصايا هذه انما هي ذات الفرائض ، ولا عبرة بظاهر لفظها القاموسي بعد أن عينت القرائن القرآنية حقيقة معانيها ومقاصدها تعيينا بات بعد ذلك من مصطلحات القرآن التي لا تحتمل الجدل والخلاف •

١١ ـ (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) الآية ٨ من سورة العنكبوت •

ان محاسنة الوالدين من الاسس الرئيسية في تعاليم الدين واطلاق لفظة الوصية على هذا المعنى في النص الكريم لا يعني ان محاسنة الوالدين من الامور التي يصح فيها التزام الشيء وتركه ، بل ان الوصية هنا ظاهرة الدلالة على انها في مستوى الامر والقطع •

١٢ ـ (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم) الآية ٢٤٠ من سورة البقرة •

يقضي هذا النص بالزام ورثة المتوفى بالانفاق على زوجته لمدة عام كامل مع مكثها في دار الزوجية (متاعا الى الحول غير اخراج) ولكن اذا شاءت الزوجة الاستغناء عن هذه النفقة فخرجت من دار الزوجية بعد وفاة زوجها بمحض رغبتها دون ان تضايق فلا شيء من الاثم والحرج على الورثة بسبب ذلك •• وواضح ان لفظة الوصية هنا تساوق لفظة الفريضة ، لان النفقات لا تعين الا بالالفاظ الملزمة من حيث انها حقوق ثابتة وليست تبرعات مختارة • فصح بذلك ان الوصية في هذا النص تقابل الفريضة لفظا ومعنى •

والقاعدة في هذا ان ما يرد في القرآن من لفظ الوصية منسوبا الى الله تعالى أو آتيا على لسان رسله يعني الفرض حتما(*)••

---

(١) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا •

(*) ورد استعمال الوصية في الشعر الجاهلي بمثل هذا المعنى ، قال الاعشى يذكر شريعة الاسلام ودعوة الرسول :

أجدك لم تسمع وصاة محمد   نبي الاله حيث وصى واشهدا

ألفاظ البنات في اللغة والأدب والمصادر الشعبية

عبد الحميد العلوجي

لقد أضاف العرب ونسبوا الى البنات والابنة والبنت والبنية ما لـو احتواه كتاب لكان من النفـائس • وقد وجدت بين الادباء واللغويين القدامى من بذل شيئا من جهد في تدوين ما وقعوا عليه من مضاف ومنسوب •• غير ان هذه المحاولة ــ على سعة افقها ــ كانت محدودة ، عاكفة على الاشهر الاذيع دون الراقد في بطون المعجمات • ومن هذا القبيل ما جاء في مرصع ابن الاثير ومزهر السيوطي وغيرهما •• او ما أشار اليه الثعالبي في ثمار القلوب • وهذا ما ساقني الى أن اعقد العزم على التشبث بما فات هؤلاء ، والالماع الى مركز البنات في تراثنا الشعبي •

لقد ألحق العرب ابنا الهاء ، فقالوا : ابنة • وجعلوا الهمزة فيهـا وصلية عندما قالوا : هذه ابنة فلان • وذهب الشعراء والناس ، في جاهلية حياتهم ، بالتأنيث الى القبيلة ، فقالوا : تميم ابنة مر ، وتغلب ابنة وائل •• كما في قول الاخنس بن شهاب التغلبي :

فوارسـهـا من تغلب ابنـة وائـل
حمـاة كمـاة ليس فيهـا اشائب

وكان بعض العرب اذا أراد ان يخاطب زوجته ناداها باضافة (ابنـة) الى اسم أبيها أو لقبه أو شهرته • ومن هؤلاء كان عبدالله بن همام السلولي في قولـه :

أقلي علي اللـوم يا ابنـة مالـك
وذمي زمانـا سـاد فيـه الفلافس

(وهو الفلافس النهشلي الذي كان على شرطة الكوفة) •

وللابنة مركبات ومنسوبات أشهرها :

- ابنة الارض : وهى السر يكون فى عصمة عن الذيوع • (راجع ايضا : بنت الارض وبنات الارض) •
- ابنة اقعدي وقومي : يقال ضربه ضربة اقعدي وقومي •• بمعنى : ضرب أمة لقعودها وقيامها في خدمة أهلها ومواليها •
- ابنة الجبل : هى القوس ، أو الصل ، أو الداهية ، أو القطعة من الجبل ضربت مثلا فى الثقل ، أو الحية الصماء التى لا يقرب أحد جبلها خوفا منها ، أو الصدى يجيب المتكلم بين الجبال • وضرب العرب بها الامثال ، فقالوا : مثل ابنة الجبل مهما يقل تقل •• للامعة يتبع كل انسان على ما يقول • وقالوا أيضا : هو ابنة الجبل ••• للداهية ، أو للذى لا يثبت على رأى ، فهو مع كل صوت كالصدى يجيب كل ذي صوت بمثل كلامه • وقالوا : صمى ابنة الجبل (أو صمى ابنة الجبل مهما يقل تقل ، أو صما صمام ابنة الجبل) •• أى : لا تجيبي – اينها الحية – الراقى ، ودومى على حالك •• يضرب للفريقين اذا أبيا الصلح ، ولجا فى الخلاف •• كما قال الكميت بن زيد :

وايــــاكــــم ايــــاكــــم وملمــــة يقول لها الكانون صمى ابنة الجبل

(راجع ايضا : بنت الجبل) •

- ابنة الحارث النجارية : حينما أمر رسول الله (ص) أن يستنزل المسلمون ويحبسوا بني قريظة •• استنزلوهم وحبسوهم فى دار هذه المرأة حيث ضربوا أعناقهم •
- ابنة الخس : وهى هند ، وكانت امرأة جاهلية فصيحة ، لها أخبار في سوق عكاظ ، ووصفها العرب بالدهاء • ويزعم بعض الرواة انها ماتت في زمن النعمان •
- ابنة ذى البردين : امرأة جاهلية اشتهرت بلقب أبيها عامر بن أحيمر بن بهدلة، وكان المنذر بن ماء السماء قد أخرج يوما بردين يبلو بهما الوفود، وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما • فقام عامر ، فأخذهما وائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر •
- ابنة الضابط : قصة للشاعر الروسى بوشكين ، نقلها الى العربية سامى الدروبى •
- ابنة العشرين : الفتاة التى بلغت عشرين سنة من عمرها • ولمن بلغت الثلاثين يقال : ابنة الثلاثين •• وهكذا •
- ابنة عمران : (١) مريم ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم • (٢) قصة من مجموعة قصص الانبياء التى يشرف على اصدارها فى القاهرة محمد أحمد برانق •
- ابنة العنقود : الخمرة • قال أبو الفتح كشاجم :

واعتيــاضى من العنــا بالفــوانى واعتقادى هــوى ابنــة العنقــود

وقال أبو محمد الفياضي :

نحن الشهود وخفق العود خاطبنا
نزوج ابن سحاب بنت عنقود

وقال خالد الشواف :

فما أظن ابنة العنقود تصرعنا كالخمر من مقلتي عذراء حمانا

(راجع أيضا : بنت العنقود) ·

- ابنة الكرم : الخمرة · قال أبو نواس :

صفة الطلول بلاغة القدم فأجعل صفاتك لابنة الكرم

(راجع ايضا : بنت الكرم وبنات الكروم) ·

- ابنة لبون : ولد الناقة اذا كان في العام الثاني واستكمله ، او اذا دخل في عامه الثالث · (راجع أيضا : بنت لبون وبنات لبون)·
- ابنة المطر : دويبة حمراء تظهر عقب المطر ، فاذا نضب الثرى عنها ماتت· (راجع أيضا : بنت المطر)·
- ابنة نابليون : رواية للكاتب الفرنسي ارثر برنيد · مطبوعة باللغة العربية ·
- ابنة نارين : المرقة المسخنة · قال أبو طالب المأموني في وصف مائدة:

لا ابنة نارين أراها ولا مصنوعة بالرفع ماسوه

(راجع ايضا : بنت نارين)·

- ابنة الهم : الدمعة · قال الزهاوي :

يا ابنة الهم ان مسكنك القلب فلا تخرجي الى الابواب ·

- ابنتي : الابنة مضافة الى ياء المتكلم · وللدكتورة نعمات احمد فؤاد كتاب اسمه : (الى ابنتي)·

* * *

والبنات : جمع بنت أو ابنة · وذكر أهل النحو أن ما لا يعرف ذكوره من اناثه يحمل على اللفظ ، فقالوا للذكر : هذا ابن قترة (وهو حية خبيثة)، فاذا جمعنا على هذا النحو قلنا : بنات قترة (للذكور والاناث) · وكل جمع من غير الانس والجن والشياطين والملائكة يقال فيه بنات ، كبنات عرس (جمع ابن عرس) · وورد لفظ (البنات) في القرآن الكريم موزعا على تسع سور ، هي : النساء والاحزاب والانعام والصافات والطور والنحل وهود والحجر والزخرف ·

وانطوت هذه اللفظة على معان كثيرة ، منها :

- البنات : (في اللهجة العامية البغدادية) النساء مطلقا ، وهذا ما وجدناه في نداء بائعة القار المصفى المجلوب من حمام العليل في الموصل ·· حين تدعو به نساء المحلة صائحة : (جيرة ، يا بنات ، جيرة) · وهذا الضرب من القار يصلح للعلك ·

- البنات : المؤلفات .

قال الشيخ جلال الحنفي :

أي البنـات فقدت رائعـة　　　في الطيب والامتاع والسحر

- البنات : (عند أهل الرمل) أربعة أشكال من الاشكال الستة عشر الواقعة في الزائجة في البيت الخامس والسادس والسابع والثامن .
- البنات : التماثيل الصغار . تلعب بها الجواري . وفي حديث عائشة (ض) : كنت ألعب مع الجواري بالبنات . (راجع أيضا : بنت) .
- بنات : ولاية من ولايات الحدود في هنغاريا . وقد عرفت بهذا الاسم بعد صلح بساروفتز عام ١٧١٨ .

وللبنات نصيب من امثالنا البغدادية ، فقد قيل : (أحمد وياجن يا بنات ؟) .. أي : يا ايتها البنات ! .. هل أحمد ممكن ؟ .. ايهاما بأنه واحد منهن . وضربوا هذا المثل استخفافا بالشباب المتخنث المائع . وقيل ايضا: (يا بنات التمن .. بسليمي من التمن) .. ومعني التمن: اجتمعن . والسليمي: ضرب من النقود سميت باسم السلطان سليم العثماني . والمن : نوع من المعايير المستعملة في الاوزان (= ٢٥ كيلوغراما) . ومعنى المثل: ايتها البنات (كناية عن النساء) اجتمعن ، فان من التمن أصبح يباع بسليمي .. أي أن سعره غلا غلاء فاحشا . والتمن هو الرز . وقد ضربوا هذا المثل للامر يستدعي الحيرة والدهشة بحيث يجب التجمع له والتداول في شأنه .

ونهضت بالبنات قصص وروايات أشهرها : (البنات والصيف) لاحسان عبدالقدوس ، و (بنات بلا رجال) لاسكندر رياشي . وأضيف الى البنات بعض الاحياء والاشياء ، فقيل :

- باب بنات : شارع يخترق أحد الاحياء الشعبية القديمة في مدينة تونس العاصمة .
- بئر البنات : بئر كانت تقع بين قرية النبي يونس والموصل في العراق.
- تل البنات : يقع جنوب شرقي ناحية الدور في سامراء . وتذهب الروايات المتواترة الى انه كان موقع القصر الذي شيدته الاميرة نايفة بنت الملك هطرون لبناتها ، وقد حوطته بمجرى النهر من كل اطرافه ليكون منعزلا عن البر بحيث يتعذر الوصول اليه أو الخروج منه بدون واسطة عبور . ولعل هذه الرواية اسطورة من الاساطير .
- ثلاث بنات : فلم عربي مصري ، اسمه الكامل (أرملة وثلاث بنات) لا يزال العمل جاريا فيه بالقاهرة ، ويقوم باخراجه جلال الشرقاوي .
- رضاع البنات : من الامثال السامرائية : (رضاع البنات يهدهد الكامات) . والكامة : الهمة . ويهدهد : يهد .
- السبع بنات : اشتهرن مع الحمال في احدى حكايات الف ليلة وليلة.
- ست البنات : قصة معروفة لامين يوسف غراب .
- شعر بنات : حلوى بغدادية على هيئة حزم من الخيوط الرفيعة البيض،

تعرض في الاسواق أيام شهر رمضان من كل عام ·

- صوم البنات : مناسبة فولكلورية بغدادية معروفة ، تحدث في الاربعاء الاخيرة من شهر رجب كل عام ، وتنذر فيها النذور ، وتصوم العذارى وينتظمن جماعات وبأيديهن الشموع حيث يزرن مرقد الزاهد (حبيب العجمي) في كرخ بغداد والشيخ عمر في الرصافة · ومن غنائهن في هذه المناسبة :

جينا نزورك يا حبيــب العجمي
شمعة بطولك يا حبيب العجمي

- عقبة البنات : سهل يقع على قمة جبل خلف جبل سرس ، وقد شاهده الرحالة بوركهارت خلال رحلته على ضفاف النيل من اسوان الى المحسن على حدود دنقلة عام ١٨١٣ ·
- غزل البنات : فلم عربي مصري اشترك فيــه يوسف وهبي ومحمد عبد الوهاب ونجيب الريحاني وليلى مراد وغيرهم ·
- غزل البنات : وهو الاطرية ، طعام كالخيوط يتخذ من الدقيــق أو من النشــا ·
- كلية البنات : تقع في جناح باب المعظم ببغداد في فم شارع الكفاح · وكانت سابقا تدعى كلية التحرير ·

والبنات منازل معروفة من التركيب والاضافة ، أشهرها :

- بنات آوى : ومفردها ابن آوى وهو الحيوان الذي تعود عواء الليل ، ويزعمون أن الدجاج يخافه أكثر مما يخاف الثعلب ·
- بنات أدهمان بغداد : من الخيول التي كانت ذات وزن في سباق الخيل ببغداد ·
- بنات الاحرار : الاصائل من النساء ·
- بنات أحقب : الحمر الوحشية ·
- بنات أخدر : الحمر الوحشية أيضا ·
- بنات الاخدري : الاتن (جمع اتان) ، وقيل : هي ضرب من الحمــر الوحشية ·
- بنات الارض : الانهار الصغيرة ، وقيل : عروق يقطر منها الماء ،ويصير اليها الوحش في القيظ فيترشفها ، ويقتصر عليها دون ورود الماء · وقيل : هي المواضع التي تخفى على الراعي · (راجع ايضا : ابنــة الارض وبنت الارض)·
- بنات الاستاذ : قصة للكاتبة المعروفة ويلا كاثر · نقلها الى العــربية فوزي قبلاوي ·
- بنات أسفع : المعزى ، أو الثيران الوحشية ·
- بنات أعنق : النساء ·

- بنات أعوج : أعوج اسم فرس عربي سابق تنسب اليه الاعوجيات فيقال هو من بنات أعوج ·
- بنات ألبب : عروق فى القلب تكون منها الرقة · ويقال : انى لاأعرف هذا ببنات ألبب · وفي المثل : (تأبى له ذلك بنات ألببى) ·· وأصله أن رجلا تزوج امرأة وله أم كبيرة ، فقالت المرأة للزوج : لا أنا ولا انت حتى تخرج هذه العجوز عنا · فلما اكثرت عليه احتملها على عنقه ليلا ، ثم أتى بها واديا كثير السباع ، فرمى بها فيه ، ثم تنكر لها ، فمر بها وهى تبكى ، فقال : ما يبكيك يا عجوز ؟ · قالت : طرحنى ابنى ههنا وذهب وأخاف أن يفترسه الاسد · فقال لها · تبكين له وقد فعل بك ما فعل ·· هلا تدعين عليه ؟ قالت : تأبى له ذلك بنات ألببى ·
- بنات الله : كانت قبيلتا خزاعة وكنانة تقولان : الملائكة بنات الله !!، وانما أطلق العرب لفظ البنات لان الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون أشبهوا النساء فى الاستتار ، فأطلقوا عليهم لفظ البنات ، وجاء فى سورة الانعام (آية ١٠٠) : وجعلوا لله شركاء الجن ، وخلقهم ،وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون · (وخرقوا : اختلقوا) ·
- بنات الامر : المصارين يجتمع فيها الفرث ·
- بنات أناشى : هن بنات الناس فى اللغة المندائية التى يتكلم بها صابئة العراق · وورد هذا التركيب فى كتابهم المقدس (سيدرة اد آدم)·
- بنات أوبر : كمء صغير مزغب ·
- بنات أودك : الدواهى · (راجع أيضا : بنت أودك)·
- بنات اورشليم : وهن اللائى ناداهن سليمان (ع) فى أحد أناشيده (المزامير) بقوله : احلفكن يا بنات اورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ··
- بنات الاول : (فى العامية البغدادية) العجائز ، أو بنات الايام الخوالى، أو الفتيات العصريات يأخذن بتقاليد الماضى ·
- بنات بحر : سحائب لا تجوز الى البر · وهناك ايضا بنات مخر ، وهى السحائب تنشأ من بخار البحر ، فتجوز البر ·· ولذلك قيل : بنات مخر خير من بنات بحر ·
(راجع أيضا : بنت بحر) ·
- بنات البحر : حيوانات لبونة من رتبة الخيلان مؤخرها يشبه السمك·
- بنات بحنة : وبحنة نخلة بالمدينة المنورة طويلة السعف ، شبهت السياط بها لطولها ، وهو من كلام أهل المدينة · وقيل : ان بحنة اسم امرأة نسبت اليها نخلات كن عند بيتها ، وكانت تقول : هن بناتى ، فقيل لها : بنات بحنة ·
- بنات بخر : سحائب يجئن قبل الصيف ، منتصبات ، رقاق ·

- بنات برح : المشقة · (وراجع ايضا : بنت برح) ·
- بنات البريبصني : (في الامثال السامرائية) مثل بنات البريبصني · وهذا الحيوان هو سام ابرص · وقد ضربوا المثل للدءوب المجد في عمله ·
- بنات البطون : الامعاء · ويقال للجائع : سكن بنات بطنك · اذا امر بالاكل ·
- بنات بئس : الدواهي · ويقال : نزلت به بنات بئس ·
- بنات البيض : نوع من التمور العراقية · (راجع أيضا : بنت البيض) ·
- بنات التنانير : الرغفان · وقيل لاعرابي قدم الحضر ، فأضافه بعض المياسير : اين كنت اليوم ، وبما أشغلت ؟ · فقال : كنت والله عند كريم خطير اطعمني بنات التنانير وامهات الابازير وحلواء الطناجير ، ثم سقاني رعناء القوارير من يد غزال غرير (راجع أيضا : بنت تنور) ·
- بنات الجامعة : طالباتها ·
- بنات الجان : الحسان الفواتن · شاع استعمال هذا التركيب في المجلات التي تصف ممثلات السينما ·
- بنات الجد الصحيح : العمات ·
- بنات الجد الفاسد : الخالات ·
- بنات الجدة : نوع من التمور العراقية ·
- بنات الجديل : الابل ·
- بنات الجمل : الابل ·
- بنات الجنجل : لم اقف على معناها · وكلمة الجنجل ربما تكون موهومة لا أساس لها · وورد هذا التركيب على لسان صبيان بغداد ، وهم يغنون : (يا ربي لتساعدها · ساعد بنات الجنجل) ولتساعدها بمعنى لا تساعدها ·
- بنات الحارث بن هشام : ضربن مثلا في الحسن والشرف وغلاء المهر · وأبوهن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي · وكانت الجارية تولد لاحد آل الحارث فتتباشر النساء بها ، ويرى أهلها أنهم أغنياء لرغبة الخطاب فيها ، ولذلك قال ابن هرمة من قصيدة :

ومن لم يرد مدحي فان قصائدي	توافق عند الاكرمين سوام
توافق عند المشتري الحمد بالثنا	نفاق بنات الحارث بن هشام

- بنات الحجال : العذارى ·
- بنات حذف : والحذف غنم سود صغار تكون بالحجاز أو اليمن · قال النبي (ص) : تراصوا بينكم في الصلاة لا تتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف ·

● بنات الحسن : (١) مجموعة من قبور بعض النساء العلويات المشهورات بالزهد ، وهى تكاد تنتشر في ارجاء الجمهورية العراقية كالخالص وهيت وبغداد والموصل والنجف والديوانية والحلة وناحية بلد وغيرها • (٢) منطقة زراعية تقع على بعد ثلاثين كيلومترا شرقي مدينة سامراء • وفيها قبة تحتها بعض القبور • (٣) محلة عرفت بهذا الاسم في رصافة بغداد ، وهى من محلات بغداد في أواخر العهد التركى ،وقد رآها البحار الانكليزى فيليكس جونز سنة ١٨٤٦ • (٤) جامعان اشتهر كل منهما باسم جامع بنات الحسن ، أحدهما فى محلة بنات الحسن وهو الذى جدد بناؤه فى هذه الايام ، والاخر قرب رأس جسر الشهداء فى كرخ بغداد •

● بنات الحصير : دويبة حمراء ، مفرطحة ، منتنة الريح تكون في السرر والجدر والخشب •

● بنات حواء : طائفة النساء •

● بنات الخايبة : وهن بنات من فارقها زوجها الى غير رجعة ، ويكن كاسفات ، ذليلات • وهذا التركيب شائع فى مدينة النجف •

● بنات الخدور : العذارى •

● بنات الخطيئة : كتاب نشرته مؤسسة ماكفادن ومنعته مصلحة الرقابة في لبنان • وقد تهجم فيه المؤلف على النساء العربيات •

● بنات خورة : الضأن •

● بنات الخيال : الافكار الغريبة التى تخالف الواقع ، وتناوىء المالوف •

● بنات دأية : الغربان •

● بنات دجلة : السمك • قال ابن الرومى :

أبنات دجلة فى بيوتكم مأسورة فى كل معترك

(راجع ايضا : بنت دجلة)•

● بنات الدروز : ما يكون في دروز الثياب من عوام الجسد كالقمل والصئبان •

● بنات الدم : ضرب من النبت أحمر •

● بنات الدهر : (١) نوائبه وحوادثه ومصائبه ونوازله • قال الشاعر:

ألا ما لبنات الدهر ترميني ولا أرمي

وقال آخر :

رمتني بنات الدهر من حيث لا ادرى فكيف بمن يرمى وليس برام

وقال المزق العبدى :

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق

(٢) الليالى والايام • قال الاخطل :

وما تبقي على الايام الا بنات الدهر والكلم العقور

(٣) الباقيات على الدهر • قال المرار بن منقذ يصف النخيل :

بنات الدهر لا يحفلن محلا   اذا لم تبق سائمة بقينـا

(وراجع ايضا : بنت الدهر)•

- بنات الدو : الحمر الوحشية •
- بنات الذيبة : (في اللهجة العامية اللبنانية) اللوزتان •
- بنات الرجال : النساء • قيل :

بعض بنات الرجال أبرزها الدهـ   ـر لما قد ترى وأخرجها

- بنات الرعد : الكمأة •
- بنات الريف : فلم عربي مصري • من أبطاله يوسف وهبي وفاطمة رشدي • (راجع ايضا : بنت الريف) •
- بنات زادان : (وفي بعض الروايات : زاذان) الطوال الآذان •
- بنات الزمان : حوادثه ومصائبه • قال البحتري :

متى ما نسيت الحادثات وجدتها   بنات زمان أرصدت لبنيه

- بنات السحابة : البرد • قال الشاعر :

كأن ثناياها بنات سحابة   سقاهن شؤبوب من الغيث باكر

- بنات السعدان : نوع من التمور العراقية •
- بنات السوري : خيول كانت معروفة في سباق الخيل ببغداد •
- بنات شاحج : البغال •
- بنات شحاج : الخيل والبغال •
- بنات الشحم : حيوان اذا لمس باليد استدار كالبندقة • (راجع ايضا: بنات الشيخ)•
- بنات الشيخ : وتسمى ايضا بنات الشحم •• وهي الحيوان نفسه ، المعروف بنعومته وبياضه • ينفع من السعال وأوجاع الحلق وعسر البول •
- بنات الشيخ حسن : مزار معروف في منطقة اصطبلات في سامراء ، تزوره عشيرة المجمع هناك •
- بنات الصدر : (١) ما يضمره الانسان من الخير والشر • قال الشاعر:

أحب الى من ألقى قريب   بنات صدورهم لي مسترابه

وللصاحب بن عباد من رسالة : زوج بنات صدرك من بني علم ،وأفرغ صوب عقلك في قمع اذني • (٢) الهموم •

- بنات صعدة : الحمر الوحشية ، وقيل : الحمر الاهلية •
- بنات صهال : الخيل •
- بنات صهال (بتشديد الهاء) : الخيل والبغال •
- بنات الصوفي : نوع من التمور العراقية •
- بنات الضمري : مزار في هيت بالعراق ، تقصده النساء غالبا •

والضمرى هو عمر بن امية · ويستوعب هذا المزار ما يقرب من عشرة قبور ·

- بنات طارق : (١) بنات الملوك · (٢) الشماريخ · (٣) بنات النجم · قال يحيى بن عبدالملك : جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان المخزومي في مسجد رسول الله (ص) وأنا متقنع ، فذكر الضحاك وأصحابه قول هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أحد :

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق

فقالوا : ما طارق ؟ · فقلت لهم : النجم · فالتفت الضحاك فقال : أبا زكريا ، وكيف بذلك ؟ · قلت قال الله تعالى : (والسماء والطارق · وما ادراك الطارق · النجم الثاقب) ، وانما قالت نحن بنات النجم لعلوه وشرفه · (٤) بنات العلاء بن طارق بن الحارث بن امية بن عبد شمس من كنانة يضرب بهن المثل في الحسن والشرف ·

- بنات طبار : الدواهي ·
- بنات طبق : (١) الدواهي · ويقال : احدى بنات طبق · يضرب مثلا للداهية ويرون ان اصلها الحية · ويقال للداهية بنت طبق · (٢) سلاحف معروفة · وفي الامثال : جاء باحدى بنات طبق · وبنت طبق: سلحفاة تزعم العرب انها تبيض تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف ، وتبيض بيضة تنقف عن أسود · وهو يضرب للرجل يأتي بالامر العظيم· (وراجع ايضا : بنت طبق) ·
- بنات الطريق : الطرق الصغار التي تفترق وتختلف فتأخذ في كل ناحية · قال أبو المثنى الاسدى : اذا الطريق اختلفت بناته · (راجع ايضا : بنيات الطريق)·
- بنات طمار : (١) الدواهي · (٢) الاجواء المرتفعة · وفي الامثال : ذهب المحلق في بنات طمار · يضرب في ما يذهب باطلا ·
- بنات عرجون : الشماريخ ·
- بنات عرس : جمع ابن عرس · من عائلة الجرذ ·· ولكنه عدو للفأر ·
- بنات عرهون : الفطر ·
- بنات العكرب : (١) في الامثال السامرائية : مثل بنات العكرب · يضرب للمرأة المئناث · والعكرب هي العقرب · (٢) طائفة من نجوم السماء على غرار بنات نعش ·
- بنات العين : الدموع · قال ابن الرومي :

تذكرته والشيب قد حال دونه   فظلت بنات العين مني تحدر

(راجع ايضا : بنت العين) ·

- بنات غير : الاكاذيب والالفاظ المنتحلة · وفي الامثال : جاء بالشقر والبقر وببنات غير · والغير الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير ·ويراد

ههنا : جاء بالكلام المغير عن وجه الصدق • والشقر والبقر اسمان لما لا يعرف • أى جاء بالكذب الصريح •

- بنات الفحل : الابل •
- بنات فراض المرخ : النيران التى تخرج من الزناد •
- بنات الفلا : الابل • قال الشاعر :

اليك أمين الله جابت بنا الفلا   بنات الفلا فى كل بر وفدفد

- بنات قترة : جمع ابن قترة ، وهو حية دقيقة • وقيل : بكر الافعي •
- بنات القريض : الابيات أو القصائد الشعرية •
- بنات القفر : الوحشى •
- بنات القلب : ما يضمره الانسان من الخير والشر • قال الشاعر :

بنفسى من هواه أخى وتربى   له حبى رضيع بنات قلبى

ويقال : احبك ببنات قلبى •

- بنات القنصل : (نباتيا) جنس نباتات من فصيلة الفربيونيات ، مهده الاصلى المكسيك ، تحمل أغصانه جذورا مستطيلة ، ويزرع فى مناطق المناخ الحار •
- بنات كداد : حمر تنسب الى فحل اسمه كداد •
- بنات الكروم : الخمرة • قال الشاعر :

بنات الكروم تسلى الهموم   وتحيى السرور وتنفى العدم

(راجع ايضا : ابنة الكرم) •

- بنات الكنيسة : الراهبات • (راجع ايضا : بنت الكنيسة) •
- بنات لبن : الامعاء التى يكون فيها اللبن •
- بنات لبون : صغار العرفط ، والعرفط شجر من العضاه ذو أشواك • (راجع أيضا : ابنة لبون وبنت اللبون) • ويقال : يرتمون ببنات لبون أي بصخر عظام •
- بنات اللهو : الاوتار • قال البحترى :

تلقينا الشتاء به وزرنا   بنات اللهو اذ قرب المزار

وقال ابن الرومي :

نطقت بنات اللهو فيه معا   من بعد بعد الصوت والهمس

- بنات الليل : النساء ، أو الهموم ، أو الاحلام ، أو طائفة من الخليمات، أو المنى • يقولون : فلان يتوسد اذرع بنات الليل ، أو أهوال الليل •
- بنات الماء : (١) الغرانيق • (٢) ما يألف الماء من السمك والطير والضفادع • قال سبدوك الواسطى :

كأن جوانحى شوقا اليها   بنات الماء ترقص فى جفاف

(٣) سمك ببحر الروم ، شبيهة بالنساء ، ذات شعر سبط ،وكلامهن لا يكاد يفهم •

- بنات المثال : النساء ، والمثال : الفراش • وبنات المثال أيضا الشاء •
- بنات مخر : سحائب تنشأ من بخار البحر ، فتجوز البر ، وهي حسان مستطيلة • قال عبدالله بن سلمة الغامدي يصف صاحبته (جنوب):

كأن بنات مخر رائحات جنوب وغصنها الغض الرطيب

- بنات مسبل : الضباب ، جمع ضب •
- بنات المسجد : الحصا • ذكر لرؤبة رجل ، فقال : كان احدى بنات مساجد الله •• كأنه جعله حصاة من حصا المسجد •
- بنات المسند : النوائب وصروف الدهر •
- بنات المعى : (١) المصارين • (٢) البعر •
- بنت مقيدة الحمار : العقارب • ومقيدة الحمار : الحرة من الارض •
- بنات المكلا : والمكلا مرفأ على ساحل حضرموت ، واقتحمت بناته الجميلات أغانينا العربية ، وخفقن على لسان المطرب فهد بلان •
- بنات المنايا : السهام • قال ابن الرومي :

لهم عدة تكفيهم كل عدة بنات المنايا والقسى الموتر

- بنات المنكدر : والمنكدر فرس لبنى العدوية رهط الموار بن منقذ الذى يقول :

ببعيد قدره ذى عذر صلتان من بنات المنكدر

- بنات النار : الابخرة •
- بنات النبى : كتاب للدكتورة عائشة عبدالرحمن •
- بنات نصيب : ضرب الناس بهن المثل للبنت يضن بها أبوها على من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها ، فتبقى معنسة • ونصيب هذا كان عبدا أسود لبني كعب بن حمزة ، وكان شاعرا مفلقا • وكان ذا بنات نفض عليهن من لونه فضارعنه فى الدمامة • وكان يحبهن جدا ، ويربأ بهن عن العجم ، ولا يرغب فيهن العرب ، فبقين معنسات • قال أبو تمام :

كانت بنات نصيب حين ضن بها عن الموالى ولم تحفل بها العرب

- بنات نظرى : الرجال الذين ينظرون الى المرأة •
- بنات نعش : سبعة كواكب منتشرة في الافق جهة القطب الشمالى • قال بشر بن أبى خازم :

أراقب فى السماء بنات نعش وقد دارت كما عطف الصوار

وخص بنات نعش لانها لا تغيب مع النجوم وهى تدور وتنعطف فى جانب السماء حتي يبهرها الصبح •

- بنات النقا : (١) دواب تكون في الرمل من فصيلة السقنقوريات • (٢) الحلكة تشبه بها العذارى •

- بنات نقرى : النساء ، لانهن ينقون عن الشيء ويعيبنه .
- بنات هالوكت : (في العامية البغدادية) بنات العصر .. اللائى أخذن بالترف الحضارى بلا تحفظ . وهالوكت : هذا الوقت .
- بنات الهام : مخ الدماغ .
- بنات هديب : حين يحدث شجار بين نساء محلات الفضل وعزات طويلات وباب الشيخ وفضوة عرب ببغداد ، وتتطاول احداهن على احداهن ، فان المقهورة تأخذها العزة والحمية ، وتقول مباهية :

احنا بنات هديب ما بينا دغشى ... انزل الخيال من ظهر الفرس

- بنات الهديل : الحمام .
- بنات الهوا : (في لهجة منطقة الفرات بجنوب العراق) الخيل السريعة في العدو ، أو التي ضاعت أنسابها .
- بنات الهوى : العاهرات . (راجع أيضا : بنت الهوى).
- بنات والنس : خيول شقر كانت معروفة في ساحة سباق الخيل ببغداد .
- بنات وردان : دويبات تلزم الكنيف . وانشد الصاحب بن عباد ، ليلة، في مجلس تأذى فيه برائحة كريهة :

لما عدمنا من الكنيف وقد ... قصدنا الا بنات وردان

وقيل : انهن يخلقن من الاجذاع والخشب والحشوش ، وانهن من خلق الشيطان . وتسمى في بعض البقاع العربية بدود الجرار . وهي - عموما - حيوانات حمر لها اجنحة شعرية رقيقة ، وقرون طوال . يطلق عليها أهل لبنان اسم صرصور ، وهي المردان (ومفردها مردانة) في العامية البغدادية . (راجع ايضا : بنت وردان).

- بناتي : (١) اضافة بنات الى ياء المتكلم . وفي القرآن الكريم : (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) . (٢) جماعة الفروج (أفراخ الدجاج). (٣) ضرب من الاحذية خاص بالاطفال الاناث . (٤) نوع من قوالب وكعوب الاحذية الخشبية .
- بنات اليوم : (١) بنات العصر . (٢) قصة لوفيق العلايلي .

* * *

والبنت الولد الانثى ، وهي على وزان فعت .. من بنو وبني ، والنسبة اليها بنتي وبنوى . وبنت ، مجازا ، ما تولد من شيء ونشأ عنه . وبنت فلان بتاء ثابتة في الوقف والوصل . ولا تقول ابنت ، لان الالف انما اجتلبت لسكون الهاء فاذا حركتاها سقطت . والبنت مولد قديم بمعنى الانثى مطلقا ، واشتق القدماء بتأصيل التاء فعلا مزيدا ، فقالوا : بنتت المرأة .. أى ولدت انثى . وفى أغلب اللهجات الشعبية المحلية فى العراق ارتفع حرف النون من (بنت) تخفيفا ، فقالوا : (بت) . وعرفنا من البت فى أدبنا الشعبى :

- بت بيت : (١) الفتاة لم تتزوج بعد · (٢) الفتاة الماهرة في تدبير المنزل · (٣) كناية عن الفتى الخجول ·
- بت حلال : (كناية) الزوجة الصالحة ·
- بت عرب : (كناية) المرأة الكريمة ·
- بت حمولة : المرأة تكون من أسرة كريمة موسرة ·

وللبنت معان كثيرة شائعة ، أشهرها :

- البنت : (في علوم الحياة) وضعت بازاء Daughter Cell وهى الخلية المنشطرة من الخلية الام ·
- البنت : (كناية) الدمية الصغيرة يلعب بها · (راجع ايضا : بنات)·
- البنت : تطلق ، في الكويت ، في مخاطبة كل امرأة ولو كانت عجوزا ·
- بنت : اسم رجل كان حاكما على أحد الاقاليم النوبية في نهاية الاسرة العشرين على عهد الفراعنة ·
- بنت : (في ورق اللعب) بازاء كلمة Queen ، وهى ما يسميهـــا البغداديون بالقزة (تحريف كلمة قيز التركية)·

وأشارت لغات الدنيا الى البنت ، فكانت في اللغة الآيسلاندية dottir وفي لهجات الاراضي الواطئة بأوربا dochter ، وفي الارمنية oryort ، وفي الاسبانية la Hija ، وفي اللهجة الاصفهـانية «دختم» ، وفي اليونانية Thugater ، وفي الالمانية Tochter ، وعند الانجلو سكسون dohtor ، وفي الانكليزية daughter ، وفي الانكليزية القديمة dohtor ، وفي الانكليزية المتوسطة doughter ، و doghter و dohter ، وفي الاوردية «لاركي» ، وفي الايطالية la Figlia و la ragazza ، وفي التركية « قيز » وفي الحبشية Gwal وفي لهجة الدناكل في أريتريا Barwa وفي الدانيماركيـة dotter و datter ، وفي الروسية doch ، وفي الزندية dughdhar ، وفي لهجة الساهو بأريتريا Bra ، وفي السريانية « بروتو » ، وفي السلافية القديمة dushti ، وفي السنسكريتية duhit ، وفي لهجات شمالي غرب أوربا dotter ، وفي العبرية «بيتولا» ، وفي الغوطية (البربرية) dauhtar ، وفي الفارسية «دختر» ، وفي الكردية «كچ» ، وفي الفرنسية Fille ، وفي الفيلية الكردية « دوت » ، وفي الكلدانية «براتا» ، وفي اللاتينية Filia ، وفي الليتوانية dukte ، وفي اللهجة اللارستانية «دت» ·

وهناك ، بين العلماء الاوربيين ، من يعتقد بأن جميع الكلمات الاوربية التي تنظر الى البنت انما تنظر ــ عند مقارنتها بالكلمة السنسكريتية ــ الى معنى dub وهو الحليب ·

والبنت من المحرمات على الاب (سورة النساء ، آية ٢٢) ، وهى من الالفاظ التى كثرت اضافتها كثرة بالغة في اللهجة البغدادية ، وبعض اللهجات العراقية الاخرى ، فأضافها أبناء الشعب — في معرض السباب والشتم — الى طائفة كبيرة من الالفاظ ، اذكر منها : الرثع والرجس والزنى والشولة والحرام والمداس والمطي والكلب والزفرة • كما ادخلوها فى بعض امثالهم الشعبية ، فقالوا : (البنت مثل القوصة من تتزوج تنشلع من التنور) ، وهو مثل موصلي ضربوه فى ان البنت يجب عليها الانسجام مع زوجها وأهله ، ولا تتعود الزعل والعودة الى أهلها لسبب تافه • وقالوا : (ابن ابنك ابنك • ابن بنتك لع) ، وهذا المثل وارد على مذهب معروف فى الانساب ، وهو ظاهر المعنى •• وقد جاء فى الشعر القديم :

بنونا بنو آبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الاباعد

وقالوا : (البنت غم ولو مريم) ، وضربوه في العناء يصيب الاسرة من جراء الحرص على تربية البنت حتى تخرج الى دار الزوجية • والمراد بمريم هنا مريم ابنة عمران التى وصفها القرآن الكريم بأنها مفضلة على نساء العالمين • وقالوا : (بنتي سعيدة مني بعيدة) •• أى ان ابنتى سعيدة ما كانت بعيدة عني ، وأرادوا بهذا المثل ان البنت اذا خرجت من دار أهلها الى دار زوجها كان ذلك أدعى الى سعادتها • وجاء فى أمثالنا العربية القديمة : (ولى الثكل بنت غيرك) •• وقد قالته خليدة زوجة ضمرة بن جابر لضرتها عند دعاء لها • ولهذا المثل قصة ذكرهـا الزمخشرى كاملة فى كتـابه (المستقصى) •

وهناك نعوت والفاظ معطوفة اقترنت بالبنت لتوءدى ما لا يجب أن نجهله ، منها :

- البنت الجلبية : أغنيــة معروفة للمطربة اللبنــانية فيروز من ألحان الاخوين رحباني •
- بنت خاتون : (فى الامثال البغدادية) ولد مجنون ولا بنت خاتون • والخاتون هنا بمعنى العاقلة المهذبة • والمثل يشير الى نظرة المجتمع الى البنين وتفضيله اياهم على البنات حتى لو كان الولد مجنونا •
- البنت النبيلة : قصة يعرفها أطفالنا ، وهى من المجموعة الاولى (المكتبة الحديثة للاطفال) التى تصدر فى القاهرة •
- البنت الوحيدة : قصة أخرى من المجموعة التى ذكرتهــا فى الفقـرة السابقة •
- البنت والوردة : قصة من قصص الاطفال لمحمد عطية الابراشى وقد ظهرت في مجموعة مكتبة التلميذ •

ومن المضاف الى البنت :

- ابن بنت رسول الله : هكذا يدعى (السيد) فى العراق • والسيد هو من كان موصول النسب بالنبى (ص) عن طريق ابنته فاطمة •

- ابن بنت العراقي : وهو عبدالكريم بن علي بن عمر الانصاري (٦٢٣ ـ ٧٠٤ هـ) ، مفسر فقيه ، ضرير ، أصله من وادي آش بالاندلس ومولده ووفاته في القاهرة • له مصنفات في التفسير واصول الفقه •
- أبو البنت : حليب سويسري ، معلب ، اسمه التجاري Milkmaid
- ام البنت : (في الطب الشعبي العراقي) حليب يوصف لرمد العين تقطيرا • وأم البنت ، هنا ، هي المرأة ترضع بنتا لها ، فان لبنها بارد يهدىء العين كما يزعمون •
العين كما يزعمون •
- قبغ البنت : متنزه في ضواحي الموصل ، تقصده النساء في مواسم معينة • وقبغ (في لهجة أهل الموصل) بمعنى : قبو •

أما البنات اللواتي أضفن في الكنى والاسماء ، فهن :

- بنت ابن قرابة : في سنة ٣٤٣ هـ وخلال هجوم الديلم على بغداد بقيادة معز الدين حصل غلاء وارهاب •• حتى قال بعضهم : رأيت امرأة تقول : أنا بنت ابن قرابة ، ومعي حلي وجواهر تزيد على ألف دينار ، فمن يأخذها ويسقيني شربة ماء • فما أجابها أحد • وماتت وما فتشها أحد لشغل كل انسان بنفسه •
- بنت الاخ : من المحرمات (سورة النساء ، آية ٢٣)•
- بنت الاخت : من المحرمات (سورة النساء ، آية ٢٢) •
- بنت أدحى : النعامة •
- بنت الارض : (١) نبت يشبه القلاع • (٢) ضرب من البقل • (٣) الحصاة • (٤) نبات ينبت في الربيع وفي الصيف • (راجع ايضا : ابنة الارض وبنات الارض) •
- بنت أفندينا : قصة معروفة لصالح جودت •
- بنت أم كبشة : عائلة كانت معروفة في النجف •• ولكنها الان منقرضة•
- بنت امها : كناية بغدادية عن البنت الشاطرة ، الحازمة •
- بنت الامير : (١) قصة من مجموعة القصص المدرسية التي يصدرها في القاهرة سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران • (٢) ويوجد بهذا الاسم تل يقع بالقرب من أطلال اسكي بغداد شرقي نهر شهرابان على الجانب الغربي من الطريق العام بين المقدادية وبلدروز في العراق •
- بنت أودك : الداهية ، أو الحية •
- بنت بارح : الداهية •
- بنت البارحة : (كناية بغدادية) الفتاة في مقتبل العمر •
- بنت باريس : فلم عربي مصري أخرجه حسين فوزي •
- بنت الباشا : نوع من التمور العراقية •
- بنت البحر : نوع من التمور العراقية •
- بنت بحري : بلاج معروف في الاسكندرية بالجمهورية العربية المتحدة ،

وهو البلاج الوحيد الذى ترتدى فيه المرأة المـايوه والبرقع والملايـة اللف ·

- بنت البدر : نوع من التمور العراقية ·
- بنت برح : الشر والشدة والاذى · يقال : لقيت منه بنات برح ·وبرح بى هذا الامر اذا غلظ واشتد ·· يضرب للامر يستفظع · وفى الامثال العربية : (بنت برح شرك على رأسك) ·· أى لا جاوزك الشر ، وبقـى مصبوبا عليك حتى لا يدهم الناس · وهو يضرب في استعظام الامر · (راجع ايضا : بنات برح)·
- بنت بريطانيا : الولايات المتحدة الاميركية ·
- بنت البلد : قطعة موسيقية للاستاذ محمد عبدالوهاب ·
- بنت البيت : الفتاة العذراء ·
- بنت البيد : الناقة ·
- بنت البيض : نوع من التمور العراقية · (راجع ايضا : بنات البيض)
- بنت تاج نديم : فرس ما تزال في حيازة الشيخ محمد الجبوري بمنطقة الضلوعية في سامراء ·
- بنت تنور : الخبزة · (راجع ايضا : بنات التنانير) ·
- بنت ثاو : أحجار الجبل · والثاوي : الجبل ·
- بنت الجان : (في اسطورة نجفية) امرأة تظهر ، ليـلا ، ملثمـة ·· ويشاهدها بعض الناس ·
- بنت الجبل : (١) نوع من التمور العراقية · (٢) صوت يرجـع الى الصائح ولا حقيقة له ، وضربوها مثلا للرجل يكون مع كل واحـد ، فقالوا : (كبنت الجبل مهما يقل تقل) (٣) الحصاة · (راجع ايضا : ابنة الجبل) ·
- بنت جبيل : بلدة في لبنان (قضاء صور) ·
- بنت الجدل : الحقيقة ·
- بنت الجرف : (في اللهجة العانية بالعراق) الصدى · والجرف هـو ضفة النهر او شاطئه ·
- بنت الجعيفني : فرس أصيلة كانت معروفة في ساحة سباق الخيـل ببغـداد ·
- بنت الجهف : الصدى · والجهف هو الكهف ، وهذه الكناية لا تزال مستعملة في عانة ·
- بنت الحارث بن عبـاد : كانت ممن يتمثل بهـا من النسـاء في الشرف والجمال · قالت امرأة من بني مرة :

جاءوا بحارثة الضباب كأنما   جاءوا ببنت الحارث بن عباد

- بنت الحان : الخمرة ·
- بنت الحبقبق : وهي ام الفضل كريمة بنت عبدالوهاب القرشـــية

الزبيرية ، وكانت عالمة بالحديث والفقه . ولدت في حدود ٥٤٥ هـ بدمشق وتوفيت سنة ٦٤١ هـ .

- بنت الحصير : جنس من البق .
- بنت الحصيين : نوع من البق منتن الريح .
- بنت الخالة : في الامثال البغدادية : (الخالة وبنت الخالة والغريب عالفضالة) ، وعالفضالة : على الفضالة ، وهي نفاية الطعام . يضرب في ان الاقربين اولى بالمعروف .
- بنت الخليفة : (١) نوع من التمور العراقية . (٢) شخصية لعبت دورا كبيرا في حكاياتنا الشعبية .
- بنت دجلة : السمكة . (راجع ايضا : بنات دجلة) .
- بنت الدروز : القمل .
- بنت الدن (أو الدنان) : الخمرة . قال الرصافي :

  بنت فن غنت لنا فسقتنا   من أفانين لحنها بنت دن .
- بنت الدهان : نوع من التمور العراقية .
- بنت الدهر : الحمى . قال المتنبي :

  أبنت الدهر عندي كل بنت   فكيف وصلت أنت من الزحام
- بنت الدواهي : الحية .
- بنت رجلها : هي من كانت من الزوجة الاخرى .
- بنت رخا : توقيع مستعار ينشر صاحبه صفحات كاريكاتورية في مجلة آخر ساعة القاهرية .
- بنت رسطاليس : المدرسة . ورسطاليس هو الفيلسوف الاغريقي ارسطو طاليس .
- بنت الرقم : الداهية .
- بنت الرمل : البقرة الوحشية .
- بنت الريف : اسم اشتهرت به المغنية الغجرية سورية حسين التي تقدم حفلاتها من تلفزيون بغداد .
- بنت الزوج : هي من كانت من الزوجة الاخرى .
- بنت الزوجة : الولد من الزوج الاخر ، وهي — في القرآن الكريم — من الربيبات في الحجور اللاتى جعلهن الله من المحرمات . (سورة النساء، آية ٢٢) .
- بنت الساعة : الفكرة الطارئة ، أو حدث اليوم ، أو الخيال الجديد . ويقول البغاددة : (بنت ساعتها) للفكرة المرتجلة .
- بنت السبع : نوع من التمور العراقية ، يؤكل خلالا ورطبا .
- بنت السبيل : المسافرة المحتاجة .
- بنت سعد الاغضب : أول شهيدة عربية في ردفان بعدن ، قتلها الانكليز .
- بنت السقا : دويبة صغيرة ذات جناحين مرقشين .

- بنت السلطان : شخصية كثيرة الشيوع في حكاياتنا الشعبية .
- بنت سهلان : نوع من التمور العراقية .
- بنت السودان : عطر معروف تنتجه شركة بوش Bush اللندنية.
- بنت السودة : نوع من التمور العراقية .
- بنت السير : الابل .
- بنت الشاطيء : اسم اشتهرت به في دنيا الادب الدكتورة عائشة عبدالرحمن .
- بنت شفة : الكلمة .
- بنت الشمس : (١) كناية عن المرأة الجميلة . قال الشيخ جلال الحنفي:
  انها بنت الشمس تطلع في الارض فتأبى بعد الطلوع الافولا
  (٢) الارض . قال الرصافي :

ثم ان الارض من بعد الجمود ولدت منها وليست بالولود
قمرا دار عليها بسعود وجلا في الليل عنها الظلما
فهي بنت الشمس اخت القمر

- بنت الشيخ : نوع من التمور العراقية . (راجع ايضا : بنات الشيخ)
- بنت شيخ أحمد : زاهدة عراقية . وفي سامراء تكية عرفت باسمها تقع في شارع الشهيد قحطان الممتد من باب الصحن حتى دائرة البريد.
- بنت شيخ كاظم : بئر عرفت بهذا الاسم تقع في منطقة أراضي المسيرة بالجزيرة في سامراء .
- بنت صاحب الضيعة : لها شأن مع كسرى في احدى حكايات الالف ليلة وليلة .
- بنت الصباغ : (١) قصة فكاهية من قصص الاستاذ كامل كيلاني .
  (٢) طير ازرق الرقبة ، يكثر وجوده في الكويت .
- بنت صفا : في الامثال العربية : بنت صفا تقول عن سماع . وهي مثل قولهم : بنت الجبل ، ويعنون بها الصدى . وضربوه لمن لايدعى الى خير أو شر الا أجاب كما ان صدى الجبل يجيب كل صوت .
- بنت الصقر : نوع من التمور العراقية .
- بنت الصكلاوي : فرس أصيلة لاتزال في حيازة حسين المطر في سامراء.
- بنت صور : امرأة اشتهرت في التاريخ باسم كارتيج Carthage
- بنت الصياد : لها شأن مع ابن الملك في قصص ألف ليلة وليلة .
- بنت طبق : حية صفراء تخرج من السلحفاة ، وقيل انها حية عظيمة تنام ستة أيام ، ثم تستيقظ في اليوم السابع ، فلا تنفخ في شيء الا اهلكته . ومنه قيل للداهية : احدى بنات طبق . وفي الامثال العربية: جاء باحدى بنات طبق . يضرب للرجل يأتي بالامر العظيم . (راجع ايضا : بنات طبق) .
- بنت الطرف : الطرف : الحارة او المحلة وهي تتمتع بحصانة ادبية من

أذى الغريب ، وعلى هذا أكثر محلات بغداد ٠

- بنت الطير : نوع من السمك ، معروف في الكويت ، وهي تشبه الطائر ، ولذلك سميت به ٠
- بنت الظنون : المرأة التي في نسبها شبهة ٠ قال عبد الملك بن عمير : السوآء بنت السيد أحب الي من الحسناء بنت الظنون ٠
- بنت العامرية : (في اوساطنا الشعبية) ليلى صاحبة قيس ٠
- بنت العبدة : (كناية) الفتاة الذليلة في بيت اهلها ٠
- بنت العراقي : (راجع : ابن بنت العراقي)
- بنت العرب : نوع من التمور العراقية ٠
- بنت العرمرم : هي السيدة زوجة الوزير أبي القاسم ابن المغربي ٠
- بنت العم : (١) مسرحية لعبدالقادر الميلادي ٠ (٢) كناية بغدادية عن الزوجة ٠ وفي الامثال البغدادية : (اليأخذ بنت العم مينندم) ٠٠ أي من تزوج بنت عمه فليس بنادم ٠ يضرب في الحث على الاصهار الى الاقارب ٠ وقيل : (اليستحي من بنت عمه ميجيه ضنا) يضرب للخجول يحول الخجل دون حصوله على منافع كثيرة ٠ وبنت عمه يراد بها الزوجة كائنة من كانت ٠ والضنا : الذرية ، وهي من أصل فصيح ٠ وفي الامثال المغربية : (من اسطحى من ابنة عمو اش تنفس او اولد) ، وأورده الميداني : من استحيا من بنت عمه لم يولد له ولد ٠
- بنت العمدة : فلم عربي مصري ، من ممثليه كمال الشناوي وهاجر حمدي ٠
- بنت العنب : الخمرة ٠
- بنت العنقود : الخمرة ٠ (راجع ايضا : ابنة العنقود) ٠
- بنت العين : الدمعة ٠ (راجع ايضا : بنات العين) ٠
- بنت الفأرة : في الامثال البغدادية : بنت الفأرة حفارة ٠ يضرب للسجية يتوارثها الابناء عن الاباء ٠
- بنت فراش وغطا : (كناية) البنت فوق الظنون والشبهات ٠
- بنت الفرافصة : نائلة بنت الاحوص الكلبية زوجة عثمان بن عفان ٠ كانت خطيبة وشاعرة ، ومن ذوات الرأي والشجاعة ٠ حملت الى عثمان من بادية السماوة فتزوجها وأقامت معه في المدينة ٠
- بنت فكر : ديوان شعر صغير للشاعرة ماريانة مراش (١٨٣٨ ـ ١٩١٩) ، طبع سنة ١٨٩٣ وهو في الغزل والرثاء والمدح ٠
- بنت الفكر : الرأي والشعر ٠ قال بعضهم :

ودونك البكر بنت الفكر قد برزت   من خدرها تخدم الاستاذ سيدنا

- بنت الفكر : في الامثال البغدادية : (بنت الفكر لاتاخذوها تجيب الفكر من بيت ابوها) يضرب في تحاشي الزواج من المملقين اذ ان ذلك

يؤدي الى انتقال تقاليدهم وعاداتهم الى البيت الجديد . وتجيب الفكر تاتي بالفقر .

- بنت الفلاح : (١) في الامثال البغدادية : (بنت الفلاح مترتاح) يضرب في المنتمي الى قوم لايختلف عنهم في شيء ، فكما ان الفلاح متعسب موصول الكد والعناء فكذلك يكون حال ابنته ، وهو يورد مورد التفجع لمن تعلق به المشاكل بسبب صلاته بغيره . (٢) فلم أمريكي من ممثليه لوريتا يونغ وجوزيف كوتن .
- بنت الفن : المغنية . واستعملها الرصافي في شعره عندما مدح ام كلثوم حين زارت بغداد ، والمطربة العراقية منيرة الهوزوز .
- بنت قاطع الخشب : قصة ظهرت في المجموعة الثانية (المكتبة الحديثة للاطفال) التي تصدر في القاهرة .
- بنت القرج : في الامثال الموصلية : (بنت القرج ما تصير خاتون) . والقرج : الغجر . وخاتون كلمة تركية بمعنى سيدة . يضرب للمرأة ليست بذات حسب ونسب تزف الى رجل ذي ثراء وجاه ، فلا تستطيع التصرف كسيدة تليق به .
- بنت قرط : جدة لعبد المطلب وجدة لاسماء بنت أبي بكر .
- بنت قريمزان : هي فاطمة بنت عبدالقادر الحلبية (٨٧٨ ــ ٩٦٦ هـ) انتهت اليها رياسة نساء زمانها بحلب . تزوجها الشيخ كمال الدين الارديلي ، واخذت العلم عنه .
- بنت قضامة : لعبة لاهل المدينة المنورة تعمل من جلود بيض .
- بنت الكبة : من الفاظ منطقة الاعظمية ببغداد ، ويعنون بها المرأة الفاضلة المتخدرة .
- بنت الكرم : الخمرة . (راجع أيضا : ابنة الكرم وبنات الكروم) .
- بنت الگعدة : في الامثال البغدادية : (بنت الگعدة وبنت الشيب لو دللناها مو عيب) وبنت الگعدة هي التي تلدها المرأة آخر ما تلد من الاولاد ، ومن كان كذلك كان حريا من أهله وذويه بالكثير من العناية والاحترام . يضرب في شدة الحرص على شخص عند اليأس من الحصول على مثله .
- بنت الكنيسة : خادمة الكنيسة . قال الشيخ جلال الحنفي :

بنت الكنيسة ما قصيدة شاعر ... يوما معوضة عن الانجيل

(راجع ايضا : بنات الكنيسة) .

- بنت كييف : فلم روسي وضعه تيموفي ليفتشوك .
- بنت اللبون : ابل أتى عليها حولان . (راجع ايضا : ابنة لبون) .
- بنت الماء : وهي الاطوم : سمكة غليظة الجلد تحذى من جلدها النعال وللعرب في الحديث عنها خرافات وأساطير وهي فتاة البحر أو عروسه وتسمى اللطوم واللطم واللطيم .

- بنت المحلة : اعتاد البغاددة أن يقولوا : (بنت المحلة بايرة) وهـــي احدى فتيات الحارة .
- بنت المخاض : فصيلة ابل أتى عليها حول واحد . أو هي الفصيــــل الذي دخل في السنة الثانية لان امه لحقت بالمخاض .. أي الحوامـل وان لم تكن حاملا . أو ما حملت امه . او حملت الابل التي فيها امـه وان لم تحمل هي .
- بنت المرأة : حصيلة الزوج الاخر .
- بنت المشمش : نوع من التمور العراقية .
- بنت المطر : دويبة حمراء تظهر عند المطر واذا نض الثرى عنها ماتت . والعرب تضرب بها المثل ، فتقول : أشد حمرة من بنت المطر . (راجع أيضا : ابنة المطر) .
- بنت الملك : كان لها شان مع ابراهيم الخواص في حكايات ألف ليلـة وليلة .
- بنت المنية : الحمى . قال عبدالصمد بن المعذل :

  وبنت المنية تنتابني هدوا وتطرقني سحره

- بنت الموت : الحمى . ولبعضهم :

  وبنت المـوت بالآلا م والاوجاع تطـرقني

- بنت النارين : المرقة المسخنة . والعجم تقول لمثلها : ذو البخارين . وكان بعض المترفين يقول : جنبوا مائدتي بنت نارين . (راجع ايضا: ابنة نارين) .
- بنت الناس : كناية بغدادية عن الزوجة .
- بنت النبي : فاطمة زوجة الامام علي .
- بنت نجد الناقة الاصيلة .
- بنت النخل : الحمامة المطوقة (الفاختة) كما هو شائع في مدينتـــي الفلوجة والرمادي .
- بنت نخيلة : التمرة .
- بنت النداف : في الامثال البغدادية : (بنت الوزير عالحصير وبنت النداف عالچتاف) يضرب في تقلبات الدهر ومفارقات أحكامه ، فـان بنت الوزير التي عاشت في احضان النعمة والدلال أصبحت لاتملـك غير الحصير تجلس عليها . واما بنت النداف (وهو الذي يحلـــج القطن ويخيط الفرش والالحفة) فانها أصبحت تحمل على الاكتاف رغم ان أباها من سواد الناس ومملقيهم .
- بنت النوخذة : نوع من السمك معروف في الكويت ذو عيون كحيلة .
- بنت الهرگرك : في الامثال السامرائية : (اخذ بنت الحمولة ولا تاخذ بنت الهرگرك) ، وهي التي لانسب لها .

- بنت الهوا : فرس اصيلة في حيازة الحاج حاتم بن الحاج مجيـد في سامراء •
- بنت الهواء : الطيارة
- بنت الهوى : المومس • (راجع ايضا : بنات الهوى) •
- بنت الهيق : النعام •
- بنت ودنه : في العامية المصرية تقول : ضربه على بنت ودنه ، وهي بنت الاذن التي تعني الغدة المجاورة للاذن من وراء الصماخ (النكفـة) • ويقول أهل تونس : (انها بنت ودنك) حين تصدر منك كلمة ليست لك ، وانما سمعتها من شخص يقف وراءك •
- بنت وردان : وهي التي يقال لها في الجمهورية العربية المتحدة خنفس• (راجع ايضا : بنات وردان) •
- بنت الوزير : (راجع : بنت النداف) •
- بنت يعرة : المعزى •
- بنت اليمن : القهوة •

* * *

وبنية تصغير (بنت) ، وهي الطفلة الرقيقة الصغيرة ، ويطلق عليها في المملكة العربية السعودية اسم (البزورة) • وقد ارتدت في العامية البغدادية صيغة (بنية) ، وجمعوها على (بنوات) • واذا أراد أحد أبناء الشعب التنصل من شيء معيب قال : عم اولاد خال بنية !!؟ •• واقتحمت (البنية) أمثـالنا الشعبية ، فقيل : (الولد تربات أبوه والبنية تربات امها) ، وقد ضربوه في ان الولد ينهج نهج أبيه ويتابعه في اسلوب حياته ، وان البنت تتابع سلوك امها وتتجه وجهتها • وتربات بمعنى تربية • وقيل : (البنية مزبلة بالعجل تكبر) •• وضربوه لسرعة نمو البنت ، وهو يعكس نظرة الناس القاسية الى الاناث يومئذ • والمزبلة : مكان القمامة • وقيل : (بنية على بنية ولا الكعدة بطية) ، وضربوه للقناعة والرضى بالامور الزهيدة دون الحرمان • ويفهم من هذا المثل شدة كره النساء للعقم • وقيل : (البنية بلية) وفيه تعبير عن الواقع المأساوي الذي كان يستغرق البنت • وقيل : (مبغوضة وجابت بنية) •• للزوجة تكون موئل الغضب في بيت الزوجية ، وتلد البنات لتزيد نار الحقد اشتعالا في قلب الزوج •

وفي معنى (البنية) قالوا : (بنتاية) ، وصرفوها الى فرخ الدجاجة والى أوتار صوتية يعتقدون بوجودها في الحنجرة ترخم الصوت وترققه • ومن هنا قالوا : (عنده بنتاية) اذا سمعوا مغنيا ذا صوت عذب • وأطلقوا (البنية) على الفتى المتخنث •

وبنو بنية ـ كما هو المشهور ـ بين النسابين بطن يلتحق بعشيرة الغرير • وبنية أيضا بطن من الشعلان ، ومن المرعضي ، ومن الجمعان ، ومن الروالة ، ومن الجلاس ، ومن مسلم ، ومن عنزة •

وبنية باني هو اسم شيخ قبيلة البو باني في هيت • وغضبان البنية هو شيخ عشائر بني لام في العراق •

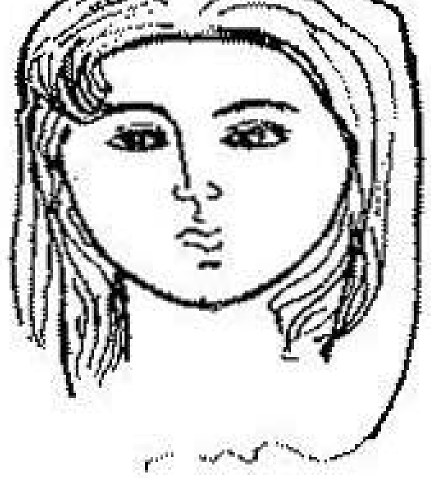
وتجمع (بنية) الفصيحة على (بنيات) ، وهي تدل على جماعة الاطفال الرقاق الصغار • والبنيات ، ايضا ، الاقداح الصغار • وأشارت المعاجم العربية الى (بنيات الطريق) اللاتي يتقمصن معنى الترهات أو الطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة ، أو الصعاب والمعاسف••وقديما كتب عمر بن عبدالعزيز الى الوليد بن عبدالملك : (••• فطالما ركبتم بنيات الطريق) ، كما يقال للرجل اذا وعظ : الزم الجادة ودع بنيات الطريق • وقال محمود الوراق :

تنكب بنيات الطريق وجورها ... فانك في الدنيا غريب مسافر

ومن الكنايات : دع بنيات الطريق •• أي عليك بمعظم الامر وجوهره، وجانب الروغان واللف (راجع أيضا : بنات الطريق)•

والى (بنيتة) ذهبت لهجة الموصل العامية في تصغير (بنت) ، وذكرتها بعض أمثال الموصل ، فقيل : (أقول لبنيتتي دتسمع كنينتي) •

ذلكم هو مركز البنات في الدائرة الحضارية ، وعسى ان اكون قدوفقت بعض التوفيق فيما عرضت •



مقابر قريش
أو
الكاظمية

الشيخ محمد حسن آل ياسين

- ١ -

مدينة الكاظمية ـ أو ما كان يسمى « مقابر قريش » ثم « المشهد الكاظمي » جزء لا يتجزأ من بغداد سابقا ولاحقا ، ولكنه جزء مهمل أدبيا لم يلق أي اهتمام حتى من ابنائه ، ولم ينشر عنه ما يستحق الذكر عدا كراسات صغيرة تدور حول تاريخ المشهد فقط ، وهذه الكراسات أيضا ـ على قلتها ـ قليلة المادة في موضوعها : بحيث لا تكاد تسمن أو تغني من جوع .

ودفعني هذا الاهمال الذي منيت به « الكاظمية » الى التصدي لكتابة تاريخ واسع يشمل سائر جوانب الحياة فيها منذ اتضحت فيها معالم الحياة ، وكانت تلك البحوث والجهود مقسمة على النواحي الآتية :

١ ـ تاريخ المشهد الكاظمي(١) .

٢ ـ تاريخ الكاظمية « البلدة » .

٣ ـ فقهاء الكاظمية .

٤ ـ شعراء الكاظمية .

٥ ـ الاسر العلوية في الكاظمية .

ويسرني اليوم أن أقدم هذا البحث المختصر عن « تاريخ الكاظمية » مستلا من تلك المسودات الكثيرة التي أودعت فيها جهود سنين طويلة من عمر الشباب وأيامه ، آملا أن يوفقني الله تعالى لنشر دراساتي المفصلة عن الكاظمية في وقت قريب ؛ انه سميع مجيب .

وسيجد قارىء هذه الرسالة أثر اهمال المؤرخين للكاظميه بارزا للعيان ، وسيكون هذا الاهمال هو السبب فيما سيلمسه القارىء من بروز بعض الفجوات في اثناء هذا البحث بسبب نقص منابعه الرئيسة الضيقة التي لم تتجاوز النتف المقتضبة والذكر العابر القصير .

وسنقف في هذه الرسالة عند انتهاء الاحتلال العثماني سنة ١٣٣٥ هـ ؛ دون التعرض لما تلا ذلك التاريخ من تطورات وشؤون ، فرارا من التطويل

الذي لا يهم دراسي تاريخ بغداد والمهتمين به من المعاصرين ، وان كنا قد بحثنا هذه الفترة الاخيرة بالتفصيل في كتابنا الكبير ·

ان أول ما نعلمه عن منطقة الارض التي تجثم الكاظمية اليوم في طرفها الشرقي انها كانت - برواية بعض المؤرخين - جزءا قريبا من الحدود الفاصلة بين دولة الآشوريين من شمالها والكشيين من الجنوب في العصور البابلية الاولى ؛ أي قبل الميلاد ببضعة عشر قرنا ، ويرى ان منازعات وحروبا قد وقعت فيها أو قريبا منها بين الدولتين(٢) ·

والظاهر ان هذه المنطقة قد حظيت - لسبب أو لآخر - باهتمام خاص من حكومة الكشيين ، بحيث نجد أن الملك كوريكالزو الاول ملك الكشيين يومئذ قد بالغ في العناية بهذا الجزء من رقعة ملكه ببنائه لمدينة « عقرقوف » العظيمة التي كانت تسمى آنذاك « دور - كوريكالزو » · ولا تزال آثارها باقية حتى اليوم في جوار الكاظمية على نحو ستة أميال عنها من جهة الغرب ، وهي تنطق بالمهارة الفائقة المبذولة في بناء هذه المدينة الكبيرة وصرحها الشاهق ·

وتدلنا ضخامة أبنية المدينة وجودة بنائها والاسراف فيه على أنها ظلت مأهولة بالسكان حينا طويلا من الدهر ، يرجح كثيرا أنها كانت عاصمة السلالة الكشية منذ بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد والى نهاية تلك السلالة ·

وبهذا تصبح « عقرقوف » ممثلة لعهد من عهود العراق القديمة التي تعد مصادر معرفتنا به قليلة جدا ، بحيث يكاد يكون من هذه الناحية من العهود المظلمة المجهولة ، على الرغم من كونه من العهود المهمة في تاريخ العراق بوجه خاص وتاريخ الشرق الادنى بوجه عام(٣) ·

ومما يقال عن الابنية المتأخرة بعد سقوط السلالة الكشية انها قليلة المعالم ولا سيما في قصور المدينة ، وتشير القبور الموضوعة تحت الجرار - مما يشاهد بعضها الزائر الان في موضع القصور - الى أن المستوطنين المتأخرين في منطقة المعابد وفي المواضع الاخرى في العهود الاخمينية والفرثية والساسانية والعربية قد استعملوا التلول المرتفعة في منطقة القصور مقابر لدفن موتاهم(٤) ·

وهكذا تظل « عقرقوف » هي الاثر الاول الذي وصل الينا علمه في أصل الارض التي سميت بعض أطرافها بـ « مقابر قريش » ثم « مشهد باب التبن » ثم « المشهد الكاظمي » فـ « الكاظمية » بعد ذلك بعشرات القرون ·

وبقيت هذه الارض مجهولة الحقيقة في العهود التالية للعهد الكشي كالعهد السلوقي والاخميني والفرثي والساساني ، وان رجح في أكثر الظن انها كانت موضع العناية والرعاية ؛ وغير خالية من الحياة والسكان ؛ ولو لغرض الزراعة في الاقل ·

ويتضح من دراسة الانهار والقرى والمدن المحيطة بدجلة ابتداءا من

« دور ـ كوريكالزو » في الشمال الغربي حتى « المدائن » في الجنوب الشرقي ان المنطقة التي شيد المنصور مدينته عليها ـ وهي منطقة بغداد بجانبيها الغربي والشرقي ـ كانت عامرة بريها ومزارعها منذ أقدم العصور[٥] . وأرض الكاظمية الحالية كانت جزءا من هذه المنطقة العامرة الخضراء بلا شك ، وان لم نكن نعرف شيئا من تفصيل ذلك .

وترشدنا كتب البلدان الى أن القرى والمدن الواقعة جنوب أرض الكاظمية وشرقيها وجنوبها الغربي ـ قبل الاسلام ـ كانت كثيرة متعددة تتسلسل وتتلاحق حتى تصل الى مدينة « المدائن » الضخمة شرقي دجلة و « سلوقية » الكبرى غربيها ، وكلتا المدينتين الاخيرتين عاصمة كبيرة لدولة كبيرة ، وتعد من العواصم الفخمة الرائعة في تلك العهود .

ومن أقرب تلك القرى الى أرض الكاظمية قرية « سونايا » التي كانت واقعة في الجنوب الشرقي للكاظمية الحالية ، وهي « قرية قديمة كانت ببغداد ، ينسب اليها العنب الاسود الذي يتقدم ويبكر على سائر العنب مجناه ، ولما عمرت بغداد دخلت هذه القرية في العمارة وصارت محلة تعرف بالعتيقة لذلك ، وبها مشهد لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه »[٦] يعرف بمشهد المنطقة »[٧] ، وما زالت تسمى حتى اليوم بـ ـ المنطقة ـ بين الكاظمية والكرخ .

وآخر عهد بأرض الكاظمية قبل بناء بغداد انها كانت تسمى « الشونيزي » ، ويرجح أن تكون هذه التسمية قد أطلقت بعد انتهاء العهد الساساني لان التسمية عربية ، والشونيز في اللغة هو الحبة السوداء والنسبة اليها شونيزي .

ويروي الخطيب البغدادي سبب هذه التسمية فيقول : « سمعت بعض شيوخنا يقول : مقابر قريش كانت قديما تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير ، والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير ، وكان أخوان يقال لكل واحد منهما ـ الشونيزي ـ فدفن كل واحد منهما في احدى هاتين المقبرتين وتسمت المقبرة اليه »[٨] .

ويستفاد من روايات بعض المؤرخين أن المنطقة المجاورة لموضع المشهد الكاظمي الحالي من جهة الشرق كانت قبل انشاء مدينة المنصور بستانا لبعض ملوك فارس ، ثم اقطعها المنصور عمارة بن حمزة أحد مواليه ، وسميت بذلك دار عمارة[٩] .

* * *

وفي عام ١٤٥ هـ ابتدأ المنصور العباسي بتأسيس مدينته المدورة بغداد[١٠] ، وكان قد سبق له الخروج بنفسه لارتياد موضع يسكنه « ويبني فيه مدينة له ولعياله ولاهله ولجنده ، فانحدر الى جرجرايا واصعد الى الموصل ، ثم أرسل جماعة من الحكماء ذوي اللب والعقل وأمرهم بارتياد موضع ، فاختاروا له مدينته التي تسمى مدينة المنصور ، وهي بالجانب

الشربي ... ، فحضر الى هناك واعتبر المكان ليلا ونهارا فاستطابه وبنى به المدينة »(١١) .

واستتم البناء في رواية الخطيب البغدادي في سنة ١٤٦ هـ(١٢)، ثم استتم بناء سور المدينة وفرغ من خندقها وسائر شؤونها في سنة ١٤٩ هـ(١٣) .

ولما انهى المنصور عمارة مدينته اقتطع مقبرة الشونيزي الصغير المجاورة لمدينته من جهة الشمال فجعلها مقبرة(١٤) ، ولعله اعتبرها خاصة بعائلته واسرته فأسماها « مقابر قريش » ، وربما اختار لفظ « قريش » ليشير الى مشاركة العلويين والعباسيين في الدفن فيها ، وقد تسمى أيضا « مقابر بني هاشم »(١٥) ، ويروي الشيخ المفيد انها كانت مقبرة لبني هاشم والاشراف من الناس(١٦) .

ومع مرور الايام درس اسمها « الشونيزي الصغير » واشتهرت باسمها الجديد « مقابر قريش » .

وكان أول من دفن في هذه المقابر جعفر الاكبر بن أبي جعفر المنصور ، وذلك في سنة ١٥٠ هـ(١٧). ثم توالى فيها الدفن بعد ذلك(١٨) .

والظاهر أن أول بناء اسلامي حدث في هذه الارض - المقبرة - هو قبة جعفر ، وقد فهمنا وجودها من قول بعض المؤرخين عند ذكرهم وفاة الامام موسى بن جعفر - ع - : « ودفن في مقابر الشونيزية خارج القبة »(١٩) .

ولا شك ان المقصود بالقبة قبة جعفر بن المنصور لانه أول من دفن في هذه المقبرة ، وكانت وفاته في حياة أبيه ، بل لم يدفن فيها قبل الامام الكاظم من هو أشهر من جعفر .

وفي عام ١٨٣ هـ لخمس بقين من رجب توفي الامام موسى(٢٠) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وكان قد دس اليه السم من قبل السندي بن شاهك فقضى عليه(٢١) . وحمل جثمانه الطاهر الى مقابر قريش فدفن هناك حيث قبره الشريف الان .

وذهب بعض المؤرخين الى أنه « دفن في موضع كان ابتاعه لنفسه في مقابر قريش »(٢٢) ، ولم أعثر على ما يؤيد ذلك في أصول التاريخ الاخرى ، فان صحت هذه الرواية فانها لتدل على مقدار ما حظيت به هذه الارض من الاهمية خلال مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة عقود من السنين .

واشتهر مدفن الامام بعد ذلك باسم « مشهد باب التبن » نسبة الى باب التبن الذي كان في شرقيه مما يقرب من دجلة(٢٣)، كما ان المسجد المجاور لقبر الامام -ع- كان يسمى « مسجد باب التبن » ايضا(٢٤) .

وفي عام ٢٢٠ هـ في آخر ذي القعدة أو لخمس أو لست خلون من ذي الحجة توفي ببغداد الامام أبوجعفر محمد الجواد(٢٥) بن علي الرضا بن موسى بن جعفر عليهم السلام ، ودفن في تربة جده ابي ابراهيم موسى بن جعفر -ع-(٢٦) .

وأصبح السكن حول مقابر قريش - بعد أن صارت مدفنا للامامين الكاظم والجواد - ع - في ازدياد واتساع على مرور الايام ، وان لم نعثر في المصادر التاريخية على نص خاص بحدد تاريخا تحقيقيا أو تقريبيا لبدء السكنى هناك .

والواقع أننا لو انعمنا النظر جليا في الموقع الجغرافي لـ « مقابر قريش » اوانذاك من حيث قربها من دجلة وجودة تربتها ومجاورتها للقرى والارياف والمزارع الوارفة الظلال لخرجنا بترجيح يشبه الاعتقاد الى كون السكنى في هذه المنطقة قديما قدم الماء والخضراء ولكنه متفرق مشتت على النحو المألوف في المناطق الزراعية ، ثم ازداد اتساعا بعد تأسيس المنصور مدينته قريبة منها واختيارها عاصمة للدولة العباسية ، ثم أخذ طريقة التجمع والتقارب بعد دفن الامامين - ع - ، حيث دفعت العقيدة الدينية بعض الناس الى السكنى حول المشهد لحمايته وادارته وايواء زائريه اضافة الى قصد الانتفاع المادي من اولئك الزائرين بتقديم المأكل والمشرب والمأوى لهم. وكان هذا التجمع حول المشهد هو النواة الاولى لمدينة الكاظمية .

ويستفاد من مجموع النصوص التاريخية المتعلقة بالعصر العباسي الاول ان هذه المنطقة المغمورة قد قفزت قفزات واسعة الى الامام فاصبحت جزءا متصلا ببغداد خلال هذا العصر ؛ بل محلة من محلاتها ، وصارت تحدد أوانذاك بكونها بين الحربية ومقبرة ابن حنبل والحريم الطاهري(٢٧)، في الوقت الذي كانت فيه بغداد - في رواية ابن حنبل - من الصراة الى باب التبن ثم زيد فيها حتى بلغت كلواذا والمخرم وقطربل(٢٨).

ومعنى ذلك انها كانت متصلة بالمحلات الآتية :

١ - باب التبن : وهو محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بازاء قطيعة أم جعفر ، ويلتصق هذا الموضع في مقابر قريش ، وكانت في عصر ياقوت خرابا صحراء يزرع فيها(٢٩).

٢ - قطيعة أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور : محلة ببغداد عند باب التبن قرب الحريم(٣٠) .

٣ - الحريم الطاهري : وهو بأعلى بغداد في الجانب الغربي منسوب الى طاهر بن الحسين ، ويروي ياقوت أن العمارات كانت متصلة وهو في وسطها ، ثم خرب جميع ما حوله وبقي كالبلدة المفردة في وسط الخراب(٣١).

٤ - دار عمارة : منسوبة لعمارة بن حمزة أحد موالي المنصور ، ويتصل بها ربض ابي حنيفة وربض عثمان بن نهيك ؛ وهو ما بين دار عمارة ومقابر قريش(٣٢) .

٥ - ربض أبي حنيفة أحد قواد المنصور : محلة كانت ببغداد قرب الحريم الطاهري تتصل بباب التبن من مقابر قريش(٣٣).

٦ - الحربية : وهي محلة مشهورة كبيرة عند باب حرب تنسب الى ياقوت وبقيت وحدها كالبلدة المفردة في وسط الصحراء(٣٤).

حرب البلخي من قواد المنصور ، خرب جميع ما كان يجاورها في عصر
ومن هذا كله يتضح أن مقابر قريش بعد أن أصبحت تعد جزءا من بغداد ومحلة من محلاتها صارت منطقة عامرة بالسكان زاخرة بالعمران شأنها في ذلك كشأن سائر المحلات البغدادية الشرقية والغربية .

وفي أوائل القرن الرابع كانت المنازل حول مقابر قريش كثيرة متعددة ، وكان بعض تلك المنازل مشتملا على عدة حجر ولكل حجرة باب أو أكثر ، ويرشدنا الى ذلك ما رواه مسكويه في حوادث سنة ٣١٢هـ(٣٥) .

* * *

وفي عام ٣٣٤هـ دخل معز الدولة البويهي بغداد فاتحا لها بالقوة ، وكان من جملة أعماله خلال أيام ملكه تشييد المرقد الكاظمي تشييدا رائعا في عمارته ، وأمر بانزال جماعة من الجنود الديالمة ومعهم أفراد من المراوزة هناك لغرض الخدمة والحفاظ على الامن(٣٦)، وكان ذلك سببا جديدا لتوسع السكن وانتشار الدور حول المشهد .

وكان من جملة آثار استتباب الامن في العهد البويهي والتصاق - أو اندماج - مقابر قريش ببغداد ذهاب الناس في أعداد هائلة اليها في الجمعات والمواسم والمناسبات الدينية ، ولابد أنه كان في المشهد وحوله من محلات الراحة والاكل والشرب والوقاية من البرد والمطر وشمس الصيف ما يناسب تلك الاعداد الضخمة التي كانت تهرع الى المشهد في كل مناسبة دينية كذكرى عيد الغدير(٣٧) وذكرى مقتل الحسين - ع - يوم عاشوراء(٣٨) وفيما شابه ذلك من المناسبات(٣٩) .

وفي سنة ٣٦٧هـ أصيبت البلدة بالغرق(٤٠) ولم تصلنا تفاصيل ذلك .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع تأصل السكن في هذه المدينة حتى صح أن يطلق على المقيمين هناك اسم السكان . كما حدث عندما امر عضد الدولة باطلاق الصلات لاهل الشرف وغيرهم من ذوي الفاقة(٤١) .

وكان من أسباب ازدياد العمران في هذه المدينة الصغيرة الناشئة أن أبا طاهر سباشي الملقب بالسعيد حاجب شرف الدولة بن عضد الدولة قام بحفر ذنابة لنهر دجيل وسوق الماء منها الى مشهد موسى بن جعفر - ع -(٤٢)، وكان ذلك ما بين عامي ٣٧٦ - ٣٧٩هـ وهي أعوام مكث شرف الدولة ببغداد .

ويستفاد من النصوص التاريخية المتعلقة بتلك الفترة تزايد السكان حول المشهد في أواسط القرن الخامس، وان كثيرا منهم من العلويين ، كما يستفاد منها أيضا وجود دور للسكنى داخل سور المشهد ودور خارجه(٤٣) ، وجاء في رواية ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٠هـ ما نصه : « وحمل الخليفة الى المشهد بمقابر قريش وقيل له : تبيت فيها ، فامتنع وقال : هؤلاء العلويون الذين بها يعادونني »(٤٤) .

وفي غرق سنة ٤٦٦هـ - وكان بالغ الخطر - تهدم سور المشهد[٤٥]، وتقضي العادة بتأثر ما يحيط بالمشهد من الدور بالماء ، ولكننا لم نعرف تفصيله .

وفي عام ٤٩٠هـ قام محمد مجد الملك أبو الفضل أسعد البراوستاني القمي بعدة أعمال عمرانية في المشهد ، كان من جملتها تشييد دار الى جانب المشهد لاستراحة الزائرين[٤٦] .

وفي فتنة سنة ٥١٧هـ جاء العلويون الساكنون حول المشهد الى ديوان الخليفة يشكون ما أصابها وما أصاب المشهد[٤٧] ، وهو الامر الذي يدل على سكنى جماعة كبيرة منهم هناك .

وتأثرت بلدة المشهد الكاظمي بغرق سنة ٥٥٤هـ[٤٨] ثم بغرق سنة ٥٦٩هـ ، وكان الغرق الثاني شديدا جدا أدى الى هدم البيوت وأكثر سور المشهد[٤٩] .

وفي الثلث الاخير من القرن السادس كان للمشهد أهل في كلمات المؤرخين فيقال : « أهل مشهد موسى بن جعفر -ع- » كما يقال أهل المختارة وأهل الكرخ ، وكانوا كثيري العدد ، ويروى أن نائب الوزارة ابن العطار أساء اليهم بقسوة بالغة وقطع أرزاقهم وبدد شملهم[٥٠] .

ولما حدث فيضان سنة ٦١٤هـ أثر في مدينة المشهد أثرا بالغا[٥١] ، وكذلك فيضان سنة ٦٤٦هـ وكان هائلا جدا[٥٢] وفيضان سنة ٦٥٤هـ[٥٣] .

* * *

ويحسن بنا وقد انتهينا الى أواسط القرن السابع أن نقف قليلا لنرى مقدار ما طرأ على هذه المنطقة من تطور وتقدم خلال العصر العباسي الطويل الحافل . والمشاهد أن هذه الارض قد سارت بخطى سريعة في طريق الازدهار ، فانتقلت - في فترة قصيرة من عمر الزمان - من مقبرة خاصة ببني هاشم أو القرشيين والاشراف من الناس الى مشهد زاهر خاص بالامامين الكاظم والجواد - عليهما السلام - ، ثم الى محلة من محلات بغداد العامرة المشهورة ، وأخيرا الى مدينة قائمة بنفسها فيها كل معالم المدن ومرافقها الرئيسة .

وهكذا انطوى العصر العباسي وبلدة المشهد الكاظمي « محلة عامرة ، فيها خلق كثير ، ذات سور ، مفردة »[٥٤] .

ولم نعثر فيما بين أيدينا من مصادر على تحديد لتاريخ انفرادها عن بغداد وصيرورتها مدينة ذات كيان خاص ، ولكن الراجح أن ذلك قد تحقق في أواسط القرن الخامس اثر الفتن والاضطرابات التي عمت العراق وخصت بغداد نفسها فدمرت البلاد وأشاعت الخراب حتى بلغ الامر بهلال بن المحسن المعروف بابن الصابيء المتوفى سنة ٤٤٨هـ أن يقول : « عبرت الى الجانب الشرقي من مدينة السلام بعد الاحداث الطارئة فرأيت ما بين سوق السلاح والرصافة وسوق العطش ومربعة الخرسي والزاهر وما في

دواخل ذلك ورواصفه قد خرب خرابا فاحشا حتى لم يترك النقض جدارا قائما ولا مسجدا باقيا . وأما بين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراسا كليا ، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة في الصحراء بعد أن كانا وسط العمارة »(٥٥) .

ومما سلف ذكره يظهر أن ابتداء انفراد الكاظمية عن بغداد مرتبط بابتداء ضمور بغداد وانكماشها وخرابها ، حيث ان خراب بغداد قد ابتدأ في القرن الخامس أو أواخر الرابع(٥٦) فان مبدأ استقلال مدينة الكاظمية كان في هذا التاريخ أيضا ، ولما كان تعيين النقباء الخاصين بالمشهد الكاظمي قد ابتدأ من أوائل القرن الخامس ولم يكن قبل ذلك فهو يشعر ببدء انفراد الكاظمية مقرا لسكناها كـ « بني الحداد » و « بني نازوك » و « بني الحطب » و « بني العقروق »(٦٧) وكثيرين غيرهم .

ومهما يكن من أمر ، فان بلدة المشهد الكاظمي قد أصبحت في أخريات العصر العباسي مدينة مفردة تضم سائر مقتضيات المدن ومرافقها من دور وسكان وعمارة ومؤسسات . ونوجز في أدناه — لزيادة الايضاح — جريدة ببعض تلك المشتملات :

كان المشهد في وسط المدينة قريبا من طرفها الشمالي الغربي ، وقد اشتمل على : قبة فخمة . صندوقين من الخشب الجيد على القبرين . أبهاء وأروقة حول الروضة . أبواب متعددة . صحن فيه حجر وايوان واحد أو أكثر . ترب كثيرة حول المشهد . سور يحيط بالمشهد كله(٥٧) .

وكان من جملة ما ضمته المدينة بين جوانحها :

دار للايتام(٥٨) .

دار قرآن لتعليم الخط والقراءة(٥٩) .

موضع لدراسة الفقه والحديث(٦٠) .

مكتبة(٦١) .

دار لاستراحة الزائرين(٦٢) واطعامهم في شهر رمضان في الاقل(٦٣) .

مارستان «مستشفى» فيه الادوية والاشربة والمعاجين(٦٤) .

نقيب يشرف على شؤون المشهد والبلدة(٦٥) .

وكانت المناسبات الدينية —في هذه الفترة الاخيرة من العصر العباسي— غاصة بجماهير الزائرين ، وفيهم الخليفة ووزراؤه(٦٦) .

ثم كانت أسر علوية كبيرة — في هذه الفترة أيضا — قد اختارت الكاظمية مقرا لسكناها كـ « بني الحداد » و « بني الحطب » و « بني العقروق »(٦٧) وكثيرين غيرهم .

كما كان من جملة سكانها أعلام فقهاء وادباء مبرزون ورجال دين لامعون عرفنا منهم أفرادا وضاع عنا الباقون بسبب اهمال التاريخ لهم أو نسبتهم الى بغداد تغليبا لها على كل ما كان يجاورها من محلات ومواضع . وهؤلاء ممن عرفنا منهم :

١ ــ الفقيه محمد بن الحسن العلوي الحسيني الذي يروي عنه السيد علي آل طاووس بواسطة محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي(٦٨) ، ولعله محمد بن الحسن بن أحمد المنتهي نسبه الى زيد الشهيد ، والمعروف بلقبه بهاء الشرف نجم الدين(٦٩) .

٢ ــ أبو الحسن علي بن زيد بن محمد بن العباس ، المعروف بابن صفية ، وكان القرامطة قد أسروا جده محمد بن العباس سنة ٣٢٣هـ(٧٠) .

٣ ــ الناصر العلوي الموسوي الشاعر(٧١) .

٤ ــ الوزير أبو الحسن ناصر بن مهدي العلوي ، الذي تقلد الوزارة في سنة ٥٩٢هـ وعزل منها سنة ٦٠٤هـ وتوفي سنة ٦١٧هـ(٧٢) .

٥ ــ الفقيه صفي الدين محمد بن معد الموسوي المدرس بالمشهد الكاظمي(٧٣) ، وعلى الرغم من عدم وجود نص يصرح بسكناه ــ بل أن داره كانت ببغداد ــ(٧٤) فان طبيعة عمله ــ أيام عهد اليه بالتدريس ــ تقتضي ذلك .

٦ ــ السيد علي رضي الدين آل طاووس المتوفى سنة ٦٦٤هـ(٧٥) .

مضافا الى نقباء المشهد الذين كانت نقابتهم وواجباتهم تفرض عليهم ذلك .

ومن خلال الكتب والمصادر القديمة عرفنا أفرادا سكنوا بلدة المشهد قبل احتلال المغول بغداد ، ولكننا لم نعرف من أخبارهم وحقيقة شأنهم وطبيعة عملهم شيئا ، نذكر منهم :

١ ــ محمود بن محمد(٧٦) .

٢ ــ حيدر بن الحسن بن علي بن علي ــ مكررا ــ بن الحسين الاشقر(٧٧) .

٣ ــ ذرية علي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن عبيد الله الخامس(٧٨) .

٤ ــ عقب أبي محمد الحسن بن أبي البركات يحيى بن أبي محمد الحسن بن أبي البركات سعد الله العلوي(٧٩) .

وهكذا يدخل عام ٦٥٦هـ وليس لدينا من المعلومات التاريخية ما يزيد على ما أسلفناه .

(البقية في العدد القادم)

---

(١) نشرنا خلاصة الفصل الاول منه في مجلة سومر : ١٨/١١٩ــ١٢٨ .

(٢) مجلة الاصلاح : ملحق العدد الاول .

(٣) دليل تاريخي على مواطن الآثار : ٢٧ــ٣٠ .

(٤) عقرقوف : ٨ .

(٥) بغداد قديما وحديثا : ٤٠ .

(٦) معجم البلدان : ١٧٩/٥ .

(٧) مراصد الاطلاع : ٢٢٩ ـ طبع ايران ـ ٠
(٨) تاريخ بغداد : ١٢٢/١ ومثله في وفيات الاعيان : ١٠٣/٢ ٠
(٩) معجم البلدان : ١٠/٤ ٠
(١٠) تاريخ الطبري : ٢٣٤/٦ وتاريخ بغداد : ٦٦/١ ٠
(١١) الفخري : ١٣٨ ـ طبع دار المعارف بمصر ـ ٠
(١٢) تاريخ بغداد : ٦٦/١ ٠
(١٣) تاريخ الطبري ٢٨٥/٦ ٠
(١٤) معجم البلدان : ١٠٧/٨ ٠
(١٥) الطبري : ٣٠١/٦ وكشف الغمة : ٢٤٩ والبداية والنهاية : ١٠٧/١٠ ٠
(١٦) الارشاد : ٣٢٣ ـ طبع ايران ـ ٠
(١٧) الطبري : ٢٨٨/٦ وتاريخ بغداد : ١٢٠/١٠ ٠
(١٨) دفن فيها الهيثم بن معاوية سنة ١٥٦ والخيزران ام الرشيد ـ على رواية ابن الاثير ـ سنة ١٧٣ والقاضي ابو يوسف الانصاري سنة ١٨٢ هـ ٠
(١٩) وفيات الاعيان : ٣٩٥/٤ ٠
(٢٠) الطبري : ٤٧٢/٦ وتاريخ بغداد : ٣٢/١٣ والكامل : ١٠٨/٥ ووفيات الاعيان : ٣٩٥/٤ والبداية ١٨٣/١٠ ٠
(٢١) الارشاد : ٣٢٣ ٠
(٢٢) اثبات الوصية : ١٦٤ ـ طبع النجف ـ ٠
(٢٣) معجم البلدان : ١٤/٢ ٠
(٢٤) صدى الفؤاد : ١١ ٠
(٢٥) الاشارة : ٣٣٩ وتاريخ بغداد : ٥٥/٣ والفصول المهمة : ٢٥٧ وتذكرة الخواص : ٣٧٣ ووفيات الاعيان : ٣١٥/٣ ٠
(٢٦) اثبات الوصية : ١٨٦
(٢٧) معجم البلدان : ١٠٧/٨ ٠
(٢٨) معجم البلدان : ٣٣١/٢ ٠
(٢٩) معجم البلدان : ١٤/٢ ٠
(٣٠) معجم البلدان : ١٣٩/٧ ٠
(٣١) معجم البلدان : ٢٦٥/٣ ٠
(٣٢) معجم البلدان : ١٠/٤ ٠
(٣٣) معجم البلدان : ٢٣٣/٤ ٠
(٣٤) معجم البلدان : ٢٤٥/٣ ٠
(٣٥) تجارب الامم : ١٣١/٥ ٠
(٣٦) صدى الفؤاد : ١١ ـ ١٢ ٠
(٣٧) تجارب الامم : ٢٠٠/٦ ـ هامش ـ ٠
(٣٨) الكامل : ٥٣/٨ والمنتظم : ٦٢/٨ و ١٤٠ ٠
(٣٩) تجارب الامم : ٤٠٧/٦ والنجوم الزاهرة : ٤٩/٥ ٠
(٤٠) الكامل : ٩٣/٧ ٠
(٤١) تجارب الامم : ٢٠٧/٦ ٠
(٤٢) فرحة الغري : ١٣ ـ طبع النجف ـ ٠
(٤٣) الكامل : ٥٩/٨ ٠
(٤٤) المنتظم : ١٩٤/٨ ، ويراجع نفس الجزء : ٢١٢ ٠
(٤٥) الكامل : ١١٩/٨ والمنتظم : ٢٨٦/٨ ٠

(٤٦) صدى الفؤاد : ١٤ .
(٤٧) الكامل : ٨/٣١١ والمنتظم : ٩/٢٤٣ .
(٤٨) مرآة الزمان : ٨/٣٥٩ ـ طبع حيدرآباد ـ .
(٤٩) المنتظم : ١٠/٢٤٥ .
(٥٠) مرآة الزمان : ٨/٣٥٩ .
(٥١) الكامل : ٩/٣١٦ .
(٥٢) الحوادث الجامعة : ٢٣٠ .
(٥٣) الحوادث الجامعة : ٣١٧ .
(٥٤) معجم البلدان : ٢/١٤ و ٨/١٠٧ .
(٥٥) مختصر مناقب بغداد : ٣٣ ، ويراجع في بيان خراب بغداد في ذلك الوقت تاريخ بغداد : ١/١٠٥ وبغداد قديما وحديثا : ١٥٠ .
(٥٦) أحسن التقاسيم : ١٢٠ .
(٥٧) كتابنا « تاريخ المشهد الكاظمي » ويراجع مجلة سومر : ١٨/١١٩ ـ ١٢٨
(٥٨) الفخري : ٢٨٦ .
(٥٩) تجارب السلف : ٣٣٧ .
(٦٠) مرآة الزمان : ٨/٥٥٦ .
(٦١) الاقبال : ٥٩٩ وفرحة الغري : ١٢٣ وتجارب السلف : ٣٣٧
(٦٢) صدى الفؤاد : ١٤ .
(٦٣) الكامل : ٩/٢٩٨ .
(٦٤) تجارب السلف : ٣٣٧ .
(٦٥) كتابنا « تاريخ المشهد الكاظمي » الملحق الثاني .
(٦٦) الجامع المختصر : ٩/١٤٦ والحوادث الجامعة : ٩٥ و ١٨٤ و ١٨٥ .
(٦٧) عمدة الطالب : ٦٨ و ١٨٩ و ٢٥٦ و ٢٨٩ ـ طبع النجف ـ .
(٦٨) فرحة الغري : ١١٧ .
(٦٩) العوائد الرضوية : ٢/٤٥١ .
(٧٠) عمدة الطالب : ٢٥٩ .
(٧١) مرآة الزمان : ٨/٥٠٠ .
(٧٢) الكامل : ٩/٢٩٨ .
(٧٣) مرآة الزمان : ٨/٥٥٦ .
(٧٤) كانت داره بدرب الدواب بنهر المعلى بشرقي بغداد وكان هو ساكنها سنة ٦٠٨هـ وسنة ٦١٦هـ كما في فرحة الغري : ٤١ وشرح نهج البلاغة : ٣/٣٩٠ .
(٧٥) كشف المحجة : ١١١ .
(٧٦) فرج المهموم ١٢٦ .
(٧٧) عمدة الطالب : ٣٠٥ .
(٧٨) عمدة الطالب : ٣٢١ .
(٧٩) عمدة الطالب : ٣٠٠ .

دنيا القلم

رضي مهدي السعيد

عشقت الخيال ودنيا القلم   فلم أجن غير الأسى والندم
وهمت صغيرا بظل الكتاب   وما في السطور انطوى وارتسم
وصاحبت أهل الحجى يافعا   ومن طوفوا في دروب الحكم
فكانت حياتي على ما بها   من الشوق مفعمة بالألم
ومترعة بالهموم الكثار   ولو أن هم العلى خير هم
تعذبني الاحرف الحائمات   بفكري وتعصر روحي الكلم
وترهقني ألسف محمومة   من الخاطرات فأزداد غم
تذوب شفاهي وتنضى يدي   ويظمأ قلبي وكلي حمم
كأني شراع بكف الرياح   يدور فيجذبه المرتطم
ولم يدر في أي واد يحط   به الموج والموج قاع أصم
عباب يلف ومرسى بعيد   وليل دجى وبحر خضم
وريح تسف وأيد تشد   وصار أرى ما وراء الأجم

* * *

حلفت مرارا وأقسمت أن   أعاهد نفسي وأرعى القسم
بأن لا أرى في حياتي التي   تربت على ما يرب الشمم
كتابا ولا صاحبا طاويا   على قلم منكبا لا يضم
وأحيا حياة بها لا أرى   عناء لفكري ولا مزدحم
وأمضي مع الناس في دربها   فلا أتمنع أو أحتشم
وأنسى ليالي زمان العذاب   وما أورثتني به من عدم
وأطبق جفني على كل حال   فلا أتمزق أو أحتدم
وألجم حين تدور الرؤوس   فمي كي أمر فلا أصطدم
وأحني لكل يد جبهتي   اذا لطمتني كي أنهزم
فماذا وجدت ؟ أغير الذي   يعض البنان ويكوي القدم
ويهوي بنفسي الى أسفل   ويجعلها لعبة تلتهم
ونفسي التي علمتني الأباء   وكل معاني العلى من قدم
فكيف بها ترتضي بالنزول   وكانت تروم صعود القمم
فأرجع ثانية مكرها   وقد يكره المرء ما قد غنم

لدنياي • دنيا الرؤى والخيال ... ودربي الذي قادني للهمم
ومنتجعي ومهبي وما ... به من مكبر ومن مقتحم
وطرسي وكل حروفي التي ... عرفت بها كيف أطوي اللمم
وأزرع مالا تراه العيون ... من الانجم الخضر في كل يم
وأقنع نفسي بأن الذي ... عليه تربيت أسمى النعم
فلا تسأمي بعد في عيشة ... اذا جاء بالنفع فيها السأم
فما المال والجاه بالنافعين ... لنفس اذا أورثاها الصمم
وسارا بها في دروب يجوع ... بها الآدمي وترعى الغنم
ويخمد صوت الاله الكبير ... امتهانا ويعبد فيها الصنم
فأن حياة بلا فكرة ... ولا غاية عالم مضطرم
وعيش مهين كريه الظلال ... وحال متى ما استقام انهدم

* * *

ظلمت شبابي ومن حقه ... علي أنا وأنا في ظلم
بأن أحمل الشوق في أضلعي ... وأنهل من كل عين وفم
وأطوي جراحي فلا أشتكي ... وأمضي مع الفجر حلو النسم
أغني وأمطر كل الربى ... أغاريد حب غدا يبتسم
فأن الدموع التي في العيون ... مرقرقة جدول من نغم
وأشرعة تتهامى الطيوب ... عليها تهامي طيوب الحلم
وأجنحة تتهادى بها ... طيوف خيال بفجر ألم
أعيدي الي الرؤى الباسمات ... وعهد شباب مضى وانثلم
وعيشا نعمت به وارتوت ... زهوري وعقد حياتي انتظم
وفاح عبيري وندت يدي ... وماتت همومي وجرحي التأم
فأني سئمت الشجي والأنين ... وحمل الأسى واحتمال الألم
أيا أنجما لحن في مشرقي ... وبدن عني ليالي الظلم
وبدلن أيامي العابسات ... بأحلام دنيا بها السعد تم
وفيها أطلت طيوف المنى ... مرفرفة وبها الطيب نم

* * *

حياتي أراها ـ هنا ـ لوحة ... ملونة كظلال القلم
منعمة بالرؤى الطيبات ... وفيما تصوره من قيم
ومؤلمة بالذي تنطوي ... عليه النفوس وهذي الذمم
ففي كل يوم على حالة ... وفي كل دور الى مستجم
سعت كل مسعى فما عاقها ... عن السعي ما زرعت من نقم
فلو كان في معصم واحد ... تدور العرى لادعت بالعصم
ولكن على ما تحس النفوس ... لتبدي العيون وتجري الكلم
اذا ركب الغي رأس امرىء ... تلوى كما تتلوى الرمم
ومالت به الريح دوارة ... فما عاد الا بقايا لدم

من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم

العباس بن مرداس

يحيى الجبوري

واحد من شعراء رسول الله عليه السلام ، الذين جاهدوا في سبيل الله بالسيف واللسان فكان لهم عظيم البلاء وحسن الذكر وكبير المنزلة ، الا أن العباس ورهطه من شعراء البادية الاعراب في عصر النبوة لما تنلهم بعد عناية الدارسين والادباء ، فهم كالمجهولين لدى الادباء المعاصرين على الرغم من جودة هذا الشعر وكثرته وبلاء أصحابه في زمن الرسول وبعد زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .

والعباس بن مرداس بن ابى عامر السلمى المكنى بابى الفضل او أبى الهيثم ، فارس شاعر شديد العارضة والبيان ، سيد فيقومه[١] وهو ابن الخنساء الشاعرة[٢] ومن الذين حرموا الخمر على أنفسهم في الجاهلية ،وكان ينزل البادية بناحية البصرة ، وروى عنه البصريون الحديث[٣] .

كان العباس قبل اسلامه قد مدح رجالا من بنى النضير حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله مناقضات مع خوات بن جبير ، وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك لموقفه ذاك من بنى النضير[٤] ، اما اسلامه فكان قبيل الفتح بأيام فلم يكن من ذوى السابقة في الاسلام كالمهاجرين والانصار أو أصحاب بدر وأحد ، وفي قصة اسلامه طرافة لا تخلو من افتعال ،نرويها هنا لا تثبيتا لصحتها بل لما فيها من دلالة على شخصية العباس وعصبيته واعرابيته ، روى صاحب الاغاني ان العباس بن مرداس قال :[٥] كان لابى صنم اسمه ضمار فلما حضره الموت أوصانى به وبعبادته والقيام عليه فعمدت الى ذلك الصنم فجعلته في بيت وجعلت آتيه في كل يوم وليلة مرة ، فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت صوتا في جوف الليل راعني فوثبت الى ضمار فاذا الصوت في جوفه يقول :

قل للقبائل من سليم كلها ... هلك الأنيس وعاش اهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى الضمار وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب الى النبي محمد

قال : فكتمت الناس ذلك فلم أحدث به حدا حتى انقضت غـــزوة الاحزاب » فخرج يوما الى ابله فاخذته سنة من النوم ، فتراءى له رجــل وقور اخبره بالبشير ، فوثب مذعورا وايقن ان محمدا رسول الله ، وقد توجه الى راعي ابله فأوصاه : من سألك عني فحدثه اني لحقت بيثرب ولا أحسبني ان شاء الله تعالى الا آتيا محمدا وكائنا معه ، فاني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور ، فان كان خيرا لم أسبق اليه وان كان شرا نصـرته لخئولته ·(٦) ولا تخفى هنا نزعة العباس الاعرابية القبلية التى ظلت تلازمه في كثير من الاحداث ، وظهرت واضحة في شعره ، ومن تمام القصة أن نذكر ان زوج العباس حين علمت بمسـيره الى يثرب قامت الى بيتهـا فقوضته ولحقت بأهلها ، وقالت الشعر في تقريعه وتأنيبه على ما فعل:(٧)

لعمرى لئن تابعت دين محمـد وفارقت اخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفـس ذلا بعزة غداة اختلاف المرهفات النسائع
سيوفهم عـز الذليل وخيلـهم سهام الاعادى في الامور الفظائع

وبعد ان أسلم العباس وامتلأ قلبه بالايمان ، قال يذكر ما كان عليه من شرك وباطل وضلال ، ويبدو أن قوله هذا قاله بعد فترة من اسلامه حيث اتيح له أن يتفهم تعاليم الاسلام ويطلع على آيات من كتاب الله ، فذلك كله ظاهر في هذا الشعر :(٨)

لعمرى انى يوم اجعل جاهـدا ضمارا لرب العـالمين مشـاركا
وتركي رسول الله والاوس حوله اولئـك انصـار له ما اولئـكا
كتاركسهل الارضوالحزن يبتغي ليسلك في غيب الامور المسالكا
فآمنت بالله الذى أنا عبده وخالفت من أمسي يريد المحالكا
ووجهت وجهي نحو مكة قاصدا وتابعت بين الاخشبين المباركا

الى آخر القصيدة التى تدل على صفاء القلب وصدق الايمان ·

وحين لقى العباس النبي عليه السلام ، كان النبي الكريم عازما المسير الى مكة عام الفتح ، فواعد الرسول العباس أن يلقاه وقومه عند (قديد)(٩) فوافاه العباس في ألف من قومه بنى سليم ، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم ، وقال من قصيدة يذكر فيها هذا اللقاء ويفخر ببلائه وبلاء قومه في نصرة المسلمين :(١٠)

سرينا وواعدنا قديدا محمـدا يؤم بنا أمرا من الله محكما
تماروا بنا في الفجر حتى تبينـوا مع الفجر فتيانا وغابا مقوما
على الخيل مشدودا علينا دروعنا ورجـلا كدفاع الاتى عرمرما
فان سراة الحى ان كنت سـائلا سليم وفيهم منهم من تسلما
وجند من الانصـار لا يخذلونه اطاعـوا فما يعصونه ما تكلمـا

وللعباس شعر في فتح مكة يذكر فيه قومه ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :(١١) فمن ذلك قوله :

منا بمكة يوم فتح محمد ... ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه ... وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به اقدامهم ... ضنك كأن الهام فيه الحنتم
جرت سنابكها بنجد قبلها ... حتى استقاد لها الحجاز الادهم
الله مكنه له واذله ... حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه ... متطلع ثغر المكارم خضرم

وللعباس شعر كثير في حنين ، ويكاد ينحصر معناه في الفخر ببلاء قومه الذين نصروا الرسول في مكة ، وابلوا البلاء العظيم في حنين وفي قهر هوازن واذلالها ، اما المعاني الدينية فتتضح في شعره حين يتعرض لذكر الرسول الكريم ومديحه بصفات النبوة والهدى فقد قال يخاطب رسول الله(١٢) :

يا خاتم النبآء انك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا
ان الاله بنى عليك محبة ... في خلقه ومحمدا سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم ... جند بعثت عليهم الضحاكا
وبنو سليم معنقون امامه ... ضربا وطعنا في العدو دراكا

وهكذا يمضي في القصيدة مادحا قومه معتزا بحسن بلائهم وصبرهم في الحرب وفتكهم بالعدو المشرك ٠ واكثر شعر العباس في الاسلام متشابه أو أو يكاد ان يكون متشابها ، فهو شعر بطولة وحرب وفروسية ، وهو شعر يعتز بالامجاد الجاهلية القبلية والبر بقومه الاقربين ، ولم يخرج شعر العباس الى مدح قوم غير قومه اللهم الا ما جاء عرضا ، كما في ذكره الانصار في بيت واحد من قصيدة :

وجند من الانصار لا يخذلونه ... اطاعوا فما يعصونه ما تكلما

والروح القبلية المتحمسة ظاهرة في حياة العباس على الرغم من حسن اسلامه وصدق ايمانه ولعل ذلك كان من اسباب النهوين من مكانته بين اقرانه اصحاب رسول الله عليه وسلم ، وفي هذه الحادثة خير دليل : كان رسول الله قد اعطى المؤلفة قلوبهم من أموال هوازن وسباياها ، فاعطى عيينة بن حصن مائة بعير واعطى الاقرع بن حابس مائة بعير ، واعطى العباس بن مرداس اباعر فسخطها ، فقال العباس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٣) :

كانت نهابا تلافيتها ... بكري على المهر في الاجرع
وايقاظي القوم ان يرقدوا ... اذا هجع القوم لم اهجع

فاصبح نهبي ونهب العبيد   بين عيينة والاقرع(١٤)
وما كان حصن ولا حابس   يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرىء منهما   ومن تضع اليوم لا يرفع

قال ابن اسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه » فاعطوه حتى رضي ، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رحم الله العباس بن مرداس ، فقد كان صورة صادقة من الاعرابي الذي بهره الاسلام فآمن به وأطمأن اليه قلبه ، الا ان اثر الماضي العريق المتمكن من النفوس من مثل الحمية الجاهلية والعصبية الاعرابية لما تزل في حنايا الفؤاد ، فكانت تتسرب بين حين وآخر كلما وجدت متنفسا لذلك . الا ان توجيه النبي الكريم وتربية اصحابه الفضلاء استطاعت ان تحد من غلو تلك العصبية فما مضى النصف الاول من القرن الاول الا وكان الاعراب من خيار المسلمين الذين زهدوا في الحياة واستجابوا لداعي الجهاد في سبيل الله ، فكانوا القادة الفاتحين والمحاربين الاشداء والقضاة الواعظين الذين نشروا مبادىء الاسلام وعلموا الشعوب وهدوها نحو الخير والبر والرحمة والحب والهداية الايمان .

(١) الاغاني ١٤/٣٠٢ ط الدار ومعجم الشعراء ٢٠١ وسمط اللآلي ١/٢٢
(٢) خزانة الادب ١/٧٣ .
(٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبير ٧/٢١ والاستيعاب ٢/٥٠١ .
(٤) السيرة ٢/٢٠٠ــ٢٠٣
(٥) الاغاني ١٤/٣٠٢ــ٣٠٣ والسيرة النبوية ٢/٤٢٧ .
(٦) الاغاني ١٤ط/٣٠٤ ط الدار .
(٧) الاغاني ١٤/٣٠٦ . وهذا الشعر يشبه شعر كعب بن زهير الذي خاطب به اخاه بجيرا حين اسلم :

فقارقت اسباب الهدى وتبعته   على اي شيء ويب غيرك دلكا ... الخ

(٨) الاغاني ١٤/٣٠٥   (٩) موضع قرب مكة
(١٠) السيرة ٢/٤٧٠ واختلف في عدد الفرسان فقيل تسع مائة على الخيول . ابن سعد ٧/٢١
(١١) السيرة ٢/٤٣٦ .
(١٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ٢/٤٦١ .
(١٣) المصدر السابق ٢/٤٩٣ .
(١٤) العبيد : فرس العباس بن مرداس .

ديدرو

مفكر الثورة الفرنسية الكبير

ابراهيم الخال

في اليوم الثلاثين من حزيران من هذا العام حلت الذكرى الثمانون بعد المائة لوفاة علم من اعلام الفكر الانساني العظام ورائد مقدام من رواد الحرية الذين خدموا الجنس البشري وسطعت نجومهم في آفاق القرن الثامن عشر ، ثم في آفاق الدنيا كلها بعد أن بذلوا الجهد وتحملوا من المظالم الكثير ، وهم يقدحون زند الفكر الذي اضرم نار الثورة الفرنسية الكبرى التي اعلنت للانسان عن مولد عصر من عصور الحرية جديد ·

ذاك هو « دنيس ديدرو » ، أحد اكابر عصره الاحرار الذين اتت كتاباتهم على مساوىء السلطة الدينية الكنسية المستبدة وأديرتها ، ثم على مساوىء السلطة الزمنية سواء بسواء · ولقد لعبت كتابات « ديدرو » دورا عظيما في سير المناقشات الحامية التي كانت تجرى تحت سقف الجمعية الوطنية خلال الثورة ، وهي نفسها التي وجهت تيار الثورة نحو سلطة الكنيسة فسحقتها وفصلتها عن السلطة الزمنية وحررت بذلك رقبة الجنس البشري في اوربا من قبضة جبابرة طغاة ، كان الدين والدنيا منهم براء ·

وولد « دنيس ديدرو » في الخامس من شهر تشرين الاول عام ١٧١٣ في مدينة لونگريه بفرنسا ، وكان ذلك بعد سنة واحدة من ميلاد جان جاك روسو · وتسع عشرة سنة من مولد فوليتر · وكان والده سكانا ، أي من صانعي السكاكين وباعتها ، وقد عرف عنه بأنه كان رجلا فاضلا ، ورعا وتقيا ، وله الى جانب ولده البكر دنيس ، ولد آخر وبنت أخرى ·

وكان أبوه ، بدافع من ورعه وتقواه ، قد ادخله أحد مدارس الجزويت الدينية في باريس وهو لم يزل بعد حدثا ليصبح قسا · لكن « ديدرو » لم يظهر ميلا لما كان يتلقاه من رجال الدين من

دروس فآثر الانقطاع عن تلك المدرسة التي لم يتعلم منها في الواقع غير الدرس الاول في كيفية مناصبة السلطة الدينية الكهنوتية العداء ·

وهو بعد ان فشل في دراسة الكهانة والنجاح فيها ، اتجه لدراسة القانون مع احد اصدقاء ابيه · لكن « ديدرو » ، وهو ذو الحس الشاعرى الذى تستهويه الدراسات التى تلعب بالعواطف والحس الانساني ، وجد في مادة القانون شيئا جافا لا يستطيع الاستمرار على الانكباب عليه مدة طويلة ، وهو ما ادى به الى الاعراض عنه الى الابد · وعندما اشرف على السن التي ينبغي له معها اتخاذ مهنة له يعيش منها ، كان يقول بأنه لا يريد ان يصبح محاميا فيقضى ايامه فى قضاء واجبات الاخرين ، ولا طبيبا ، لانه لا يريد ان تلوث يده بمصارع الناس · وعندما كان يسال عن المهنة التى يقترحها لنفسه ، كان يقول : « انى أهوى المطالعة ، ولا شيء سواها اقترحه لنفسي ، لاني لا أطمع بشيء اكثر » · بعد ذلك مرت سنوات لم تزل غامضة في حياة « ديدرو » بالنسبة لمؤرخي سيرته اذ لم يعرف أحد عنه شيئا خلال تلك السنين حتى الان · لكن الذى سمعناه عنه بعد تلك الفترة هو انه كان يدرس الرياضيات لابناء الاغنياء في باريس ، وهي مهنة كانت شديدة الوطأة على نفسه ، لذلك آثر تركها مفضلا الجوع على التخمة وما كانت تدر عليه هذه المهنة من مال يتمثل فيه الضغط المحض والارهاق والاكراه · وهو اذ يترك مهنة التدريس ، نراه وقد بدأ يتكسب من فضلات الاعمال والاشغال ، كأن يكتب المواعظ الدينية لحساب احد المبشرين الذين كانوا يوزعونها في المستعمرات البرتغالية وبصورة مختصرة ، فأنه كان يحيا في هذه الفترة من عمره حياة اشبه منها بالبوهيمية من اي شيء آخر ·

وفي عام ١٧٤١ وفد على باريس شاب في التاسعة والعشرين من العمر ، لا يملك من حطام الدنيا شيئا غير خمسة عشر جنيها ، وبعض المقترحات الموسيقية ، وروايةمن تأليفه اسمها «نرسيس» ثم بضعة رسائل الى بعض وجوه المدينة يوصيهم مرسلوها بحاملها خيرا · ولقد فشل هذا الشاب في مطامحه الموسيقية بعد ان رفضت اكاديمية العلوم فى باريس الاخذ بمقترحاته رغم الجهود التى بذلها له « ريمير » لدى المجمع · وهو عندما كان يكافح لاقناع الرأى العام بصحة دعاواه الموسيقية ، كان قد تعرف خلال ذلك ايضا على الكثير من علماء العصر وذوي الراى من وجوه باريس ، الذين كان من بينهم « فونتنل » و « ماريفو » · وكان ديدرو ايضا ممن يتردد على مجالس « ماريفو » تلك الايام فاطلع بواسطته على رواية « نرسيس » للشاب الموسيقى

الفاشل ، جان جاك روســو ، فأعجب بها وانغمر معه بعدها في صداقة وثيقة منذ ذلك التاريخ •

وكان مقهى « موجي » فــي باريس من المقاهي التي يرتادهــا أدباء العصر من المتعطلين والمفلسين بصورة خاصة • لذلك كان الذى يريد العثور على أحد الاديبيــن الشــابين ، روســو وديدرو ، يجدهما بسهولة في هذا المقهــى وهما يتجاذبان اطراف الحديــث عن صالونات كبريات ســيدات المدينة ، والا فهما منغمران فــي لعب الشطرنج الذى كان يستغرق من وقتهما الساعات الطوال •

على أن جان جاك روسو قــد حطم طوق الفاقة والافلاس الذى كان محيطا به عندمــا تعيــن بمســاعدة مــدام « دبزنقال » سكرتيرا للمســيو « مونتاجو » قنصل فرنسا في البندقية • اما « ديدرو » ، فقد بقي متسكعا في المقاهي والساحات العامة وضفاف الانهر وليس له من سلوى غيــر المطالعة التي لم يتحول عنها يومــا من الايام •

وكان « ديدرو » قد شبه نفسه يوما خلال هذه الفترة الطويلــة التاعسة من ايام شبابه ، بأبسي رياح ، مؤشر اتجاه الريح فوق مبنى كنيسة لونكريه ، يميل معها حيث مالت • ولم يكن ذلك عــن قلق في طبيعته ، أو عدم استقرار انما بسبب فضوله الذهني العارم الذى كان يدفعه نحو الاطلاع على اي نوع من من أنواع المعرفة التي تجتذبه اليهــا وتســتهويه • وبالحقيقة فأن « ديدرو » كــان تلك الفترة قد ضرب في كل فــج من فجاج المعرفة رائده الاطــلاع ما امكن • كل ذلك بالاضافة الى الموهبة الاصيلة والذكاء الوقــاد والحس الشاعري المرهف ، قــد خلق منه كاتبا المعيا ، بل ومفكرا حرا راح يلتمع نجمه بسرعــة هنا وهناك في آفاق الحرية والفكر في القرن الثامن عشر • فديــدرو المفكر العظيم كما قال ناقــدوه ، كان الفرنسي الاول الذى يمثــل النزعة الفردية في بلاده ذلــك العصر • ولقد تحدث عنه «كومت» فقال بأنه كان اعظم مــا انجــب القرن الثامن عشر من نوابــغ • وديدرو اذ يكتب ، فأنه كــان يتحدث اليك من القلب الى القلب• ولقد كتب هو نفسه عن هــذا الموضوع فقال : « ان لغة القلــب لتختلف الف مرة عن لغة العقل • وان وضع القواعد لمنطق هــذه اللغة من الاستحالة بمكــان » • وهكذا ، كان منطق ديدرو النابع من القلب دون اي شيء اخر ، هو الذى استأسر القلوب • ولقــد كــان الرجل العظيم « انسانا ذا قلب » • وفي هذه الناحية مــن شخصية ديدرو يقول بعــض النقاد بانه اذا كانت قيمة المفــكر الاديب تقدر بمدى تأثيره فــي الناس ومدى حب الناس له ، فأن بأستطاعتنا الارتفاع بديدرو اذن ، الى ما فوق طبقة روسو وفولتير ، على الرغم من تفوق الاخير عليه في

نواح ادبية ليست بذات خطر • وهناك من الناقدين من يقول بأنه « كان المفكر الوحيد من بين جميع مفكرى القرن الثامن عشر الفرنسيين الكبار ، الذى اخذ بمجامع قلوب عصره والمؤرخين جميعا ، ان لم يكن قد انتزع حبهم وعطفهم انتزاعا على أقل تقدير •

فلقد كان فولتير موضع ازدراء « أميل فاكو » الممض ، كما خلق روسو لنفسه اعداء كانوا من الكثرة بحيث لم يستطع هزيمتهم جميعا • اما ديدرو ، فقد كان له عدو واحد فقط ، هو روسو نفسه الذى ناصبه العداء بعد صداقة عميقة بسبب دفاعه — دفاع ديدرو — عن صديق آخر هو الكاتب الالمانى گرم •

فاذا رجعنا الان للبحث في بعض سيرة ديدرو في السنوات القريبة من صداقته لروسو ، وجدناه ، كما قيل شيخا فيلسوفا في اهاب شاب ، كان المارة من اهالى باريس يشاهدونه فى جميع مواسم السنة تقريبا جالسا على احد مقاعد الارصفة عند شوارع المدينة المظللة بالاشجار ، وقد ارتدى بدلة رمادية اللون ممزقة الاكمام وجوارب سوداء مرقعة بخيط قطني ابيض ، في الوقت الذى أمسك فيه بعصاه بطريقة يظن الناظر اليه معها بأنه يعرضها على المارة للمشاهدة ، وقد أمتدت عنقه الى الامام مع امتداد نظراته كمن ينطلق بأفكاره بحثا عن الحقيقة لا يلهيه عن الجد في أثرها شيء •

ومع ذلك ، فقد اندفع ديدرو ، خلال جميع ادوار حياته بصورة عامة ، بكليته نحو الحياة منبهر الانفاس ، كما لو كان على وشك الارتماء فى أحضان عشيقة ، وهو ما رواه معاصروه • ولقد كانت اولى جولات ديدرو الغرامية المعروفة قد وقعت فى شارع اوغسطين بباريس فى نفس المكان الذى تعرف فيه على فولتير لاول مرة • ففى ذلك الشارع ، كانت هناك مكتبة دأب ديدرو على التردد عليها • وكان لصاحب المكتبة فتاة هى الانسة « جبرييل بابوتى » التى اوكلت اليها ادارة مكتبة ابيها • وكان ان تعلق الشابان ، ديدرو وامينة المكتبة جبرييل ، ببعضهما فأمضيا اياما سعيدة في الحب واللهو الذى قطعه على ديدرو زواج جبرييل من الرسام الفرنسي المعروف « گروز » • وقبل زواج جبرييل ، كان ديدرو يقلب يوما في بعض كتب المكتبة عندما تناول كتابا عنوانه « الرسائل الفلسفية » لفولتير ، وهو اذ بدأ يقرأ فى اولى صفحات الكتاب ، فأنه انكب على قراءته بنهم وشغف دون ان يعير جبرييل اى التفاتة مدة ساعات طويلة ، وهو ما أغاظها الغيظ كله فصاحت به ونار الغيرة تستعر في قلبها من فولتير : « ان الحياة ليس مجرد ورق وطباعة يا دنيس » • بعد ذلك أصبح لذلك الكتاب فى نفس ديدرو تأثير كبير لم يفارقه مدى

الحياة .

وديدرو في حياته الطويلة ، كان قد توجه نحو كل ناحية من نواحي الحياة : كان من اهل الفكر ، فهو يجد في المناقشات والجدليات لذة وبهجة لا تعدلها بقية مباهج الحياة . وكان رجل شهوة وحب ، لم يكن ليغلق فيه بابا الا ليفتح بعده بابا جديدا. ولقد اشتغل ديدرو ايضا بالبيع والشراء ، وانشأ في بعض سني حياته مخزنا كبيرا بمعاونة بعض أصدقائه من ذوي اليسار . وكان فوق هذا وذاك يرى بأن معين الحكمة والسعادة الذي لا ينضب انما هي الطبيعة . ولقد تأثر جان جاك روسو بنظرة ديدرو الى الطبيعة كثيرا ، بل وان ديدرو نفسه كان الذي وجه روسو لاول مرة وجهته الطبيعية المعروفة .

وكان الغرام الثاني الذي اندفع الى مباهجه ديدرو ، قد بدأ عام ١٧٤١ عندما التقي لاول مرة بأنطوانيت شامبيون ، وكانت هذه ابنه سيدة ارملة ، وتكبره بثلاث سنين ، وقد اتخذت لها من الخياطة حرفة . وكان ان بقي عشيقا لانطوانيت مدة سنتين ، ثم تزوجها وانجبت له اطفالا أربعة ، عاشت من بينهم ابنته انجليكا فقط .

ولم يكن ديدرو سعيدا في حياته الزوجية قط . وكان خلافه يتضخم مع زوجته بمرور الايام بحيث اصبح جحيما لا يطاق . وتصف لنا انجليكا التي دافعت عن امها كثيرا وبلغ حبها لابيها درجة العبادة ، الحال فتقول بأن خشونة امها كانت تعود الى غيرة ابيها الذي عزلها عن المجتمع في بدء حياتهما الزوجية من جهة ، والى حالة الفقر التي كانت عليها العائلة من جهة اخرى . وهي اذ تصف طبيعة امها تقول عنها بانها كانت اشبه ما تكون بكتلة من بلور ، كريمة الباطن ، خشنة الحواشي والاطراف ، وليس بوسع المرء في الحياة اليومية العائلية ، لسوء الحظ ، الا التحسس بأطراف الجوهرة وحواشيها دون الغور والتعمق في باطنها الكريم . ولقد كانت من الكاثوليك المتعصبين الذين لا يستطيعون تفهم طبيعة معتقداتهم الدينية على أساس من المنطق ، كما لم يكن في وسعها استيعاب افكار زوجها . وقد فشل ديدرو كل الفشل عندما كان يبذل اقصى الجهد للتوفيق بينه وبين طبيعة زوجه في مطلع حياتهما الزوجية . وهو اذ كان يشعر بخيبة أمله في ما يسعي اليه ، كان يثور ثورات عنيفة يضرب رأسه خلالها بالجدار سخطا وحنقا . وعندما عجز من اصلاح ما فسد من حياته الزوجية بنفسه لجأ الى القس الذي اعتادت زوجه الاعتراف لديه يطلب منه العون والمساعدة ، لكن هذا كما قيل ، كان ينظر الى ديدرو نظرة الضفدع الى ورقة شجرة طافية على وجه بركة ، وهو ما كان يؤدي

بديدرو الى صب نار غيضه على الكنيسة لا على زوجه تلك الايام .

واذ يضيق ديدرو ذرعا بزوجته نراه يبحث عن المرأة التي يأمل ان يعثر على السعادة بين ذراعيها بعد ان أصبحت حياته الزوجية جحيما لا يطاق . وذات يوم ، كانت زوجته قد غادرته فى زيارة لوالدية بمدينة لونكريه ، عندها بدأت جولته الغرامية الثالثة فى باريس مع مدام « دي بيزو » التي وصفها توماس كارليسل ب « المرأة القرمزية » . وكانت دي بيزو كاتبة موهوبة ذات شهرة واسعة فى الاوساط الادبية لكنها كانت بخيلة يضرب بها المثل ، وقد بقيت عشيقة لديدرو بضع سنوات .

في هذه الفترة من حياة ديدرو كان جان جاك روسو قد رجع من القنصلية الفرنسية في البندقية مغاضبا الى باريس ليتعرف على « تريز ليفاسير » ويصبح بدوره زوجا . وفي عام ١٧٤٨ جمعت الايام ثانية بين الصديقين القديمين عندما وجدا نفسيهما بأنهما يترددان سوية على صالونات مدام « ديناي » والكونتس « هودتو » وغيرهما فاندفعا نحو حياتهما الادبية من جديد كأحسن ما يكون الاصدقاء . ولقد وجد الصديقان في شخص « كوندياك » صديقا وفيا ثالثا فكانوا يترددون سوية على مطعم « البانييه فليرى » حيث يلتقي الكتاب والشعراء كلما سنحت الفرصة . وكان ان اتفق الصديقان على اصدار مجلة أدبية بأسم « الساخر » . لكنه ما كاد يصدر العدد الاول منها حتى اتفق ديدرو مع دلامبسرت على القيام بوضع «الانسكلوبيديا» وهو ما حال دون استمرار المجلة على الصدور .

وفي عام ١٧٤٩ نشر ديدرو مقالا يتساءل فيه عن « العمى لمنفعة من يبصرون ! » تعرض فيه لمدام « ديري دسان مور » والمسيو « رومير » بالاضافة الى انها احتوت على نظرية عصرية تقول بأن المعرفة الانسانية جميعها تعود الى التجربة ، وان الافكار ليست مقياسا للوجود ، كما ان فهم رأى من الاراء وهضمه وادراكه لا يمكن ان يصبح برهانا عليه ، وان التجربة الانسانية لا يمكن ان تكون الحد النهائى لحقيقة وجود الكائنات . وكانت هذه الافكار من الثورية فى حينه بحيث بادرت السلطات الى القاء القبض على ديدرو والقائه فى غياهب سجن فنسان ، كما كانت هذه النظرية ذاتها التى سلطت الاضواء عليه مرة كعلم من اعلام الفكر فى التاريخ .

على أن السجن لم يستطع عزل ديدرو عن العالم الخارجى رغم كل التشديدات التى أتبعها معه سجانوه . كان يكتب الى أصدقائه وزوجته بحبر كان يستحضره بأن يمزج مسحوق قطع الطابوق الصغيرة التى ينتزعها من جدار غرفة السجن

مع ما كان لديه من نبيذ . اما قلمه في كتابة تلك الوسائل ، فقد كانت عيدان تنظيف الاسنان .

وعندما سمحت السلطات لاصدقائه بزيارته ، بدأ جان جاك روسو يزوره صحبة زوجته ـ زوجة ديدرو . وفي يوم قائظ من ايام صيف عام ١٧٤٩ ، كان روسو قد ذهب منفردا لزيارته ومعه بعض المجلات التي اعتاد أن يتسلى بها وهو يقطع الطريق الطويل الى السجن . وكان ان وقع نظره على مسألة طرحتها أكاديمية ديجون في احدى تلك المجلات تستطلع فيها آراء المفكرين « عما اذا كانت العلوم والفنون قد افسدت الاخلاق او أصلحت من شأنها » ، وقد خصصت لذلك جائزة لاحسن مقالة حول الموضوع . ولقد جلس روسو تحت احدى اشجار البلوط ليكتب بالقلم الرصاص بعض رؤوس الاقلام التي اوحاها له هذا السؤال . وعندما وصل السجن ، كان مبهور الانفاس وكمن اصيب بالدوار لفرط الازمة النفسية التي راح يعانيها وهو يفكر في الوجهة التي يجب ان يسلكها في كتابة المقال . وكان ديدرو قد لاحظ ما كان يبدو عليه من انفعال ومعاناة فكرية . وعندما شرح له روسو المسألة ، بادر ديدرو الى دفع صديقه نحو الوجهة التي يقف فيها ضد العلم والفن في كتابة المقال . وهكذا كان الصديقان حتى في ميدان الفكر : نغمان منسجمان يصدران عن وتر واحد ، هو الطبيعة وتقديس حرية الانسان التي لا يعد لها شيء في المجتمع .

وفي السجن ايضا ، كانت مدام دي بيزو تزوره دونما انقطاع بعد انتهاء زيارة زوجه له . لكن ديدرو كان قد لاحظ على عشيقته كثرة تبرجها ، واهتمامها على غير ما اعتادت عليه ، بزينتها وهو ما أثار شكوكه حولها . وعندما سألها يوما عن اسباب هذا التبرج غير المألوف ، قالت له بأنها ذاهبة الى احدى الحفلات في شامبين دونما صديق يرافقها ، فلم يصدقها ديدرو رغم الايمان الغليظة التي أقسمتها . لذلك تخطى ديدرو جدران السجن هاربا فور انتهاء زيارتها له ، ثم قصد من فوره الى شامبين ليراها هناك بين احضان احد منافسيه . بعدها قضى الليل بطوله نائما في تلك الحديقة ، ثم سلم نفسه مع الصباح للسلطات وليفارق مدام بيزو البائسة الى الابد .

وكان لديدرو مع النساء من العلاقات الكثير . لكن الذي كان يلاحظ عليه هو سرعة تغيره مع بنات الهوى من راقصات في الاوبرا وغير ، ونساء الخاصة ايضا بصورة تدعو الى التأمل . ولقد كان شديد الحساسية مع النساء بحيث كان الشيء البسيط الذي لا يلائم نفسيته ومزاجه منهن يدعوه الى فراق الواحدة منهن الى الابد . وتحدثنا ابنته انجليكا عن هذا الموضوع فتقول بأنه (كان حسن

الطباع لا يميل أبدا لا الى نساء الخاصة ، ولا الى بنات الهوى) .

وفي الحب ، قال ديدرو عن نفسه : (**اني بأخلاق النساء طب حكيم . ومع ذلك ، فاني اتصرف معهن تصرف المجانين**) . وهو بعد أن اكتوى بسعير الحياة الزوجية غير الموفقة ، رأيناه يبحث عن المرأة التي تبادله حبا بحب ، وعطفا بعطف ، وهو يبرر ذلك ويقول : **(ان أمانة الرجل الفاضل واخلاصه في الحياة الزوجية التاعسة ، عقوبة يفرضها عليه المجتمع)** .

وكان ديدرو يحدث ابنته أنجليكا ، حتى عندما كانت صبية بعد ، عن وقائع حبه وغرامه بصراحة وبصورة أدهشت النقاد . على أنه كان يصطنع من تلك الاحاديث بعض العبر والنصائح التي أراد أن تهتدي بها خلال سلوكها في حياتها الشخصية . ولقد احب ديدرو ابنته حبا جما فاق كل حب . وكان يسوسها طبقا لما كان يريده لها من تطور في طبيعتها وفرديتها ، وهو ما خفف كثيرا من الضغط وروح المحافظة التي كانت تفرض عليها من جانب امها . وأخيرا ، فقد اظلمت الدنيا في عينيه وانتابته الهموم والاحزان من كل جانب يوم فارقته بعد زواجها . لكن حبه لها عاد لطيفا هادئا بعد حين ، عندما انتبه الى سنة الحياة في المجتمع والناس حيث راح يضحك من نفسه من أعماق قلبه الواسع الذى احتفظ لها بأروع ما عرفه الانسان من حب .

وبعد ان غادر ديدرو سجن فانسان ، واصل العمل في الانسكلوبيديا يساعده في ذلك زميله دلامبرت . وفكرة الانسكلوبيديا كانت قد ظهرت لاول مرة عندما طلب بريتون ، وهو أحد تجار الكتب المشهورين في باريس انذاك ، من ديدرو القيام بترجمة قاموس (شيمبرز) من الانكليزية الى الفرنسية . لكن ديدرو استطاع أن يقنع ذلك الناشر بالقيام بجمع مقالات مختلفة بأقلام رواد الفكر في ذلك العصر واصدارها في مجلدات متسلسلة لتصبح موسوعة تمثل الآراء الجديدة في الفلسفة والعلم والادب ، بدلا عن ترجمة القاموس .

وكانت الحكومة الفرنسية قد وافقت على اصدار الموسوعة على مضض . ثم استمر ديدرو في اصدار مجلداتها التي بلغت خمسة وثلاثين مجلدا استغرقت ربع قرن من عمره ، (١٧٤٨ ــ ١٧٧٢) ، واستنفذت أحسن ما كان لديه من قوى فكرية وقابليات . ولقد عانى ديدرو في سبيل الانسكلوبيديا المتاعب المؤلمة من جانب خصومه وأصدقائه على حد سواء . وكان انتشار الانسكلوبيديا واقبال الناس على قراءتها والاشتراك فيها قد اثار حقد الاكليروس والكنيسة التي راحت تحاربه دونما هوادة ، بعدما تمكن خصومه من تعطيلها عن الصدور موقتا عام ١٧٥٩ . لكن الانسكلوبيديا لم تكن بالحقيقة

قد احتوت على اشياء علمية تستهدف الهجوم على الدين أو مساويء الكنيسة بل كانت التبرعات والمعونات المالية الكبيرة التى كان يعبر بها مرسلوها عن تأييدهم لحرية الفكر وشرعية التسامح الديني هو الذي اغاظ السلطات الدينية والزمنية التى راحت تناصب ويدور أشد العداء • ولقد ادى الخوف من طغيان السلطة الدينية بدلامبرت الى الاستقالة من عمله فى الانسكلوبيديا • وعندما استمر ديدور فى اصدارها وحده ، طرد من المجمع العلمي الفرنسى ، كما طرد من عضوية الجمعية الملكية البريطانية للعلوم والفنون ايضا • ومع ذلك ، فان السلطات الفرنسية الحاكمة لم تكن لتجرأ على منع صدورها بسبب الاقبال المنقطع النظير التى كانت تلقاه من مختلف طبقات الناس •

ولم يكن الأذى الذى لاقاه ديدور من المسؤولين وغير المسؤولين خلال السنين التى اشتغل فيها بالموسوعة قد استطاع ان يستنزف دمعة واحدة من عينيه قط • لكنه كان قد انغمر فى بحر من الدمع حينما اكتشف مؤخرا ،عند الانتهاء من الانسكلوبيديا ، خيانة الناشر بريتون لها • ذلك ان هذا التاجر كان يستغفل ديدرو فيحذف من مسودات الموسوعة بعد ان يصححها ديدور تمهيدا للطبع ، كل عبارة يعتقد بانها مما لا ترتاح اليه السلطات ، بالاضافة الى اتلافه المسودات المصححة ذاتها خوف انتباه ديدرو • بعدها غادر ديدرو ذلك الناشر وقلبه يتفطر حزنا فلم يكلمه بعد ذلك خلال حياته بكلمة واحدة مطلقا • واذ يتكلم ديدرو عن الاحداث الهامة فى حياته يقول بانها كانت ثلاثة : وفاة ابيه ، وخصومته لجان جاك روسو ، ثم خيانة بريتون للانسكلوبيديا •

ولم يكن ديدرو قد حزن على المجهود الذى جاء على غير ما يريده له بعد ان انفق فى اخراجه السنين الطوال • انه كان يشعر بعظم مسؤوليته تجاه مريديه والناس الذين كانوا يبعثون له بالمعونات المالية للمشروع ، حيث يظن بانهم سيعتقدون بانه كان يخادعهم فى الذى كان يقدمه لهم من بحوث • على ان ديدرو لحسن الحظ ، كان يحتفظ لنفسه بنسخة ثانية مما كان يبعث به الى بريتون للطبع وهو مما أنقذ سمعته ، وخفف من حزنه الى حد كبير •

وفي عام ١٧٥٦ ، وبعد ان تجاوز ديدرو سن الاربعين ، تعلق قلبه بأعز شخص عرفه في حياته بعد ابنته انجليكا ، وتلك هي « لويز هنريتا فولاند » ، ابرز كاتبات فرنسا فى القرن الثامن عشر وأوسعهن شهرة لما امتازت به من موهبة أصيلة وشخصية لامعة وفكر وقاد • وكان الكاتب الالماني « كرم » قد أشار الى مدى اتجاهاتها الفلسفية ، كما وصفها « ترونشي » بان « لها روحية صقر صيغت في اطار من حرير » • اما ديدرو ، فقد أطلق عليها اسم « صوفي » تجسيما

منه للحكمة في ذات شخصها بعد ان اعتقد بأنها أوسع أفقا وحكمة من « اسباسيا » التى تكلم عنها سقراط ٠

وكانت « صوفي » يوم تعرف عليها ديدرو ، ضعيفة بناء الجسم ، في الاربعين من عمرها ، جميلة الصورة ، وتستعمل النظارات ٠ وكان قد التقى بها خلال السفرة الثانية التى قامت بها زوجته الى مدينة لونكريه ، فبادلته حبا بحب ، ووقع من قلبها بمثل ما وقعت من قلبه ، ثم لتكون المحرك الاكبر لعواطف ديدرو وافكاره اللامعة حتى اليوم الذى ضمه فيه القبر ٠

وكانت صوفي تسكن منزلا في شارع اوغسطين بباريس مع امها الثرية وشقيقتيها ٠ ولقد اعتاد ديدرو ان يترك غرفة الكتابة في بيته كلما سمح له الوقت ليزور صوفي في غرفتها في هذا المنزل عن طريق سلم سري يقع خلف البيت ٠ وكانت زياراته لها قد بقيت طي الكتمان مدة طويلة الى ان كبستهما والدتها سوية ذات يوم في تلك الغرفة ٠

ولقد اختلف الكتاب والمؤرخون وتضاربت الاقوال حول ما اذا كانت صوفي عشيقة لديدرو فعلا وانها استسلمت بجسدها لشهوانيته وخشونته في الحب ، وما اذا كانت علاقتهما الغرامية عذرية بريئة وانها كانت عنودة صعبة الرياضة في هذا الميدان ٠ وكان هناك الكثير من أكابر الكتاب والمؤلفين ممن انصرف طويلا في التحقيق والبحث في هذه الحلقة من حياة مفكر فرنسا العظيم ، منهم « كوردي » الذي وضع كتابا بعنوان « الحب في حياة ديدرو » ، ومنهم « اندريه بابيلون » الذي أخرجت المطبعة المسماة باسمه النص الاصلي ل « رسائل دنيس ديدور الى صوفي فولاند » مع مقدمة عام ١٩٣١ ، وغير هذا وذاك من الكتاب كثير ٠

وكانت صوفي مضطرة الى الاقامة مدة ستة شهور من كل سنة من سني الحب العشر التي استغرقها حبها لديدرو في قصر عائلتها في المارن من مقاطعة شامبين ٠ وكان لفترات الغياب هذه الفضل الاكبر في الرسائل الخالدة التي دبجتها براعة ديدرو البهلوانية من ديدرو كتاب عصره جميعا عندما كان يكتب الى صوفي ! كذلك كان يحتفظ بصورتها أيام غيابها الطويل ، فكان يثبته في الجهة الداخلية لغلاف كتاب « هوراس » الذي كان لايفارقه ابدا ٠

ولقد تصدى الكثير من اكابر كتاب العالم امثال كارليل ومورلي لدراسة رسائل ديدرو الى صوفي ونقدها ، فوجدوها العين الثرة التي لا تنضب لدراسة شخصيته التي كانت بالذات ، تعكس روحية القرن الثامن عشر : القرن الذى كان ديدرو ينطق باسمه ويصدر عنه في عالم قلق القيم والمفاهيم بات على وشك ان تعصف به التورات ٠ وكان ذلك القرن زاخرا بكل جديد من أفكار وغرائب لاهوتية وميتافيزيقية لذلك كان ديدرو ، وهو الضارب في

كل ميدان ، سريع التنقل من هذا الموضوع الى ذاك ، فتراه يكتب اعلانا عن دواء يقاوم تساقط الشعر ، بعدها تراه ينكب بشوق على دراسة احد كتب « هوبز » الفلسفية ، كما تراه يزور اكواخ الفلاحين في النهار لتجده في الملاهي والاوبرا في الليل ، الى غير ذلك مما كان ينعكس في رسائله الى صوفي ٠

لكن ديدرو وقد بلغ الثامنة والخمسين من العمر ، نراه وقد اندفع نحو علاقات غرامية جديدةمع سيدة ، تدعى « دي‌موز » ومع‌ذلك، فانه يؤكد لك بأن حبه الاصيل انما كان منصرفا الى صوفي ٠ ولقد كان ديدرو عاطفيا الى درجة أراد يحب معها جميع الناس على عكس روسو الذي كان يصدر عن عاطفة توجهه نحو كره جميع من حوله من الناس ٠

وكان ديدرو من‌رواد دار البارون « دي‌هولباخ » في باريس ٠ ودار البارون هذه ، كانت ملتقى أعلام ذلك العصر من مفكرين وكتاب وشعراء تميزوا عن غيرهم بحرية الفكر ونزوعهم نحو التسامح الديني ، بل وكثير منهم كانوا ضد المسيحية ذاتها ٠ ومن طريف ما يذكر عن تلك الدار ، ان الفيلسوف الانكليزي هيوم كان قد نزل ضيفا كعادته على البارون دي هولباخ‌ذات مرة ٠وفي معرض بعض الاحاديث التى كانت تجري مع رواد ذلك الصالون ، قال هيوم بانه لا يوجد في انكلترا ملحدون ٠ عندها قال له هولباخ : « انظر في هؤلاء السادة الجالسين حولك هنا ٠ انهم سبعة عشر شخصا ، منهم اربعة عشر ملحدا والثلاثة الباقون لم يبتوا في الامر بعد ٠ » ـ وكانت‌صفة الالحاد آنذاك ، تطلق حتى على كل من يعارض المسيحية في شيء ٠

وكان البارون هولباخ قد تعرف بواسطة ديدرو على روسو ، لكن هذا الاخير بقي في معزل عن موجة الالحاد التي كانت طاغية آنذاك بسبب انعزاله مؤخرا عن ديدرو وصديقهما الثالث كرم ٠ وقصة ديدرو مع روسو طويلة قد لايسمح بالتطرق الى بعض فصولها المقام ٠ وخلاصة ما يمكن قوله هو انهما كانا كأحسن ما يكون عليه صديقان وباستطاعة الواحد منا ان يقف على مدى حب الواحد منهما للاخر مما كتبه روسو عندما سجن ديدرو بسبب رسالته عن العميان اذ يقول:

« وكان من المستحيل أن أصف اللوعة التي سببتها لي محنة صديقي ديدرو فقد كدت أجن،ولقد كتبت الى مدام دي بومبادور أناشدها أن تعمل على اطلاق‌سراحه أو على أن أسجن أنا بدلا عنه ، فلم أتلق منها ردا ٠٠ وأعتقد بأني كنت سأموت أسى تحت أسوار سجنه اللعين لو انه كان قد قدر لحبسه أن يستمر فترة أخرى‌بنفس القسوة » ٠ وأخيرا ، وبعد صداقة استمرت‌خمسة عشر عاما ، بدأ الخصام يدب بين الصديقين‌بسبب أشياء تافهة تحدث عادة بين جميع الاصدقاء ٠ لكن روسو القلق الشخصية والاعصاب كان يتصور

بأن كل الناس أعداءه وهو ما راح يجسم تلك النوافه لديه تدريجيا الى أن فقد صداقة ديدرو الذى لم يكن بدوره متسامحا بعض الشيء مع روسو •

وفي ربيع عام ١٧٧٣ ، قام ديدرو بزيارته الشهيرة لروسيا تلبيــة لدعوة صديقته القيصرة كاتريــن الثانية • ولقد استقبلته كاتريــن استقبالا حافلا وبالغت في ذلــك الاستقبال ، لكن ديدرو في الواقع لم يكن من ندماء الملوك والقياصرة، وكان غالبا ما يظهر في البــلاط القيصري ببدلته العادية السوداء التي كان يرتديها عند لقائه صوفي أيام الآحاد في باريس ، ودون شعر مستعار • ولقد وصف تلك الايام التي قضاها في بلاط كاترين فقال: « انني لم أشعر بثقل الوقت وبطء مروره قط في صحبــة فـلاح أو اسكافي أو أي صاحب حرفة أخرى على عكس ما شعرت به في صحبــة رجال البلاط القيصري » • ولقــد عاملته كاترين بلطف وتســامح بالغين ، ولكن بحذر • كــانت تجالسه يوميا مدة ساعتين ، من الثالثة حتى الخامسة مساء ،وكانت تضع بينها وبينه منضدة صغــيرة حذار ملامسة ركبتيها لركبتيــه • ولقد استغرقت مجالسهما تلــك مدة ستين ساعة عاد بعدهــا الى فرنسا • وتحدثنا ابنته انجليكــا فتقول انه كان دائم الثناء عــلى ذكائها وسحرها بعد تلك الزيارة• ولقد وصفها ديدرو نفسه يومــا فقال : « ان لها روحية قيصـــر واغراء كليوباتره » • اما كاترين فانها بدورها وصفت ديدرو وقالت عنه بأنه « كان يبدو وكأنه طفــل في الثانية عشر أحيانا ، وكشيــخ في حدود المائة من عمره في أحيــان أخرى » • وكانت سيماؤه بالحقيقة تتبدل بسرعة مدهشة كما قــالت كاترين • ولقد قال هو عن نفسه عندما رأى الصورة الزيتية التــي رسمها له الفنان الشهير « فانلو »: « ان هذه السيدة الغنجة ليســت أنا • وان لي في اليوم مائة صــورة تتبدل طبقا للشيء الذى أتأثر به »• لــكن « مايستر » كان قد وصفــه فقال : انه يتميز بجمال الرجولــة الرائع الاخاذ • »

وكانت كاترين قد أهدته يــوم غادر بلاطها عباءة مبطنة بالفرو ، وخاتما يحمل حجرا كريما حفرت عليه صورتها ، وهي هدية كــان يعتز بها ولا تقدر بثمن • لــكن الخسارة التي لم تقدر بثمن ،كانت رسائله الضخمة التى تبادلها مــع كاترين ، مما كان يعتبر كنزا مــن كنوز الفكر والادب العالمي النادر المثال في التاريخ • ولقد اتلفت تلك الرسائل على سبيل الحــذر والاحتراس من قبل انجليكا أغلب الظن ، ابان الثورة الفرنسية •

وكان ديدرو في مطلع حياتــه الادبية أشبهما يكون بتلميذ لفولتير بعد ذلك أصبحا صديقين متجاوبين مع بعضهما بأفكارهما الجريئة • وأخيرا دب الخلاف بينهما كأديبين ومفكرين ليس الا • ولقد هاجــم فولتير ديدرو وقال عنه بأنه يفتقر

الى موهبة ادارة دفة الحوار في ما يكتب وان دلامبرت يبزه في هـذا الميدان · أما ديدرو ، فقد شبه فولتير بقلعة قديمة تسكنها الجن والعفاريت ، كما يسكنها شيخ من السحرة والعرافين ··

وديدرو ككاتب ومفكر ، فانـه صاحب الموسوعة التي لم تـزل تحتفظ بكتاباته الخالـدة عـن سبينوزا ولايبتز وأرسطو وأفلاطون كذلك فانه كان قد سبـق داروين ولامارك في نظرية النشوء والتطور، يتضح ذلك في موضوعه « ترجمـة الطبيعة » الذي نشره عام ١٧٥٤· ولقد هاجم ديدرو النظريات التي لا ترتبط بالطبيعة بشيء ، ووصفها بانها كالاشجار العديمة الجـذور التي تقتلعها الريح الخفيفة بسهولة وهو من هذا المنطلق كان يهـاجم الاخلاق السائدة والكهانة المسيحية ويدافع عن الفضيلة ·وكان كارليل قد هاجمه ووصفه بالالحاد ، غير ان كارليل نفسه ، كما وصفـه نيتشه « كان ملحدا يطمع في أن لا يكون واحدا مـن الملحدين » · وكان ديدرو يلتقي مـع فولتير في ميله الشديد للمطالعة والدراسة والفضول الذهني والدعـوة الى التسامح الديني · لكن فولتير كان ارستقراطيا يؤيد النظام الملـكي ، ويؤمن بوجود اله وينكر كل مـا يتعلق بالوحي والنظم الدينيـة ، بخلاف ديدرو الذي كان يدعو الى الجمهورية ، وينكر الاقانيم الثلاثة: الاب ، والابن ، والروح القدس · وكان أكبر كتب ديدرو تأثيرا في حياة المجتمع هو كتاب «الراهبة» الذي هو دونما شك كنز من كنوز الطبيعة الانسانية الرحيمة التـي حفظت للجنس البشري والفـرد بصورة خاصة ، كرامته وانسانيته في حياته الاجتماعية على مر العصور اضف الى ذلك فان لهذا الـكتاب قيمته الثورية ودوره الذي لعبه ضد مساويء الكنيسة وسلطانهـا الكهنوتي ، وضد الظلم الاجتمـاعي في عصر كان التعرض فيه لسلطـة الكنيسة أشبه ما يكون بالتعـرض لسلطان الديكتاتوريات السياسية في هذا العصر · كذلك فهو كتـاب ضد الشذوذ بمختلف اشكالـه : الشذوذ في التربية ، وفي الاخلاق، والدين ، والعقل ، والجنس ، وثـم الشذوذ المنظم عن مقتضيات الطبيعة الانسانية وطبيعة المجتمع ، ثـم الشذوذ السيكولوجي الجمـاعي والفردي ·

ولقد تطور عنوان هذا الـكتاب عن طريق ناشريه ونقـاده الى « اعترافات راهبة » · وكان قـد وضعه ديدرو نفسه في رسالـة مؤرخة في ٢٧ سبتمبر سنة ١٧٦٠ وجهها الى ناشر رسائله ، «الرسائل الادبية » ، قائلا: « **انه مليء بالصور العاطفية المحزنة · وان القصـة جميعها قد ركزت في شخص انسان افترض بانه هو الذي يتكلم ،وان عنوانه هو « الراهبة » · واني لا اعتقد بان احدا قد كتب من النقـد المخيف للاديرة كمثل الـذي ورد فيه** » ·

ولقد كان نقد ديدرو للاديرة في

هذا الكتاب مخيفاً حقاً . فلقد اصفر له في حينه وجوه الامهات والاباء الروحانيين الكنسيين ، ووجوه الامهات والاباء الطبيعيين ، بل واصفر له وجه المجتمع أيضا ، ووجه السلطتين اللتين كانتا متداخلتين ، الدينية والزمنية . من اجل ذلك كانت الثورة الفرنسية قد وجهت نيرانها نحو سلطة الكنيسة وأديرتها فكان أن صدر مرسوم الاديرة المعروف في ٢٧ ـ شباط ١٧٩٠ بعد النقاش العنيف الذي جرى حوله في قاعة الجمعية التأسيسية في باريس . وكان الدافع المباشر لوضع هذا الكتاب فتاة تدعى « سوزان دي لامير » ، اساءت امها سلطانها عليها فادخلتها الدير دونما رغبة منها . بعدها تقدمت بشكوى امام المحاكم تطلب فسخ نذرها وعهدها وتحريرها من أسار الدير فخسرت قضيتها مما كان له تأثير سيء في نفوس الخاصة والعامة جميعا . ولقد طلب أصدقاء ديدرو منه أن يكتب بالنيابة عن تلك الفتاة المسكينة الى المركيز « كروازمار » لاستعمال نفوذه في انقاذها ، فكان ان وضع هذا الكتاب متأثرا بالحادث ذاته من جهة وبطبيعته ونزعته الفردية وذكرياته الاولى عندما اريد له ان يصبح قساً في مدارس الجزويت ، من جهة اخرى . ولم يقدر لكتاب « الراهبة » ان يظهر علنا خلال حياة ديدرو . انما كان ينتقل على شكل مخطوطات سرية من هذه اليد الى تلك . و في ظل حكومة الدايركتوار بعد الثورة الفرنسية ، طلبت الاكاديمية الفرنسية في باريس من سفير فرنسا لدى بروسيا ، كيلار ، أن يحصل على نسخة من أغنية معينة من الامير هنري شقيق فردريك الثاني فما كان من هذا الامير الا انزوده على سبيل المجاملة بمخطوطتين لديدرو هما « جيمس القدري » و « الراهبة » بعدها نشر الكتاب علنا لاول مرة في فرنسا عام ١٧٩٥ ، ثم تناوله أدباء العالم ومفكروه بالدراسة العميقة والترجمة فنقل الى جميع لغات العالم الحية ، كما أصبح دليلا لمدرسة كبيرة من مدارس علم النفس المعاصرة ، وقد قام كاتب هذا المقال بترجمته ونقله الى العربية ، وطبعته العربية هذه لم تصدر بعد .

لقد مرض ديدرو وازدادت صحته سوءا بعد عودته من روسيا . وكان قد بدأ يعاني على الدوام من نوبات معدية حادة ، كما كان يتقيأ باستمرار بعد كل وجبة طعام . وعندما شرح الاطباء جثته بعد وفاته وجدوا في مرارته احدى وعشرين حصاة ، كما وجدوا قلبه متضخما الى ضعف حجمه الطبيعي ، وان احدى رئتيه كانت مملوءة ماءا . وكان العبقري العظيم قد انهك كيانه بالجهد المضني المتواصل ، اذ غالبا ما كان يجلس الى منضدته للكتابة مدة اربع عشرة ساعة متواصلة بلا توقف ، ودون ان يخطر له الطعام على بال .

وقد توفي ديدرو بعد حبيبته صوفي بزمن قليل . ففي الثاني والعشرين من شباط عام ١٧٨٤

توفيت صوفي فولاند • وبعدهـــا بخمسة أيام ، تعرض ديدرو لنوبة قوية من فقدان الحس والحركة • ثم أخذ يتماثل تدريجيا نحـــو الشفاء ، غير ان جسمه بقي ضعيفا واهنا • وكان القس ، خـــوري سنت سلبيس يتردد عليه لزيارته اثناء مرضه فكان يتبادل معـــه الاحاديث الودية المختلفة • وفي يوم من تلك الايام ، كان ذلك الخوري قد تشجع بما يبديه ديدرو نحوه من لطف ومجاملة فتجرأ وقال لـه مجازفا : « **أرى بأن ارتدادا ولـو يسيرا من جانبك الى المسيحيـــة سيكون له تاثير مفيد على العالم** »، عندها حال ديدرو دون استرساله في الكلام وقال : « **اني اوافقك أيها السيد الخوري ، لكن ذلك سيكون من جانبي كذبةوقحة لا يصدقها أحد** » غير ان الخوري استمر بعدهاضاربا على نغم جديد فذكره بانه كان قد اضطر على عدم دفن فولتير — وقد توفي قبل ديدرو بست سنوات — في مقابر المسيحيين لاسباب مماثلة • عند ذلك اجابه ديدرو قائلا بحزم : « اسمع أيها السيد الخوري ، اني أفهم جيدا ما تعني • لقد رفضـت دفن فولتير لانه لم يكن يعتقـد بالوهية « الابن » • وهذا حسن ، فاذا مت أنا ، فليدفنوني أنى شاءوا غير اني أعلن للدنيا هنـــا بأني لا اعتقد ، بالاضافة الى ما لم يعتقد به فولتير ، لا بالوهية « الأب » ، ولا بالروح القدس ، ولا بأي فرد اخر من افراد هذه العائلة كلها » •

وبعد أن أخذ الوهن يدب فـــي جسمه حثيثا ، انذره الاطباء بـأن صعوده ونزوله في السلالم العالية ربما سيودي بحياته • وتحت ضغط والحاح صديقه الكاتب الالمـاني « كرم » ، انتقل أخيرا من الغرف المتواضعة التي سكنها مدة ثلاثـين سنة في الطابقين الثالث والرابـع من منزله في شارع تاران ، الـى الدار الفخمة المترفة التي هيأتها له صديقته الوفية وحاميته كاتريـن الثانية امبراطورة روسيا ، فـي شارع ريشيليو بباريس •

وبعد مرور اسبوعين على سكناه دار كاترين ، حمل العمال اليـه فيها سريرا جديدا مريحا حســن الصنعة فقال يخاطبهم : « لقد أتعبتم أنفسكم كثيرا أيها الاخوان في أمر قطعة من الاثاث لا أخـــال اني سأستخدمها أكثر من اربعة ايام » • وفي اليوم التالي ، في الثلاثين مـن حزيران عام ١٧٨٤ ، جلس ديدرو مع عائلته كالعادة لتناول طعـام العشاء حيث تناول في نهايته مشمشة وكانت زوجه ثانييت تعاتبـه في بعض الامور عندما مد يده الى المائدة لتناول بعض الحلويات ، بعدها بقي متكئا بمرفقه على الطاولة لا يبـدي حراكا وقدران على الغرفة الصمت والسكون • عند ذلك فهمت السيدة ديدرو التي كانت تراقب حركاتـه بيقظة وانتباه ، بأن زوجها قد مات

وعندما استدعي القـــس للحضور ، جاء ومعه بعض الزيت المقدس غير انه عندما وجد بـأن ديدرو لم يعد حيا ، رفض القيام بالواجب على أن السيدة ديدرو ،

مرقده ، وجد بأن الكفن جميعه قد اختفى عن الجثمان • وهكذا دبر اولئك القساوسة المؤامرة لجثمانه ميتا بعد ان كانوا يرهبونه حيا •

وكان ديدرو يوم توفي ، في الواحدة والسبعين من عمره ، وقد وافاه الاجل بعد صوفي بثلاثة أشهر فقط • وكانت صوفي قد تركت له بعد وفاتها تذكارا خاتمها وسبعة كتب لمونتين • وتحدثنا انجليكا فتقول بأن أباها ما كان ليموت بهذه السرعة بعدها لو لم يكن هو يوحي لنفسه دواما ويقنعها بأنه لاحق بها قريبا جدا لا محالة • وكثيرا ما كان ديدرو يفصح لصوفي عن رغبته في ان يختلط رماد جثتيهما سوية بعد الموت • ولقد كتب يوما يقول : « كل شيء في هذه الدنيا لابد فان ، ويبقى الوجود وحده والزمن » •

ومعها أقاربها ، استطاعت أخيرا ان تؤثر على ذلك القس بعد أن وعدته بأنها ستقدم للكنيسة مبلغ ثمانية عشر ألف فرنك ان هو أذاع بين الناس بأن زوجها قد رجع الى المسيحية قبل وفاته • عند ذلك وافق القس على هذا العرض ، ثم اعطيت لديدرو البراءة والغفران ، بعدها سار نعشه بهيبة وفخامة وزهو نحو سنتروش حيث جللت اكفانه بأعلام العذراء • وبعد ان انتهت حفلة التوديع ، كما روت إبنته انجليكا، ووري التراب •

وبعد مدة من الزمن ، عندما ازيحت اعلام العذراء جانبا عن

بعض مراجع البحث :

١ ـ رسائل دنيس ديدرو الى صوفي فولاند (اندريه بابيلون) •

٢ ـ مذكرات مدام ديبيناري •

٣ ـ ديالوجات دنيس ديدرو ـ ترجمة فرنسيس بيريل •

٤ ـ في دفاع شيلي ومقالات أخرى (هربرت ريد)

٥ ـ ديدرو والانسكلوبيديين (جون مورلي) •

٦ ـ جان جاك روسو (جون مورلي) •

٧ ـ مدام جوفرين : صالونها وأوقاتها (جانيت الديس) •

٨ ـ ديدرو ، ترجمان الطبيعة (كمت) •

٩ ـ اعترافات جان جاك روسو ، (روسو) •

١٠ـ جان جاك روسو ، حياته وكتبه (محمد حسين هيكل)

١١ـ ديدرو (اليس غريغوري) •

١٢ـ ديدرو (مكسمين بورتاج) •

مطالعات في المجلات

الشعر ..
بين الموضوعية والأخلاقية

حين طلب الي أن اقدم الحلقة الاولى من الباب الذي اقترحته هيئة تحرير (الاقلام) بالعنوان المتقدم ترددت قليلا .. ذلك ان المجلات الادبية التي تصدر كل شهر كثيرة ، وأنا أقرأ بعضها قراءة امعان وأقرأ بعضها الاخر قراءة ادمان – اذا صح هذا التعبير – ثم انني لا أقرأ مواد المجلة التي أقتنيها كلها ..

ومن هنا تسلل التردد الى نفسي .. فقد أكون ظالما حين أستعرض المجلات فاقدم للعرض ما قرأت من موادها وأضرب صفحا عما لم أقـــرأ منها ، وقد يكون فيما لم أقرأ ما يستحق ان يقـدم على ما قرأت ..ألست محقا في التردد ؟..

ولكنني – بعد أن خلوت الى بعض مجلات الشـهر الادبية اهتـديت الى حل يريحني من جهة ، ويبعد عني الشعور بالظلم من جهة اخرى .. ذلك انني رأيت أن أستعرض لقراء الاقلام لونا واحدا مما تحفل به بعض مجلات الشهر الادبية ، هو اللون الذى أبدأ بقرائته عادة ، وهو ما يدور حول الشعر من نقد وبحوث وآراء . وأستميح القارىء عذرا اذا أنا قدمت له هذا العرض بايجاز لا يتناول مناقشة (المعروض) وانما يومىء اليه .. فقد حددت لي الصفحات وأقت موعد تقديم الحلقة . ولعل غيرى ممن سيستعرضون المجلات الادبيـة في الاعداد المقبلة يتناولون الموضـوع من زوايا أخر .. لغوية أو فنية أو علمية ، ذلك من حقهم على أيـة حال ، ومن حق (الاقلام) علي أن أبدأ جولتي بها .. فهي الوليد الذي كنـــا نرقب ميلاده بلهفة واشفاق .. ولكنه ولد قوي البنية رائع التـكوين ولله الحمد .

لا أعتقد ان ثمة من يشك بأن الرسالة البليغة التي سطرتها يراعة السيدة نازك الملائكة الى الشاعر العربي الناشىء كانت أروع ما كتب عن الشعر في عدد الاقلام الاول . ولقد حضرتني بعد الفراغ من قرائتهـــا

الكلمة التي قيلت في أبي نواس (أقل ما فيه الشعر ..) ، فالسيدة نازك ـ على أنها عرفت بالشعر ـ الا انه أقل ما فيها .. ومن قرأ لها رسالتها الاخيرة وآراءها التي سبقتها وكتابها في قضايا الشعر يدرك ذلك . ولست بسبيل استعراض ما يؤيد رأيي من خلال آثارها السابقة على هذه الرسالة، فانها ـ أي الرسالة ـ كافية للتدليل على ذلك بما احتوت عليه من التوجيه الذي لا أحسبه يهدي الشاعر الذي شب عن الطوق بأقل مما يهدي الشاعر الناشىء .. ولعل السيدة نازك تواضعت حين عنونت الرسالة الى (الشاعر العربي الناشىء) ولو أنها عنونتها الى (الشاعر العربي) لما أخطأت المعنون اليه . ولا أريد أن أشير الى الموضوعية فيها ولكنني أريد أن أؤكد على (الاخلاقية) التي لم تنفصل عن الموضوعية في كل جزء من أجزاء الرسالة ، فهي لم تفصل بين الموضوع والاخلاق ، وهذا ما ينبغي أن يكون ملاك الرسالة المقدسة للشعر .. وما ينبغي أن يدركه الشعراء ناشئين و (كبارا) ..

وفي العدد الاول من الاقلام بحث للاستاذ نعمان ماهر الكنعاني عن (الاصالة وتطور مقومات الشعر) تؤكد النماذج التي اختارها فيه أمثلة للاصالة المعنى الذي ينتظر أن يأخذ مكانه في تقييم الشعر على أساس من عدم الفصل بين الموضوعية والاخلاقية في رسالة الشعر ..

وننتقل من الاقلام الى مجلة (الرسالة) فنجد في عددها الاخير (التاسع والخمسين) أكثر من بحث يدور في فلك الشعر .. فالدكتور بدوي طبانة ختم في هذا العدد دراسته عن الشاعر العراقي حافظ جميل، وهذه الدراسة حلقة من دراساته التي يعدها عن شعراء العراق المعاصرين في بحثه الموسوم بـ (نظرات في الشعر العراقي المعاصر) . والشعر العراقي المعاصر مدين للدكتور بدوي بالشكر لاهتمامه به ومحاولته تجليته وعرضه لقراء العربية في مناسبات شتى ، فهو قد عني به منذ عقدين من السنين ، فكتب عن شواعر العراق كتابا ، وألف في شاعره الكبير الرصافي كتابا آخر .. وها هو ذا اليوم يتصدى لتعريف العالم العربي ـ عن طريق الرسالة الغراء ـ بآخر مرحلة بلغها الشعر العراقي المعاصر .

وللدكتور أحمد كمال زكي تساؤل ضمنه مقاله القيم في العدد نفسه من الرسالة . عالج فيه (الرفض) الذي يتخذه بعض الشعراء (موقفا) يتجاهل القيم التي تجمع عليها مجتمعاتهم ، ويضرب لنا مثلا بشاعر من سورية وآخر من لبنان .. ثم ينتقل الى شاعر محسوب على العراق ، ويتساءل (ترى .. تزعم انه يرفضنا نحن العرب لاننا نستحق الرفض؟. العيوبنا ؟.. أم لعناده ؟.. أم لمنفعته قد هجرنا) .. ولقد طرح الدكتور السؤال .. فهل يملك الشاعر الجواب ؟

وفي عدد الرسالة ذاته ـ وهو عدد يبدو أن نصيب الدراسات الشعرية فيه كبير ـ يتحدث الاستاذ عبده بدوي في حقله الاسبوعي

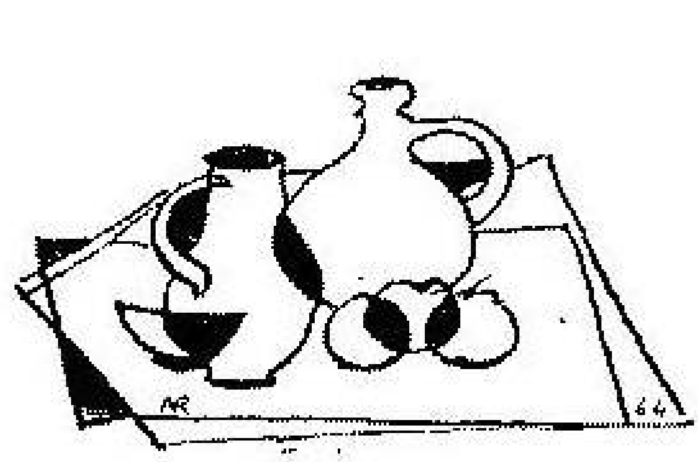
(حول الادب في اسبوع) عن (الغليان) الذي يجيش به الوسط الادبي اليوم .. وفي رأيي ان حديثه هذا تتويج لما سبق أن كتبه في هذا الحقل من بحوث تتعلق بالشعر - بصورة خاصة - والادب - بصورة عامة - فهو قد وقف موقفا رائعا من المحاولات اللئيمة التي يساق عن طريقها الشعر العربي (الحديث ..) الى اصطناع رموز معينة للتعبير بواسطتها عن قيم لاتمت الى مجتمعنا ومثلنا وديننا بصلة .. وهو قد عرى في بحوثه التي سبقت بحثه الاخير هؤلاء الذين يحملون رايسة هذه المحاولات .. وكشف عن زيفهم الخلقي .. والوطني .. بما لايدع مجالا لاكبارهم حتى لو وفقوا الى عرض نماذجهم في أطر فنية تستحق الاعجاب .. ولعـل (مهيارا الدمشقي) أوضح مثال لهؤلاء الذين هتك الاستاذ بدوي عـن أوجههم الحاقدة براقع الادب والفن .

مرحى للاستاذ بدوي .. مرحى لصرير قلمه الذي بات يؤرق أكثر من (عين) ..

وفي عدد (الاداب) الاخير - عدد ايلول - يطالعنا الدكتور أحمد كمال زكي ثانية في نقده لقصائد العدد السابق من المجلة .. ولا أدرى لماذا أشعر ان ما يزجيه من توجيه ونصح الى شعراء الاداب خليق أن يدور بهم في دوامة من المفاهيم تضيعهم أكثر مما تهديهم .. فهذا الحشد من التعـابير (التجربة .. والموقف .. والمشاركة .. والمناخ الشعري .. و ..) لايصح أن تكون صوى على طريق هؤلاء الناشئين ولا مصابيح تبدد الظلام الذي يتخبطون فيه .. من يدري .. لعل طبيعة الشعر الذى ينظمونه تستدعي هذا اللون من التوجيه ؟..

أقف - بعد هذا الاستعراض السريع - لاحيي ، متفائلا ، الاقلام التي بدأت تؤكد ان منطلق الشعر - وبخاصـة في مرحلتنا الحاضرة - القاعدة التي ترتكز على الاخلاق ارتكازها على الفن وعلى غيرهما من مقومات الشعر .

(خ)



رسالة وجواب
حول تحقيق طرة على مخطوط

يطيب لنا أن نقدم لكم هاتين الرسالتين المتبادلتين بين اديبين مغربيين أحدهما يوجد في رباط المنصور ، والثاني يوجد في بغداد المنصور ، وقصدنا من هذا النشر أن يقف قراؤنا بدورهم على نوع من هذه « المخاطبات » وقد استأذنا في نشرها من يعنيهما الامر فتفضلا مشكورين :

نص الرسالة بعد الحمد والتحلية

وبعد فقد كنت اتمنى بعدما نهلت من الرافدين وعللت ، أن أجد من الوقت ما يمكنني معه أن استأنف ما به بدأت على شط أبي رقراق ، بيد أن البرور بمصلحة الوطن انسانا لذائذنا الخاصة ، وهكذا أمسينا لا نـزور الكتب الا الماما وخاصة في هذا الظرف الشائب ، الذي ينوء بفواجعه الحاضر والغائب ، وان الامل قوي في أن يرجع الاخ الى أخيه ، ويذكر الجار وشائج قربـاه :

اذا احتربت يوما فسالت دماؤهـا تذكرت القربى ففاضت دموعهـا

لقد اتخذت سلوة لي كلما انهيت واجباتي أن الوذ بالمكاتب العامـة هنا وهي كثيرة ، وبالمكاتب الخاصة وهي أمكن وأسهل ، لكن ما يغمرنا به هؤلاء « العراقيون » من كرم الضيافة وادب الوفادة ، يشغلنا عما من أجله اجتمعنا ، ويسلمنا الى حدائق أخرى من العلم والادب زاهية ، ويتهادانا الى مواضيع مرضية راضية • هذا الى انني وجدت نفسي مضطرا بعدما أعرقت الى أن أخذ بجانب لسان آخر ذاع هنا وعمر ، « ومن دخل ظفار حمر » كما يقول المثل العربي •

هذا وقد كنت في بعض أحاديثي اليكم ذكرتكم بانني عثرت ــ وأنـا احقق تاريخ ابن صاحب الصلاة ــ على قصيدة لابي عمر بن حربون قالهـا بمدينة مراكش لدى مبايعة ابي يعقوب يوسف الموحدى ، كان في جملـة أبياتهـا :

يصنع السيف المصمم في الوغـى اذا لم تساعده على الضرب ساعد

وكنت ذكرتكم بانني ـ عندما وقفت في اكسفورد على النسخة الاصلية ـ وجدت طرة على يمين الكتاب عن هذا البيت هكذا : « هذا ينظر الى قول المتنبي : « وما السيف الا مستعار » غير انني لم أجد اثرا لذكره في ديوان المتنبي ... وقد كان أحد الاصدقاء ذكر لي أن عجزه : « فذكرك كاف للعدى والاشاوس » بيد ان هذا كان مجرد كلام لم تسنده حجة ، ولم يدعمه برهان ، وقد كنت استنجدت بسعادة الاخ الاستاذ خيرالدين الزركلي صاحب الاعلام ، وبحضرة الصديق الاستاذ العابد الفاسي الذي كان على علم بنسخ مخطوطة من ديوان المتنبي عثر عليها مؤخرا في مكتبة المغفور له جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه ... ولكن احدا لم يقف على شيء ما يؤيد ان الشعر لابي الطيب ، نحن نعلم ان للمتنبي في هذا المعنى أبياتا منها :

وما السيف الا القطع فعل وانت القاطع البر الوصول

ومنها :

وما يصنع السيف المصمم في الوغى اذا لم تساعده على الضرب ساعد

لكني لم أقف على الشطر الذى استأنست به الطرة ، بمما كان في الحقيقة ! وهكذا بقي المصراع الاول دون لقاء بالمصراع الثاني وكان هذا طبعا مما لا تطرب له المثالث والمثاني !

فانني اذ اهنئكم بالعيد السعيد انتهز هذه الفرصة لاذكركم بالموضوع ، وانني على يقين من انني سأجد في سعة اطلاعكم واستقرار احوالكم ما يشجع على التتبع والاستقصاء ، وقد عودتموني في استقصائكم ما يجعلني اعتمد عليكم .

وفي الختام أذكركم بما طلبت اليكم من معلومات عن حياة والدكم المنعم ومؤلفاته وبحوثه حتى استطيع تقديمه الى رجالات العلم هنا ، فلعلكم على دراية من ان تعريف أهل المشرق بالمغرب وتعريف المغرب بأهل المشرق مما يدخل في دائرة نشاطي ، ومما يزيد في سروري واغتباطي ...

حرر ببغداد يوم الخميس ٣٠ رمضان ١٣٨٣ الموافق ١٣ـ٢ـ١٩٦٤

اخوكم

عبدالهادي التازي

نص الجواب بعد الحمد والتحلية

وبعد السؤال عن كافة الاحوال ، فمنذ أعرقتم ونحن نتطلع الى أخباركم وأعمالكم الثقافية ، واطروحتكم الموحدية ، ونتعلل بمذاكراتكم التاريخية ورسائلكم الاخوية .

وان المصراع الذى طال البحث عنه ، وكثرت المذاكرة هنا في شأنه ولم يتيسر حينذاك الاهتداء الى شطره لا بواسطة الكتب والدواوين ، ولا من طريق الرواة والوعاة ، لم يزل عالقا بذهني ، يتردد على لساني ، ويلجلج في خاطري ، حتى كدت أتمه من قولي ، وأجيزه من نظمي ، الى أن يسر الله سبحانه أخيرا فوقفني لتصفح الجزء التاسع من كناشة الوزير اليحمدي ،

فلما بلغت أواخر الجزء ظفرت بالبيت تاما بعجزه المقصود مفردا عما قبله وبعده ، غير منسوب لاحد ، مسبوقا ببيتين آخرين في معناه مسوقا هكذا :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا   اذا لم يكن فوق الكرام كرام !

وقال آخر :

فهذه سيوفٌ ياعدي بن مالك   كثير ، ولكن أين بالسيف ضارب

من معناه :

وما السيف الا مستعار لزينة   اذا لم يكن أمضى من السيف حامله

فالتأم بذلك المصراعان الاخوان وتدانيا بعد طول التنائي ، وأخذ لسان حالهما يعارض بحتري الغرب ـ أبا الوليد أحمد بن زيدون ـ وينشد :

أضحى (التداني) بديلا من (تنائينا)

وصادف ذلك الاعلان عن تباشير التقارب بين الاخوة والمتنازعين ، والاتفاق على تراجع الحشود ، عن مواقف الحدود ، وتبادل التهاني ، بحصول التداني ، ونجاح الاماني ، فتذكرت حالة ابي عمرو بن العلاء البصري أحد القراء السبعة وهو هائم بصحراء اليمن عندما سمع أعرابيا ينشد :

ربما تجزع النفس من الامـ   ـر له فرجة كحل العقال

وكيف كان سرور أبي عمرو بظفره بضالته المنشودة ، وبغيته المقصودة ، اذ وجد في فتح الفاء حجة له على قراءته (الا من اغترف غرفه بيده) والقصة في سرح العيون لابن نباتة (١:١٨٧) وحرف العين من وفيات ابن خلكان، وشرح الشريشي في المقامة الاربعين (٢:١٨٨)،(٢:٢٥٥) وحاشية الخضري علي بن عقيل في باب الموصول (١:٩٥)،(١:٩٠) بروايات مختلفة ، وبالفتح قرأ الحجازيان الحرميان : نافع المدني وعبدالله بن كثير المكي ، كأبي عمرو البصري ، وبالضم قرأ الباقون ومنهم عبدالله بن عامر الشامي والكوفيون وبه يضبط الشرقيون الان ، ففيها لغتان ، والقراءتان سبعيتان ، والبيت لامية بن أبي الصلت الثقفي الذى آمن شعره وكفر قلبه !

وفي تلك الاثناء تلقيت رسالتكم العيدية ـ المحررة في أواخر رمضان ، الواصلة في أواسط شوال ـ فترادفت بذلك مطالع المسرات ، وتوالت دلائل الخيرات ، وكان الامر عن غرائب الاتفاق ·

وبعد التمكن من عجز البيت وقافيته بقيت النفس متشوقة بمعرفة قائله ، والقصيدة التي هو منها ، فأعملت البحث عنهما ، وبعد استعراض بعض المجموعات الادبية والتاريخية ، عثرت على عدة قصائد وقطع من الوزن الطويل على روي اللام المطلق المضموم الموصول بالهاء الساكنة ، منها شعر ضابيء البرجمي ـ أو ابنه عمير ـ المتداول منه البيت الشاهد على حذف خبر كاد :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

ووجدت عبدالقادر البغدادي يقول في خزانة الادب (٤: ٨٠ من طبعة سنة ١٢٩٩) : « والبيت من أبيات سبعة » ، وذكرها نقلا عن مختار اشعار القبائل لابي تمام ، وعثرت في معاهد التنصيص للعباسي (١: ٦٦) على زيادة ثلاثة أبيات لم يذكرها البغدادي ، هي :

ولا تقربن امر الصريمة بامرىء اذا رام أمرا عوقته عواذله

فلا الفتك ما أمرت فيه ولا الذى تحدث من لاقيت انك فاعله

وما الفتك الا لامرىء ذى حفيظة اذا هم لم ترعد عليه مفاصله

وبينها وبين بيت السيف المفرد المقصود تناسب وارتباط في المعنى، وقد اجتمع لدي من قصة ضابىء وعمير ومقابلة نصوصها وشرحها والتعليق عليها وذكر نظائرها وما قيل على هذا الروي ما يخرج في رسالة مستقلة ان شاء الله تعالى :

وتابعت الفحص عن البيت المفرد ، ولم أجده في ديوان المتنبي ، وواليت البحث عنه في غيره الى أن عثرت على المطلوب ــ بتغيير يسير ــ في ديوان الوليد البحتري (٢٠٦ــ٢٨٣) هكذا مكتفيا بين سابقه ولاحقه :

رمى كلب الاعداء عن حد نجده
بها قطعت تحت العجاج مناصله

وما السيف الا بزغ‍اد لزينة
اذا لم يكن أمضى من السيف حامله

يداني بمعروف هو الغيث في الثرى
توالى نداه واستنارت خمائله

وهو البيت الثامن عشر من قصيدة له ثلاثينية في مدح الفتح بن خاقان بن أحمد ــ وزير الخليفة المتوكل بن المعتصم العباسي (٢٠٧ــ٢٣٢ــ٢٤٧) ــ ووصف دخوله وسلامه عليه وأولها :

هب الدار ردت رجع ما انت قائله
وأبدى الجواب الربع عما تسائله

أفي ذاك برء من جوى الهب الحشا
توقده واستغزر الدمع جائله

وهي غير العشرينية التي له في ابراهيم بن المدبر ، وأولها :

سقى ربعها سح السحاب وهاطله وان لم يخبر انفا من يسائله

وقد ورد البيت المقصود هكذا بلفظ (الا بزغاد) في طبعتي الديوان المصرية والبيروتية المؤرختين معا بسنتي ١٣٢٩ــ١٩١١ ، فالمصرية بمطبعة هندية مقابلة على نسختين خطيتين بتصحيح ووقوف عبدالرحمن البرقوقي (١: ١٦٣) ، والبيروتية بطبعة وتعليق رشيد عطية (١: ٥١) ، وقد فسر فيها البز بالسلاح ــ وهو كذلك في كتب اللغة كاللسان والمصباح

والقاموس ، وقال شارحه في التاج (٨:٤) : ويقال البز : السيف نفسه ، واستدل له بما أنشده ابن دريد لمتمم ابن نويرة — أما طبعة الاستانسة للديوان بمطبعة الجوائب فلم يتيسر لي الآن الوقوف عليها ، وأظنها مثل الطبعتين المذكورتين اذ بهذا اللفظ ورد البيت في الكتب الاخرى التي وقفت على ذكره فيها كوساطة الجرجاني وشروح الواحدي والعكبري ، والبرقوقي لديوان المتنبي ٠

وتحريف (بزغاد) وتصحيفها الى (مستعار) ثم الى (مستدار) غير مستبعد ، خصوصا مع تقارب صورة الدال والراء في الخط ، وامكان اهمال المعجم ، وسهولة تحول رسم العين والغين الى صورة دال ، والباء الى ميم ٠

وقد بين القاضي ابو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني (٢٩٠–٣٦٦) في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه الشاعر السابق لمعنى البيت ، وذكر من كرر المعنى من الشعراء الثلاثة فقال عند كلامه على ما قيل في سرقات المتنبي (٢٨٦ من طبعة ١٣٦٠) :

ابو تمام :

وقد يكهم السيف المسمي منية وقد يرجع النجد المظفر خائبا
فآفة ذا الا يصادف مضربا وآفة ذا لا يصادف ضاربا

البحتري :

رمى كلب الاعداء عن حد نجدة بها قطعت تحت العجاج مناصله
وما السيف الا بزغاد لزينة اذا لم يكن أمضى من السيف حامله

ابو الطيب :

ان السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن اذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حده مثل الجبان بكف كل جبان

ثم نقله غيره :

اذا ضربت بالسيف في الحرب كفه تبينت ان السيف بالكف يضرب

ومثل هذا قول البحتري :

فلا تغلين بالسيف كل غلائه ليمضي فان الكف لا السيف يقطع

وقد اعاد المتنبي فقال :

اذا الهند سوت بين سيفي كريهة فسيفك في كف تزيل التساويا

ثم نقله الى الخيل فقال :

فما تنفع الخيل الكرام ولا القنا اذا لم يكن فوق الكرام كرام

وبعد الجرجاني اشار لسبق البحتري لهذا المعنى واخذ المتنبي عنه شراح ديوانه ، فقال ابو الحسن علي ابن أحمد الواحدي المفسر المتوفي سنة (٤٦٨) في شرحه للبيتين المذكورين — وهما الرابع والخامس والخمسون من نونية المتنبي « الرأي قبل شجاعة الشجعان » — (٥٩٩ من طبعة برلين ١٢٧٦) : « وهذا من قول البحتري » :

وما السيف الا بزغاد لزينة اذا لم يكن أمضى من السيف حامله

وتبعه ابو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري البغدادي الحنبلي الضرير (٥٣٨ـ٦١٦) فقال في شرحه عند البيت ٥٤ المذكور (٤:١٨٤ طبعة تراث العرب ١٣٧٦) : وهو من قول البحتري :

وما السيف الا بزغاد لزينـــة اذا لم يكن أمضى من السيف حامله

وتبعها عبدالرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان في شرحه للديوان هناك (٤ : ٤٠١ من الطبعة الثانية ١٣٥٧) فجاء اخر الحلبة سكينا واتى بلفظ الواحدي ، الا ان الثلاثة لم ينتبهوا الى سبق أبي تمام للمعنى واقتصروا على ذكر سبق البحتري فيه لابي الطيب ، والبحتري معروف بالاخذ من معاني أبي تمام الذي كان شجعه على القول لما التقيا ورأى فيه ملامح النبوغ وامارات الاجادة كما ان ابن رشيق القيرواني في العمدة والضياء نصر بن الاثير الموصلي في المثل السائر ، والامام يحيى بن حمزة اليمني في الطراز ، والمفتي العباسي المصري في المعاهد ، لم يذكروا هذا البيت عند الكلام على السرقات الشعرية .

واقتصر ابو القاسم الحسن بن بشر الامدي (٣٧٠) في كتابه الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري على نقد مطلع قصيدة البحتري هذه (٢٨٦ طبعة الجوائب بالاستانة ١٢٨٧ ـ ١ : ٤٣٢ طبعة مصر ١٣٨٠) . وكذلك فعل ابو العلاء المعري (٣٦٣ ـ ٤٤٩) في كتابه عبث الوليد (١٦٤ طبعة دمشق ١٣٥٥) ولم يتعرضا لهذا البيت منها .

وفي المعنى قال الوزير ابو بكر محمد عمار في المعتضد ابن عباد :

السيف أفصح من زياد خطبـــة في الحرب ان كانت يمينـك منبرا

وقال الطغرائي في لاميته :

وعادة النصل ان يزهي بجوهـره وليس يعمل الا في يدى بطـــل

قال الصفدي في شرحه الغيث المسجم (٢ : ١١٤) : « وقول الطغرائي يشبه قول ابن خفاجة » :

وما السيف لولا الحرب الا حديدة وما الرمح الا خوطـــة تتـــأود

وقوله ايضا :

والحـر مفتقـر الى عز الغنـــى فقر الحســام الى يميـن الفـارس

وقوله ايضا :

فما احتمى جانب لم يحمه مـــلك ولا مضى صـارم لـم يمضـه بطل

وقال ابو الطيب :

فتى يملأ الافعال رأيـــا وحكمـة ونادرة احيـان يرضـى ويغضـــب
اذا ضربت بالحرب في السيف كفه تبينت ان السيف بالكف يضـرب

واخذه ابن سناء الملك غصبا ، وجرد عليه في الاغارة عضبا ، فقال :

فلا تحسبوا بالكف جرد نصـــله ولكنـه قد جرد الكـف بالنصـل

ولم يشر على اطلاعه ، الى أخذ المتنبي عن البحتري وأبي تمام ، ولا الى بقية ما قاله المتنبي في المعنى وما قاله غيره من أهل القرون الثلاثة الموالية ٠ وكذلك يتفاوت الاعلام في الاطلاع ويوجد عند احدهم ما ليس عند الاخر ، ويأخذ الشعراء بعضهم عن بعض أو يتواردون على المعنى الواحد ويصوغونه في قوالب مختلفة وصور متشابهة ، الى أن يصبح متداولا ، ويصير مشتركا : « اولئك كالمشموم كل له شذا » ٠٠٠

وفي السيف الكليل بيد الجبان يضرب المثل بسيف الفرزدق الكهام لما أمره سليمان بن عبدالملك الاموي بضرب اعناق اسارى من الروم فنبا السيف بيده ، وقد ذكر ذلك محمد بن سلام الجمحي في أواسط الطبعة الاولى من الاسلاميين من كتابه طبقات الشعراء (١٤١ طبعة السعادة وابن قتيبة في ترجمة الفرزدق من الشعر والشعراء (١٣ ط ١٣٣٢) ، كما ذكر القاضي الماوردي في أوائل الباب الاول من أدب الدنيا والدين ، وأورد قول الفرزدق وجرير في ذلك ، وقول ابي الهول الشاعر لما تهرب شبيب بن شيبة من مثل ذلك لما أمره به المهدي العباسي، وتبع الماوردي في ذكر ذلك العباسي في المعاهد (٢ : ١٤٧) ، وكذلك ذكر بعضه ابن رشيق في العمدة في باب البديهة والارتجال ، والصفدي في الغيث (٢ : ١١٣) وفي المعنى قال أبو اسحق ابراهيم مسعود الالبيرى الزاهد :

يا قوس حراط يشير ولا يرمي ويا سيف رعديد يرض ولا يدمي

ويقابل هذا المعنى في نبو السيف وكلاله قول النمر بن تولب العكلبي ـ الشاعر الجواد المعمر الصحابي المخضرم ـ في المضاء والتوغل في الاصابة : يصف سيفه بأنه يغيب في الارض بعد أن يقطع الذراعين والساقين والعنق :

ابقى الحوادث والايام من نمر اثار سيف قديم اثره بادي
تظل تحفر عنه ان ضربت بـه بعد الذراعين والساقين والهادي

وهذا من باب المبالغة والغلو الى درجة يمتنع وقوعها حتى سار البيت مثلا في الافراط وقيل انه اكذب بيت قالته العرب ٠

وقد ذكر البيتين ـ والاخير منهما ـ جماعة من ائمة الادب كابن قتيبة في ترجمة النمر من الشعر والشعراء (٦٢) ، والقاضي ابي بكر الباقلاني في اعجاز القرآن في فصل ذكر البديع والكلام (٤٠ طبعة ١٣١٥) وابن رشيق في العمدة في فصلي التتبيع والغلو (١ : ٢٨٦) ، (٢ : ٨٥) ، والطرطوشي في الباب الستين من سراج الملوك (١٧٣) ، والامام يحيى اليمني في الطراز (٣ : ١٣٠) ، والصلاح الصفدى في الغيث (٢ : ١١٤) والبطاورى في اواخر الاول من الامتطاق عند قول ابن الونان :

سيف كصمصامة عمرو باتر لا يتقي بيلب ودرق

الا ان هذين القاضيين الاديبين لم يذكرا اسم قائل هذا البيت الدالي القافية المبالغ فيه ، كما أن الخضري لم يذكر في حاشيته اسم الرجل الهائم في طلب الحجة على فتح الغرفة ، ـ المشار هنا في الاول الى اسمه

وشهرته ـ .

وقد يكون المضاء في ميدان اخر كالذى قال فيه الوزير عبدالملك بن شهير فيما كتبه الى الحاجب المنصور محمد عبدالله بن ابى عامر في قصة ذكرها المقري في نهج الطيب (١ : ١٨٧) :

وقضى الشيخ فاقضى الحسام ذى قضاء عضب القضا بتسار

هذا وقد كنت نقلت لكم ـ عند المذاكرة في مسألة السيف المستعار لزينة ـ البيتين اللذين ذكرهما الشيخ التاودي بن سودة في اواخر شرح الزقاقية ، وهما :

وما الحلى الا زينة من نقيصة يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
فاما اذا كان الجمال موفرا ـ كحسنك ـ لم يحتج الى ان يزورا

وقد وقفت اخير في ادب الدنيا والدين (١٦٣) على انهما لابن الرومي ووجدت الصفدي في الغيث (١ : ٨١) اقتصر على ذكر شطرهما الاول غير معزو هكذا : « وما الحلى الا حيلة من نقيصة » .

واني اعتذر لكم عن تأخري في الجواب عن تلك الرسالة ، وعن هـذا الاسلوب الممل وهذه الاطالة ، والحديث ـ كما علمتم ـ شجون ، ومنهومان لا يشبعان ، ولله في خلقه شئون .

ولا أكتمكم استبشاري بما اخبرتم به من قرب بروز كتابكم القيم ، اتم الله طبعه على أحسن حال ، وأكمل مثال ، وأبرع منوال .

ويصلكم صحبته ما تيسر الآن مما طلبتموه من ترجمة الوالد رحمه الله وذلك في عدد مجلة دعوة الحق (٣٠ : ١٠ : ٧٦) مؤرخ بصفر ١٣٨٠ ، وعددين من جريدة الشعب ٥١٦ـ٥١٨ مؤرختين ١٦ ذي القعدة و١١ ذي الحجة ١٣٧٩ ، وصورة مما كانت نشرته قديما صحيفة الفتح الاسلامية ـ التي كان يصدرها بالقاهرة السيد محب‌الدين الخطيب صاحب مجلة الزهراء ، ومجموعة الحديقة ـ وهي مأخوذة من الصحيفة ٥ من عددها ١٤٠ المؤرخ ١٥ شوال ١٣٤٧ ـ ٢٠ـ٣ـ١٩٢٩ (السنة الثالثة صحيفة ٦٦٩) وفي ذلك بعض ترجمة الفقيد وآراء بعض اعلام القرويين ومكناس فيه ، وستصلكم ان شاء الله بعد هنا تتمات للمطلوب .

اخوكم
عبدالكريم ابن الحسني

« عجبت لمن يغسل وجهه مرات في النهار ولا يغسل قلبه مرة في السنة » .
ميخائيل نعيمة

فى المكتبة التاريخية العربية

تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط
أو القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام
للوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب

صدر هذا الكتاب عن دار الكتاب بالدار البيضاء (المغرب الاقصى) وقد طالما انتظر الناس من دور النشر العربية أن تعنى باحياء مثل هذا التراث الرفيع ، ونقول « تعني باحيائه » ونحن نقصد أن « تضحي » ببعض مصالحها المادية في سبيل ذلك الاحياء ٠٠ لاننا نعلم ان قراء مثل هذا التراث قليل ، والمعنون به من ذوى الثقافة نادر ٠٠ ولذلك فان « المغامرة » بنشر مثل هذه التحف تعرض مصالح دار النشر الى خصاصات وخسارات محققة ٠٠ مهما يكن ٠٠ فما يزال للخير انصاره وذووه ، وهكذا قدم الينا الاستاذ عبد الحى بو طالب مدير دار الكتاب بالبيضاء قدم الينا هذه الوثيقة التاريخية العزيزة المنال ٠٠ وحقا أن من يحاول أن يكتب أو يكون فكرة عن التاريخ الوسيط لبلاد المغرب لا يمكنه بحال من الاحوال أن يستغنى عن مؤلفات ابن الخطيب هذا العملاق الذى تقلب في عدة وظائف ، وجال عبر الأنحاء ، وحنكته التجارب وافادته المشارب ! ٠

وعندما أقدم الدكتور الاستاذ أحمد مختار العبادى بمعية الاستاذ ابراهيم الكتاني على ابراز هذا الكتاب واظهاره ، والتحقيق له والتعليق عليه ، عندما أقدم على ذلك كان يعرف وزن الكتاب سواء من الناحية التاريخية أو الجغرافية أو الادبية كذلك ٠٠ فابن الخطاب كما أسلفنا معلوم مركزه ٠٠ ومعروف أمره ٠

ولعل مما يفيد القارىء ونحن بصدد تقديم هذا الكتاب فى هذه السطور ان يعلم شيئا ولو قليلا عن ابرز ما تناوله هذا الجزء من الكتاب٠

فبعد مقدمة وجيزة فيمن تعاقب على هذه الديار من رجال واسياد ٠٠ خصص المؤلف فصلا هاما لدولة الاغالبة ابتداء من ابراهيم بن الاغلب بن سالم ٠٠ وتخلص فى اخريات الحديث عنهم الى ظهور ملوك الشيعة فى افريقية ٠٠ ابتداء من الامير عبد الله الملقب بالمهدى أول ملوكهم ٠٠ ومن هنا ينتقل الكتاب الى ذكر ملوك صنهاجة بافريقية المغرب ومؤسساتهم ومختلف مظاهر نشاطهم ٠٠ ومن أبدع ماكشفته صفحات الكتاب نبذة هامة من أخبار صقلية وبعض من ولى بها الملك ٠ « صقلية » ذات القلاع الاثيرة والمدن الكثيرة ٠٠ وقد استطرد فى هذا الفصل للتعريف ببعض مدنها من أمثال مدينة مسينة أو بلرمة حيث كان يسكن الحضر من المسلمين وحيث

كانت لهم مساجد وأسواق وأرباض وضياع ..

والطريف في هذه النبذة أنها تناولت ذكر جميع من بسط عليهما سلطانه من الملوك الاوائل .. من أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية الى أيام الاغالبة الى أيام الفاطميين .. ولم يفته أن يشير الى ذكر كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) وان كان « جريا على سلوك المؤرخين » تعمد عدم ذكر مؤلف الكتاب وهو الشريف الادريسي الجغرافي المشهور ، وذلك نقمة عليه لانه – في نظرهم – تطارح على روجار الثاني .. وبعد هذا يتناول الكتاب دولة ملوك سجلماسة من بني مدرار

ثم يرجع الى الزيريين ليتمم الحديث عنهم في اسهاب لكن المهم أكثر من هذا تخصيصه فصلا للحديث عن « البرغواطيين » هؤلاء المتنحلون للامارة الذين كانوا يهدفون – في المغرب – الى انزال ضربة قاصمة بالاسلام والعربية لولا شهامة المرابطين ويقظتهم التي أجهزت على هؤلاء الذين كانت للمؤثرات اليهودية انعكاسات على ديانتهم .. ويأتي المؤلف على ذكر مفصل لدولة الادارسة العلويين الحسينيين بالمغرب الاقصى .. ولم يفته التعرض لمطاردات هرون الرشيد لهذه الدولة الفتية وعدم نجاحه في الاجهاز عليها نهائيا ... وان كان المؤلف لم يأت بتفصيلات دقيقة عن بعض الامراء من الادارسة (كالامام داود بن ادريس) الذين كان لهم ضلع في « تركيز الوجود الاسلامي » بالمغرب ، لكن الغريب ان لا يكون ثمةذكر بتأسيس (جامع القرويين) ولو أنه أبرز أثر يكتب على عهد الادارسة ... ويتخلص عند اواخر الادارسة الى ذكر أيام ابن ابى العافية ... ثم يأتي على ذكر دولة لمتونة المسمين بالمرابطين الذين أشرنا لهم قبل قليل عند ذكر البرغواطيين أولئك المرابطون الذين تخلد اسمهم في التاريخ الذهبي للمغرب الاسلامي .. وبعد هذا يبدأ الحديث عن دولة الموحدين بالمغرب التي كان في ابرز مشاريعها توحيد العالم الاسلامي تحت راية واحدة كما تدل على ذلك مختلف مناهجهم وآثارهم .. لكن المؤلف لم يتعد أوائل الامير عبد المؤمن بن علي اول الموحدين ... ويظهر ان المصير المحتم الذي كان ينتظر ابن الخطيب حال دونه وبقية البحث الذي كان يزمع اتمامه ..

ان نظرة خاطفة على الكتاب تعطي للمرء خاطرة صادقة على انهجدير بكل ما يستحقه الكتاب من اطراء واشارة ... وكفى ان المتحدث فيه هو ابن الخطيب ... لكن الذي زاده رواء وبهجة وأكسبه قيمة ومنزلة هو هذه التعاليق الضافية الشافية التي زينت قلائده وطبعت بالدرر حواشيه ! لقد كانت تعليقات امرىء خبر الاداب الاندلسية والمغربية وعاداتها وعوائدها ... وما أحوجنا حقا الى علماء محققين جابوا البلاد الاسلامية والعربية .. وتتبعوا الآثار هنا وهناك ليقارنوا بين الاسماء والمسميات ويقربوا الى البعيد حقائق الاشياء ! والحقيقة فان « الاقتصار على

النص وحده لم يكن من شأنه أن يسد الفراغ الذي يستشعر به اخواننا في العروبة ممن يريدون التعرف على هذه البلاد المغربية الشقيقة ، كما يقول المحققان ...

ولعل من واجبي وقد توخيت أن أقول الحق في كل ما تقدم عن هذا الكتاب ، من واجبي أن أهمس بملاحظة بسيطة جاست في خاطري لاول ما تناولت الكتاب .. وابادر الى القول بانها لا تتعدى عنوانه ... ان عنوان الكتاب كما اختاره له مؤلفه القديم هو : (أعمال الاعلام) الخ ... لكن المحقق أو الناشر ، لا أدري أيهما ؟ اختار له اسم : « تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط » ... وهو اسم جديد لامع ، بيد أن ألمع منه وأبدع وارفع أن يحتفظ الكتاب باسمه القديم ، ويجعل تحته عنوان آخر ان كان ذلك ضروريا ... ولعل لصنيع الاستاذ بروفنصال في القسم الثاني بالكتاب تأثيرا على ذلك الاختيار ومن يدري فقد يكون المتغلب على « المصاعب المادية » يد في اختيار هذ العنوان فان بعض الناس يستهويهم العنوان الجديد دون أن يأبهوا بالعناوين العتيقة .

على كل حال فان المصادر التي اعتمدها المحقق تدل على ضلاعة في العلم وامانة في التاريخ ، وان عناية دور النشر في المغرب بمثل هذه الكتب لبادرة طيبة تبشر بكل خير وعسى أن يكون لهـا توابع ... وانا لمنتظرون .

بغداد — أبو سعد



الدكتور جميل سعيد
يتحدث عن كتاب :

THEY ARE HUMAN TOO...
by Per-Olow Anderson

إنهم بشر أيضاً

للكاتب السويدي
بير اولو اندرسن

هذا عنوان كتاب يكتبه الكاتب السويدي بير اولو اندرسون Per-Olow Anderson ، والكتاب غريب لقراء العربية في عنوانه وفي طريقة تأليفه . أما الكاتب فشخصية معروفة مشهورة لغير العرب ، واما العرب فقد لا يعرفه منهم الا من له اتصال بأخبار الدنيا في أحداثها الجسام الكبيرة المثيرة ، لذا فسأتحدث بكلمة عن الكاتب وعن كتابه هذا .

بير اولو اندرسون شخصية فذة عجيبة ، يصعب على القارىء ان يجد لها مثيلا أو نظيرا فيما رأى أو قرأ من أخبار الشخصيات . انها شخصية جبارة مغامرة مخاطرة ، تركض وراء الاحداث الكبيرة المخيفة التي يهرب الناس منها ، بل ومن اخبارها ، حتى يبدو للقارىء ان الرجل يتخذ من هذه المغامرات لعبة يتسلى بها .

ولد اندرسون في استوكهولم ، في السويد سنة ١٩٢١ . وقد جمع في عمره غير الطويل هذا ، من الاحداث والمغامرات ما يعجز اصحاب الأعمار المديدة الطويلة عن واحدة منها ، في سن السادسة عشرة التحق بالحرب الاسبانية الاهلية ؛ التحق بها تصحبه آلة تصويره ، فصور ونشر احداثها الكبيرة ، ثم صار — منذ ذلك الحين يظهر قدرة منقطعة النظير في تتبع الحروب يجوب ميادينها وينقل صورها بآلة تصويره ، وما تكاد تنفجر حرب الا ويرى اندرسون تصاحبه آلة تصويره في وسطها .

غزا النازيون الالمان بولندا ، واوقعوا في اليهود هناك ، وخف اندرسون الى الحي اليهودي في وارشو ، فصور الفظائع ، ثم عمل على تهريب صوره من البلد ، بأن اخفاها في مستودع الفحم باحدى السفن السويدية المعدة لنقل الفحم خاصة .

وهاجم السوفييت فنلندا ، سنة ١٩٣٩ فخف اندرسون الى صفوف الفنلنديين ، يحارب معهم ويصور مواقفهم البطولية في الدفاع عن انفسهم .



امنت بالله

وحين تحرك النازيون الى النروج ، اشترك اندرسون مع عصبة من أبناء بلده السويديين يعاونون النرويجيين في حرب العصابات يدبرونها ويديرونها من حدود السويد بلدهم ، وظلوا كذلك حتى اذا خمدت انفاس المقاومين لم يجد بدآ من أن يهرب على ظهر سفينة صيد نرويجية الى اسكتلندا •

ودار في فلك الحرب يتنقل في ميادينها الكبيرة ؛ يدور معها حيث دارت ؛ كان في شمال افريقية يشهد أحداثها ومعاركها • ورجحت كفة الحرب فانقلب الحلفاء من مدافعين الى مهاجمين ، وتحركوا نحو شواطيء أوربا الجنوبية ، فغزوا صقلية ، وارتفعوا الى شمال ايطاليا ، حيث دارت معاركهم العنيفة هناك ، واعطوا ما شاء الله من الضحايا • وما زلت اذكر الان وانا اكتب هذه السطور ، وقفة الاميركيين وكنت عائدا معهم من اميركا في صيف ١٩٥٣ ، ما زلت اذكر وقفة ركاب الباخرة ، ونحن نجوب سواحل ايطاليا ، نتجول في سيارة نقل كبيرة بين مدينة نابولي وسالرينو وبومبي ،

ما زلت اذكر وقفتهم على الساحل قرب سالرينو ، وقد وقف النسوة يبكين حتى قلبن تجوالنا الذي كنت اظنه نزهة الى مناحة ، ثم فهمت انهن يبكن أبناءهن الذين فقدوا هناك، وان بعضهن جئن خصيصا بهذه الباخرة ليشهدن هذا الموقف وفاء واحياء لذكرى ابنائهن ، وقعد ركاب السفينة في مقهى على البحر ، وظلت النسوة ينقلن عيونهن بين البحر والجبل الشاهق كأنهن يبحثن عن الضحايا ، وهن يقلبن مناديلهن التي بللتها الدموع — أقول شهد اندرسون هول هذه المعارك كلها ، وحين غزا الحلفاء فرنسا سنة ١٩٤٤ كان معهم في النزول على الشاطيء بنورمنديا فصور نزولهم بآلة



لاجئات ... فجيعة الانسانية المعذبة في فلسطين



تصويره ايضا

وانتقل اندرسون الى المانيا ، يعاون اليهود في المانيا النازية ، يساهم مساهمة فعالة في تهريبهم خارج الحدود من المذابح التي تنتظرهم ، ثـم اعد تقريرا مصورا عن معسكرات الاعتقال نشره في الصحف السويديـة فأثار به الدنيا .

ساهم اندرسون في هذا كله ، ولم تفته الحملة التي قادها الحلفـاء ضد اليابان في المحيط الهادي ..

ويحدثنا في كتابه هذا الذي نتحدث عنه الان انه كان مشغولا في اعداد صوره ، ومشغولا بقصة طفلة فلسطينية لاجئة ، رآها في معسكر اللاجئين في نواحي غزة ، وهي عرجاء خرساء ، واخذها الى المستشفى ورآها الطبيب



« سميحة »

الخرساء اللاجئة

الاميركي ، فرأى ان رجلها قد قصرت لكسر في فخذها ، كانت امها قـد قالت ان هذا قد حدث لهم حين ارغموا عجلين على الهجرة من ديارهم قال الطبيب الاميركي : قد تشفى رجلها ، وقد ينطلق لسانها اذا ما عولجت في مستشفيات اميركا ، وكان اندرسون يعد عدته لهذا ، ويعد هذا الكتاب الذي جعل ريعه لمعالجة هذه الطفلة ، التي رآها حصته في معونة العـرب

اللاجئين ،كان يعد هذا! ففاجأه هجوم اليهود يساندهم الانكليز والفرنسيون في سينا ، فترك أمر اللاجئين والتحق ــ كعــادته في الحروب ــ بحرب السويس فصورها ٠

هذه الشخصية العجيبة الفذة ، التي زارت أكثر من سبعين قطرا ، وحضرت معظم الحروب التي زلزلت بها مختلف بقاع الكرة الارضية في عصره ، وكان مصدرا هاما لاخبار الحرب تنشرها عنه وكالات الانبـاء الاميركية والاوربية ، كما كان مصدرا لهذه الاخبار يعطيها لامهات الصحف والمجلات ٠٠٠ هي التي جابت مخيمات اللاجئين العرب فأهتزت نفسه لما رأته فيها ٠٠ هو الذي نشر حياة اللاجئين العرب في صور قصد من ورائها ان يستثير ضمير العالم في الالتفات الى معونتهم وحل مشكلتهم ، وربما كان الأجدر ان انقل حديثه نقلا ، اترجمه من غير ان أتصرف فيه ، قال :

ليست المصائب الانسانية بالجديدة الي ، ولقد قدر لي ان واجهتها مرارا متعددة في خلال اشتغالي مصورا صحفيا للجرائد والمجلات ٠ وقد اقتضاني عملي هذا ، ان أواجهها في اربعة وسبعين قطرا جبتها في الأعوام العشرين التي مضت ٠

على اني لم أجد في كل ما قدر لي أن رأيته ما هو أبعد أثرا في نفسي مما رأيته في مصيبة اكثر من مليون من العرب الفلسطينيين اللاجئين في الشرق الاوسط ؛ اولئك الذين رأيتهم لاول مرة في ابريل سنة ١٩٥٦ في غزة ، حين جئت لاكتب عنهم لمجلتي السويدية ٠

لقد عاش العرب الفلسطينيون اللاجئون في تعاسة ويأس ، في معسكرات متزاحمة في سوريا ، وفي الاردن وفي لبنان ، وفي قطاع غزة ــ وعاشوا في حفر وكهوف في فلسطين ، متناثرين صفوفا في أراضي غيرهم الواقعــة على مقربة من المدن العربية الكبيرة ، كما عاشوا في اكواخ وعشش في المــدن نفسها ٠

لقد رأيت بعيني أماكن القذارة والتعاسة التي اقيمت بها خيامهم ، واقيمت بها عششهم المبنية من الطين متناثرة على سفوح التلال الصخرية، وفي الوديان المغبرة المتربة ٠ ولقــد احسست بأحزانهــم ومصائبهــم ، واستمعت الى ذكرياتهم المرة الأليمة ، واستمعت الى تأففهم واضطرابهم وهم يصطرخون : « العدالة ! العدالة ! لا نسأل ولا نطلب غير العدالة » ٠

ترى ما هي هذه العدالة التي يطلبونها ، ولم انكرت هذه « العدالة » عليهم كل هذه المدة الطويلة ؟

لقد اجازت الامم المتحدة خلق دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ولـكنها لم تعني بهذا ، ان تعطى المنطقة لليهود مرغمة سكانها العرب على الجلاء والتشتت والتشرد ٠ ولكن هذا هو الذي حدث ٠

لقد فقد نحو مليون من العرب ، الذين عاش أباؤهم اجيالا لا تعـد في فلسطين ، اراضيهم وبيوتهم ، وصاروا لاجئين ولا مال ولا مأوى لهم ٠

الصبر مفتاح الفرج



وصاروا كذلك ليخلوا الطريق للاجئين اليهود ، الذين هربوا من مذابح النازيين الى اراضيهم ·

لقد مد العالم يد المعونة للاجئين اليهود · وفعل لهم كل ما في المستطاع ان يفعله ·

أجل ان ضمير الانسانية قد اهتز لما حل بهم ، حتى لقد اجاز ان يمنحوا حكومة يهودية خاصة بهم ، وانه من المضحك والمؤلم معا ، ان يحاول العالم انصاف اناس بأن يغرس بذور الظلم وعدم الانصاف في نفوس آخرين · ان الفلسطينيين العرب الذين ازاحهم اللاجئون اليهود واخذوا بيوتهم وأماكنهم صاروا هم ضحايا الحرب والظلم · وان كل ما فعله العالم لهؤلاء هو أن أنشأ « وكالة غوث » تمد يدها بالمعونة والصدقة اليهم ، وأن تضع خطة لاسكانهم ، في بلاد عربية أخرى غير بلدهم ، وتريد ان تفعل هذا على غير رغبة منهم ، وعلى غير رغبة من اهل البلاد التي تريد ان تسكنهم بها ·

ان العالم لم يفعل شيئا يستجيب به لرغبة الفلسطينيين العرب فى العودة الى بيوتهم ، أو الى تعويضهم عما فقدوه من ممتلكاتهم ، او الى تطبيق الحدود التى قررتها هيئة الامم المتحدة فى تقسيم فلسطين الى نصفين ، نصفين متساويين تقريبا يقتسمها العرب واليهود ·

انني لا استطيع ان ارى لم لم يحل العالم مشكلتهم هذه · وقد مر عليها تسع سنوات (كتب هذا سنة ٥٦) · وانني لا أستطيع أن أفهم ايضا كيف ان هذا العالم قد نسي هؤلاء الناس الذين يعانون جزاء خطأ او اثم نعتبر كلنا مسؤولين عنه · انه — من اية ناحية نظرته — جرم وعقوبة صبت على اناس أبرياء لايد لهم فيها · انهم في حيف وان انصافهم هو العدل · هذه بيوتهم تقع عبر خط الهدنة في اسرائيل فى اراضي هى

عربية منذ أكثر من ١٣٠٠ ألف وثلثمائة من السنين . وانهم منــذ تسع سنوات ، قد التصقوا بمواضع اقدامهم التعسة ، ينقلونها من الحــدود الاسرائيلية على أمل ان يعودوا يوما الى ديارهم .

ان العالم لم يفعل الا قليلا ليجعلهم يثقون بالانسانية ، وهم بعد أن أهملهم العالم هذه المدة الطويلة كلها ، لم يعد لهم الا أن يحولوا وجوههم الى اية قوة تعدهم بالانصاف والعدالة .

ان وكالة الغوث فعلت ما بوسعها ان تفعله لهم ، ولكن هذا وحده لا يكفي ، وهيئة الامم لا تمد الوكالة بالمال الكافي .. وليس من شــأني أن أتحدث في هذا الكتاب عن هذا . ان هذا الكتاب يعرض لك ببساطة وجوه المأساة الانسانية التي قدر لي أن أراها في معســكرات اللاجئين ، واني انشره راجيا ان يرى العالم ان هؤلاء الناس ، هم كغيرهم من الناس الذين أسدينا اليهم المعونة في الماضي . وانهم جديرون بأن تفهمهم وتغيثهم .

ان المأساة لا يحوجها التفسير . ولكن علينا ان نظهر للناس بــأن الفلسطينيين العرب ، هم اناس مثلي ومثلك . انهم مثلنا فيما يجــب ان يعاملوا به ، وعلى الانسانية ان تعطيهم مكانا من نفسها .

لقد اردت بهذه الصور ، ان اريك الى اى حد يشبه هؤلاء الرجــال والنساء والاطفال ، آباءنا واخواننا وأخواتنا وجيراننا .

انني باعتباري من السويد ، اعد بطبيعة الحال محايدا ، ولكن هذا لم يمنعني ، كما لم يمنع غيري من المواطنين السويديين ، أن نقــاتل في صفوف الفنلنديين ضد الشيوعيين ، كما لم يمنعنا هذا ان نقاتل فــي



وجه عجوز يروي
بصــدق حكاية
المأساة .

صفوف النرويجيين ضد النازيين منذ أكثر من خمس عشرة سنة · ولقد أقحمت نفسي بطرق شتى ، في الصراع الطويل بين النازيين واليهود ، وكنت الى جانب الضحايا اليهود فى هذا الصراع · وانى الان اقف من قضية العرب الفلسطينيين اللاجئين مدفوعا بمثل ذلك الاحساس ·

ان أحد مواطني ـ وهو الكونت برنادوت ، قد وقف في صفوف اليهود في مأساتهم في اوربا ، وقد عاون الالاف منهم على الهرب من النازيين ، ثم قدر له ان تنتدبه هيئة الامم المتحدة وسيطا فى فلسطين · كانت توصياته قد وضعت لتكون فى صالح العرب واليهود معا ، ثم قتل بيد الصهيونيين الارهابيين فى القدس ، قبل ان يستطيع وضع توصياته في خطته موضع التنفيذ · لقد قال الكونت برنادوت في تقريره الى هيئة الامم المتحدة : « ان دولة اليهود ، لم تولد بسلام ، على نحو ما امل لهما ، ولكنها ولدت ، بالعنف واراقة الدماء » ·

أما الكتاب فقد قدمه اندرسن الى سميحة ، تلك الطفلة الفلسطينية اللاجئة ، تلك الخرساء ، التى تعرج فى مشيتها ، واهداه الى زوجته سيلفيا « التى انفجرت باكية حال امتد طرفها الى معسكر العرب اللاجئين تنظر اليهم وترى صورهم » قال اندرسن : « واوجهت الى ان الناس في مختلف انحاء الدنيا لا يساهمون في معونة هؤلاء اللاجئين ، لا لشيء الا لانهم لا يعرفون حالتهم » قال : « ومنذ ذلك الحين راحت سيلفيا تعمل معي فى معسكرات اللاجئين جاعلة عملها هذا في المرتبة الاولى ، اما عملها فى البيت فقد صارت له المرتبة الثانية » ويقول اندرسن انه قضى فى تأليف كتابه هذا ، او صوره هذه تسعة شهور حرم فيها اولاده ـ الا فى القليل ـ من رؤيته ·

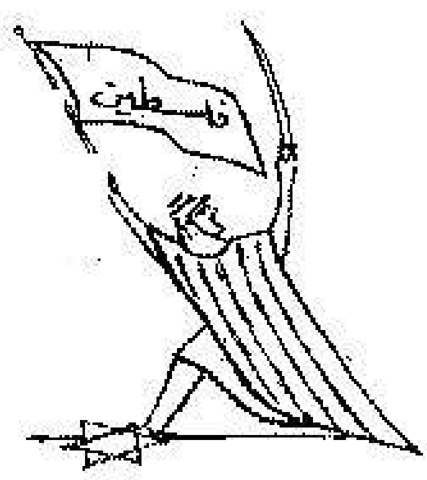
واما صور الكتاب فقال « انه صورها بمعسكرات اللاجئين فى نواحي غزة ، واما معسكرات غير اللاجئين هناك فقال عنها : « فى الخيم الاخرى ، غير المنظمة ، حيث لا يوزع الطعام بالبطاقات · في هذه الخيم يمد اللاجئين أيديهم الى اللاجئين فى الخيم المنظمة ، يستعطون ويشحذون » · فانظر ـ يرحمك الله للاجيء يستعطي اللاجيء ، وتأمل وترحم !

يقول عن صور الكتاب ، يقدمها لقارئه : « بودى ان تتعرف على بعض من لقيتهم في معسكر العرب اللاجئين من فلسطين ، تراهم في نساء وأطفال ينتظرون صابرين ما خصص لهم من طعام ، وتراهم في شيوخ عليهم الهيبة والوقار ، وقد وقفوا بعيون كسيرة حزينة ، وراء الاسلاك الشائكة ، وتراهم في عائلة تسير متثاقلة تنحدر في منعطف ضيق ترب بعيدا عن معسكر غزه ، وتراهم في سيدة تحمل صرة من الملابس تمضي بها لتغسلها ، وتراهم فى طفل صغير يقود جدته الضرير ينحدر بها فى ممشى ضيق ، وفى طفلة ذاهبة الى المدرسة تختلس النظرات ـ خجلة ـ الى آلة التصوير ، وتراهم فى طفلة صغيرة تنتظر ملك الموت فى مستشفى السل ، ويقول : « وقد اردت ان اريك كم من هذه الصور التى يتمثل فيها النساء

والرجال والشيوخ والاطفال ، ما يشبه امهاتنا وآباءنا واخواننا واخواتنـا وجيراننا • انهم مثلهم سواء بسواء » ويظهر ان اندرسون لم يشـأ ان يتحدث عن صور الكتاب ، اذ قال « وأردت أن أريك هـذا بمائة وثلاثين صورة ، تقابلها وجها لوجه » نعم اراد لقارئه ان يقابل هذه الصور وجها لوجه واكتفى بهذا ، ولقد هممت ان اتحدث عن بعض الصور ولكنني رأيت الحديث عن الصور – في كثير من الاحيان – يفسدها ويسيء اليها ، نعم رأيته كالشعر تترجمه نثرا الى لغة اخرى فتذهب بأحسن ما به من حيـاة وروح • وقد رأيت الكاتب نفسه تحاشى هذا وقال : « في هذه الصحائف لا احب ان احدثك عن هؤلاء الناس ولكني اسألك ان تنظر اليهم • انهـم سيبادلونك النظرات • واني واثق انك وانت تنظر الى عيونهم سـترى ، على نحو ما رأيت : « انهم بشر مثلنا » وجمع الكاتب الصور ، واختار لها طرفا من الاقوال المشهورة لشعراء وكتاب مشهورين ، كتبها تحتها ، كتب الى جنب صورة فتاة مضطجعة ، ما نسبه لافلاطون ، « لقد دنت ساعـة الرحيل ، وسنأخذ طرقنا فيها • سأخذ طريقي لاموت ، وتأخذ طريقـك لتحيا • واي الطريقين افضل ؟ الله وحده يعلم هذا » وقدم الكتاب بصورة سميحة ، ثم بدأ الصور بصورة شيخ طاعن في السن كتب الى جانبهـا بحروف عربية كبيرة : « آمنت بالله » وختمها بصورة عجـوز متغضنة الوجه باكية •

وبعد ، فالكتاب من احب الكتب الي ، لقد تفضل الصديق الدكتور ناصر الحاني فبعثه الي عام ١٩٥٩ الى بنغـازي في ليبيا ، وحين أزفت ساعة رحلي من ذلك البلد الذي ابعث التحية اليه والى اهله الان ، لـم اجد واسطة نقل تحمل امتعتي منه الى العراق غير الطائرة ، وقد احترت فيما أتركه وما أحمله ، فحملت اربعـة كتب بيـدي ، كان هذا الكتاب احدها ، واني منذ ذلك الحين الى الان لا اذكر انني نظرت في صـورة الا واثارت في نفسي ما تعجز ابلغ الكتب عن اثارته فيها •

اتراها تثيرنا لانه – يعرض صورة عرب فلسطين ؟ ام لانه يعرض صورا انسانية يتجاوز الناظر اليها حدود القومية والوطن والدين ؟ ام تراها تثيرنا لانها تجمع هذا وذاك ؟•



أضواء على السياسة العالمية

مؤتمر القمة العربي الثاني بالاسكندرية

في الخامس من ايلول انعقد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في الاسكندرية ، وفي اليوم التالي استمع المؤتمر الى التقرير الذي قدمه المهيب علي علي عامر القائد العام للقوات العربية الموحدة حيث عرض صورة دقيقة وشاملة للموقف العسكري شملت ثلاث نقاط هي :ـ

دراسة ما تم عمله بعد مقررات مؤتمر القمة الاول التي وضعتها الدول العربية تحت تصرفه وكذلك الاحتمالات التي يمكن ان تنشأ على حدود العدو ٠

وفي الحادي عشر من ايلول أي بعد اسبوع من الجلسات المتتالية عقد المؤتمر جلسة برئاسة الامير فيصل القى خلالها السيد الامين العام للجامعة العربية البيان التاريخي الذي صدر بالاجماع والذي تضمن قرارات هامة حول فلسطين ٠ والجنوب المحتل والتعاون العربي ٠ والقواعد الاستعمارية التي تهدد أمن العرب وسلامتهم ، وكذلك العلاقات الاقتصادية مع دول العالم الخارجي على ضوء علاقاتها باسرائيل ٠ واخطر هذه المقررات بحق اعتراف المؤتمر بمنظمة التحرير الفلسطينية والاسناد الكامل لها وكذلك تأسيس جيش تحرير فلسطين والاستعداد لتحويل مياه نهر الاردن ٠

ولقد لعب الرئيس عبدالسلام محمد عارف دورا بارزا في انجاح المؤتمر لما قام به سيادته من اتصالات مباشرة داخل المؤتمر وخارجه مع اصحاب الجلالة والسيادة المؤتمرين ولما قدمه من اقتراحات بناءة كانت اللولب الذي ترك حوله الاجماع الفكري والسياسي العربي ليصل بالمؤتمر الى القرارات التاريخية التي اعلنها والتي ستغير بقوة وعمق التفكير السياسي العربي وتدفع بالجهد القومي الى العمل من اجل الوحدة المنشودة وقد تبع هذا الاجماع تصميم اخر هو عقد مجلس الرئاسة المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ليسجل نصرا جديدا لامة العرب وليبني صرح عزتها المستقبلة على أسس صلدة تتحطم عليها قوى

الضعف والقوى السوداء التي يؤلمها ان ترى امة العرب موحدة من خليجها الثائر الى محيطها الهادر ٠

الوطن العربي

توجه الناخبون في جميع انحاء الجزائر الى صناديق الاقتراع لاختيار اعضاء الجمعية الوطنية الجدد وهذه هي ثاني جمعية وطنية في الجزائر منذ ان حصلت على استقلالها وتضم ١٣٨ نائبا ٠

وقد ادلى ٩٠٪ من الناخبين الجزائريين باصواتهم وهذا يعني ان غالبية الشعب تؤيد حكومة الرئيس احمد بن بيللا وحزب جبهة التحرير الوطني٠ وقد ناشدت الحكومة افراد الشعب الاشتراك بمجموعات كبيرة في عملية التصويت ليس فقط من اجل انتخاب مرشحيهم للجمعية الوطنية بل لتاتي عملية التصويت بمثابة اقتراع بالثقة في حكومة الرئيس احمد بن بيللا وقد لعب الرئيس الجزائري دورا فعالا في مؤتمر القمة العربي الثاني عندما صرح بان الجيش الجزائري الذي يبلغ عدد قواته بين ٦٠ و ٧٠ الف رجل هو الان تحت تصرف القيادة العربية الموحدة في القاهرة وقال ان مقررات مؤتمر القمة هي بداية العمل الايجابي الحاسم ضد الصهيونية وقوى الاستعمار والضعف٠

القارة الافريقية

دعا اتحاد الصحفيين الافريقيين الى بذل مزيد من الجهود لتحرير شعوب كل من جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية والمستعمرات البرتغالية من الاستعمار ونظم التفرقة وطلب الى جميع الصحفيين في افريقيا بذل الجهود لطرد حكومتي جنوب افريقيا والبرتغال من الامم المتحدة ودعا الحكومات ان تقاطع هاتين الحكومتين سياسيا واقتصاديا ٠ كما دعا المؤتمر وسائل واجهزة الاعلام في الاقطار الافريقية المتحررة الى العمل بقوة وتصميم لشرح القضية الافريقية على المستويين القاري والعالمي ومحاربة الدعايات المضللة التي تحاول ان تقيم الحواجز بين ابناء افريقية واضعاف ثقتهم بانفسهم ومستقبليهم ٠

● انهى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقي اجتماعاته بمشروع قرار تمت الموافقة عليه بالاجماع يهدف الى تسوية الازمة الراهنة في الكونغو ويتكون المشروع من تسع نقاط تدعو الى انهاء تجنيد المرتزقة البيض وطردهم من البلاد ووقف اطلاق النار والطلب من جميع

الاحزاب في الكونغو العمل على تشكيل حكومة ائتلافية لحفظ الامن كما يدعو الى انشاء لجنة لمساعدة القادة السياسيين في الكونغو على التوصل الى مصالحة وطنية ٠

هذا وقد صرح المستر ديالونيللي سكرتير عام منظمة الوحدة الافريقية ان المؤتمر اثبت ان افريقيا تستطيع حل مشكلاتها بنفسها مهما كانت درجة صعوبتها وان مشكلة التدخل الاجنبي كانت واحدة من المشكلات الرئيسية في تعميق شقق الخلاف وان جميع الوفود اتفقت على ان عدم الاستقرار يعود الى التدخل الاجنبي سواء ا كان مباشرا او غير مباشر ٠

نزع السلاح

وأصل مؤتمر نزع السلاح فيجنيف والذي تحضره ١٨ دولةمحادثاته وقد تميزت المحادثات بصورة عامة بالرغبة في الوصول الى اتفاق لنزعسلاح شامل تام وذلك على ضوء المقترحات ومشروعات القرارات التي قدمت في غضون ذلك ٠ واهمها المقترحات التي قدمتها الجمهورية العربية المتحدة والتي تضمنت توقيع اتفاقية تقضي بالتوقف عن انتاج وتطوير الاسلحة النووية وان تقوم الدول بالاستغناء عن المصانع التي تنتج المواد الذرية لاستخدامها في جميع الاسلحة وانشاء لجنة خاصة تبحث ذلك ٠

كما قدمت مشروعا ذا اربع نقاط يدعو الى عقد اتفاق لتدمير وسائل نقل الاسلحة النووية خلال عملية شاملة لنزع السلاح وكذلك دعت الجمهورية العربية المتحدة في مشروع قرار اخر الى الوصول الى اتفاق بشأن تبادل مراكز المراقبة بين الشرق والغرب لتفادي وقوع هجوم مفاجيء أو نشوب حرب بسبب سوء التقدير أو الافتقار الى وسائل الاتصال المباشر بين الجانبين ٠

واقترحت ايضا جلاء جميع القواعد العسكرية الاجنبية في الاراضي الاجنبية جلاء تاما وازالتها من جميع انحاء العالم وذلك كخطوة نحو تخفيف حدة التوتر الدولي ولنزع السلاح بصورة شاملة ٠

وأخيرا قدمت العربيـــة المتحدة مشروع قرار في المؤتمر يدعو الى توقيع اتفاقية عدم الاعتداء بين حلف وارشو والاطلسي واقامة حواجـــز مادية لمنع الاشتباك على طول نقطة الاحتكاك الخطيرة وذلك كاجراءين فعالين لتفادي قيام أي من الكتلتين بهجوم مفاجيء ٠